اغسطس (آب) ١٩٩٠ - محرّم ١٤١١

Reader's Digest
المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest August '90 N° 141

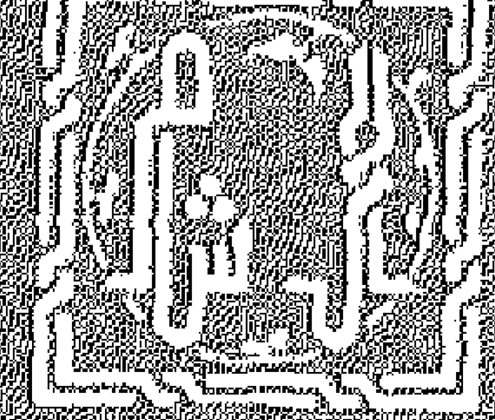
أوسع المجلات انتشارًا في العالم
٣٨ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا



فندق الشام

أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها .. صمم على أحدث طراز في ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عملك ... فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالاضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية ... ولا ننس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها



للحجز : فندق الشام - ص . ب ٧٥٧٠
تلكس : ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الرئاسي : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام
عراقة في التقاليد



مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.
مديرة التحرير: راغدة حداد. امينة التحرير: نهلا رزق. محررة مساعدة: لورا نفاع. الاشتراكات: فريال علاف
مدير القسم الفني: جورج غالي. الخطوط: عبد القادر اسماعيل.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر: شركة "ابيراك" للمنشورات الدولية – بيروت.
رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.
التحرير والادارة: بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.
التلكس (الموقت): ANAHAR 22322 LE
COLIDI 21058 LE
التنضيد والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية: شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest



Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Beirut, Makdesi St., Shartouni Bldg., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.
Telex ANAHAR 22322 LE / COLIDI 21058 LE
Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

August '90 N° 141 (New Series) Vol. 12

ريدرز دايجست
المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.
الطبعات الدولية
رئيس التحرير: كنيث غيلمور. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر «ريدرز دايجست» في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والاسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.

لبنان ٥٠٠ل – سورية ٢٠ل – الأردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف – السعودية ١٠ر – مصر ١٫٥ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – اليمن ٨ر – عدن ١٥د – مسقط ٨٠٠ب – العراق ٨٠٠ف – قبرص ٧٥ب – تونس ٧٠٠م – المغرب ٧د – الجزائر ٧د – فرنسا ١٠ف – انكلترا ١ج – اليونان ١٣٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢٫٥د

شعاره "أنا أولا"
لكنه جازف بحياته
لانقاذ ابنة العدو

الوسام



كان داني فتى خشناً صلب العود من فتيان الشوارع في نيويورك. وقد عرفته جنديا في فرقة المشاة التي انتمينا اليها. كان داني منغلقا على ذاته، قليل الاصدقاء، يعمل بموجب مبدأين: "أقتلهم قبل أن يقتلوك" و"أنا أولا."

وكان شديد الحرص على البقاء حيا والخروج سالما من الحرب، ويعلن بفخر لكل مجند ينضم الى فرقتنا: "أصغ اليّ يا هذا، أنا خدمتي قصيرة، وسأرجع قريباً الى العالم الواسع، صحيحا سالماً غير مكترث لما يحدث لكم جميعاً. لذا من الأفضل لك ألا تعترض طريقي. أفهمت؟"

لم يدرك المجنّدون الجدد أن "العالم" بالنسبة الى داني كان يعني الوطن، وأن "الخدمة القصيرة" تعني قرب عودته اليه. لكنهم أدركوا أن داني يبلغهم أنه سيان عنده أقتلوا أم ظلوا أحياء ما داموا لا يعترضون طريقه.

في آخر يناير (كانون الثاني) ١٩٦٨ كنا في مهمة خارج دونغ ها فشاهدنا قرية صغيرة الى يميننا على حدود الغابة. وكان مبدأ عملياتنا تفتيش كل قرية تقع في طريقنا. لذا انتظمنا صفاً يفصل بين واحدنا والآخر حوالى خمسة أمتار، واندفعنا نحو القرية كمكنسة خضراء ضخمة. ففرَّت الحيوانات مذعورة من طريقنا، كذلك عمال حقول الرز.

حين وصلنا الى أطراف القرية تغلغلنا بين الاكواخ الخشبية ذات السقوف القش والارضيات الترابية. واحتشد الاولاد في المداخل مختبئين وراء امهاتهم وقد اتسعت عيونهم دهشة. وغاب الرجال ولم نجد سوى أولاد ونساء مرهقات في ثياب رثة.

وحين سمعت طلقات الرصاص خلتها آتية من مكان بعيد لأنها غريبة عن جو الامهات والاولاد. لكن الطلقات كانت حقيقية وقريبة، فارتمينا على الارض ووجدتني أزحف اتقاء للرصاص.

وصلت في زحفي الى شجرة وكان قلبي يطرق بعنف. ولم اكن الوحيد المحتمي هناك، فخلف الجذع الضخم انبطح داني صاحب الشعار "أنا أولا."

رفعت رأسي مستكشفاً، فوجدت القرية قد خلت من الجنود والنساء والاولاد الذين لاذوا بأي ساتر تيسر لهم. وسمعت رجالنا يصيحون منبهين الى وجود قناصة عند طرف الغابة. وسمعت اطلاق نار متبادلا من بنادق رشاشة.

حانت مني التفاتة الى داني، فرأيته يحدق الى شيء على بضعة أمتار من شجرتنا. فتتبعت خط نظره، واذا بي أراها هناك.

كانت على الارض فتاة صغيرة في الخامسة أو السادسة من العمر. رأيتها تصرخ باكية مذعورة. ولمعت بقعة صغيرة حمراء على كم قميصها.

في تلك اللحظة رأيت داني بطرف عيني ينتصب واقفاً نابذاً حماية الشجرة ويركض منحنياً نحو الفتاة الفيتنامية. وما حدث بعد ذلك استغرق لحظة صاعقة. وصل داني الى الفتاة فأمسك بثيابها وراح يسحبها، تارة ركضاً وتارة زحفاً، الى حمى الشجرة. وسمعت صياحاً يهيب بداني أن يسرع الى الاحتماء، ثم صوت طلقات العدو.

رأيت فوهة بندقية تومض في الشجر، فأفرغت في اتجاهها ذخيرة بندقيتي. ولكن كان قضي الامر، وأصيب داني وسقط على الارض. وعلى رغم اصابته تمكن من دفع الفتاة الى مسافة قريبة مني، فأمسكت بها وجذبتها الى الامان. وصبَّ جنودنا النار على طرف الغابة، فخفتت طلقات القناصة وهم يهربون واحداً بعد آخر.

أمسكت داني وسحبته الى تحت الشجرة. ووصل المسعف الطبي ونزع صدرته الواقية من الرصاص وراح يحاول تضميد جروحه. اقتربت من الفتاة، وكانت عيناها محمرتين من البكاء وقد خطت الدموع أثلاماً موحلة على خديها. لكنها لم تصرخ عندما تفحصت ذراعها حيث خدشتها احدى الرصاصات، بل ظلت محدّقة الى داني. وكأنها أدركت أن

ليست في جعبتها كلمات يفهمها، فمدّت يدها ولمست يده برفق ثم ركضت الى أحد الاكواخ.

علمت لاحقا أن داني سينجو. وكانت اصابته بالغة أوجبت ارساله الى "العالم." وهكذا تحققت أمنيته. وخطب فينا قائد فرقتنا مطوّلا، مركزاً على أن واجب الجندي الحفاظ على حياته أهم أضعافاً من واجب نجدة أي مدني.

وأضاف: "هذه تضحية لا ينال صاحبها وساماً."

وأظنه كان محقاً. لكنني أعرف أن ثمة فتى خشناً من فتيان الشوارع في نيويورك أدرك أنه رجل فيه من الشهامة والرجولة أكثر كثيراً مما كان يعتقد. وفي فيتنام فتاة في العشرين لا يغيب عن فكرها أن جندياً أمريكياً خاطر بحياته في سبيل انقاذ حياتها.

تيم واتس ■



كرسي الحياة

يروي لوتشيانو بافاروتي، مغني الاوبرا الايطالي الشهير، قصته مع الغناء: "عندما كنت صغيراً عرّفني أبي الخبّاز الى روائع الغناء وحضّني على تمرين صوتي. فدرست على احد المغنين المحترفين في بلدتي الأم مودينا في ايطاليا ثم التحقت بدار المعلمين. وبعد تخرجي سألت ابي: "هل احترف الغناء أم التعليم؟"

فاجابني: "يا بني، اذا حاولت الجلوس على كرسيين سقطت بينهما. في الحياة، عليك اختيار كرسي واحد."

واخترت كرسياً واحداً. وتطلّب مني ذلك سبع سنوات من الدرس والجهد قبل ظهوري كمحترف للمرة الاولى، وسبع سنوات اخرى قبل وصولي الى أوبرا متروبوليتان. والآن اعتقد أن علينا ان نهب انفسنا الى العمل الذي نختاره من أي نوع كان. الالتزام هو مفتاح النجاح، فاختر كرسياً واحداً."

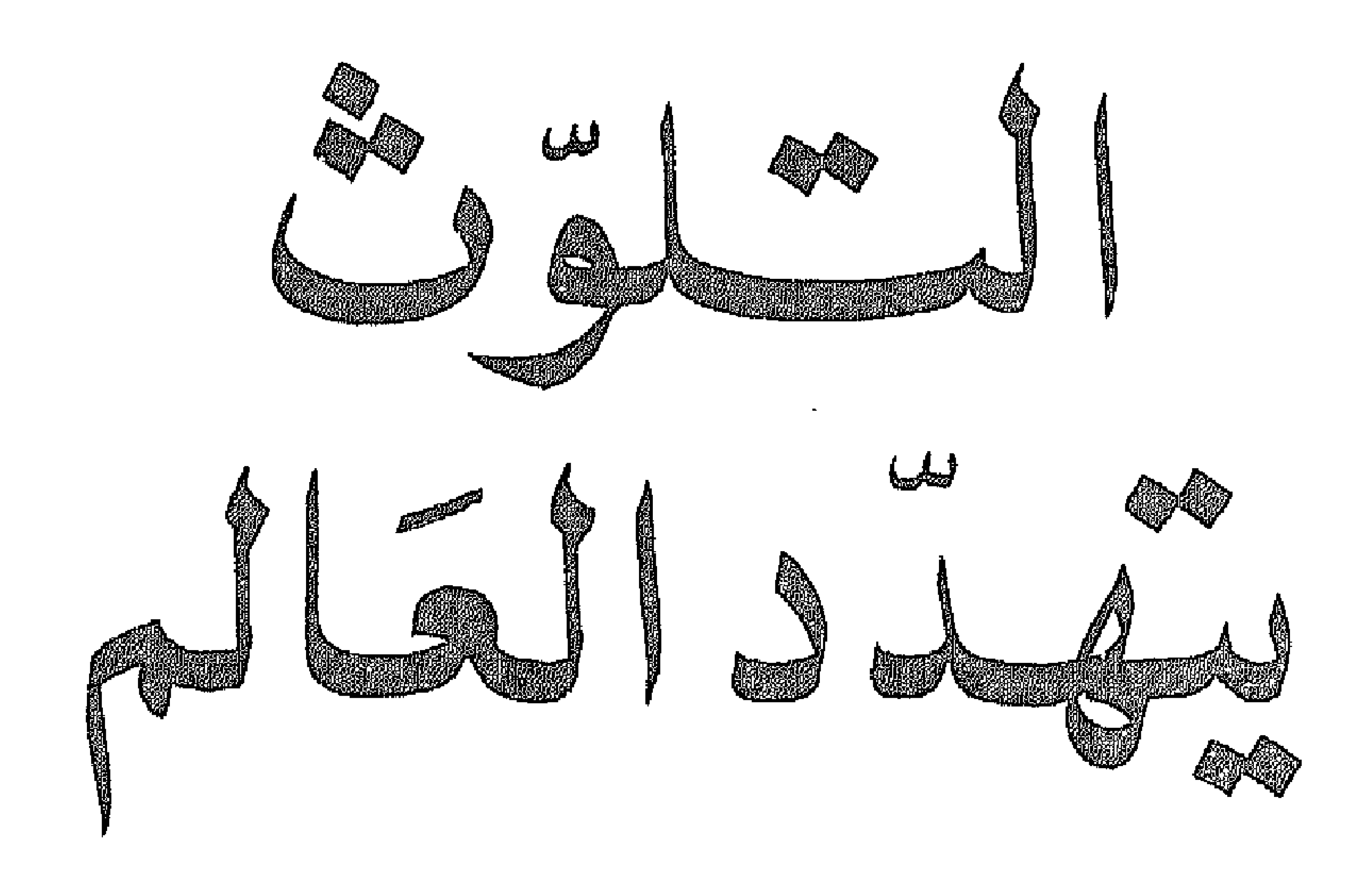
غ.ب.

قضية نسائية

عقد صفنا المتخرج قبل عشرين سنة لقاء في أحد الفنادق. وفي الليلة ذاتها كان صف متخرج في مدرسة أخرى يعقد لقاءه العاشر في الفندق عينه. وبينما كنت وصديقاتي نتبادل أطراف الحديث في حجرة التواليت، دخلت نسوة لا نعرفهن وأخذن يحدّقن الينا. واذ لم نعد قادرات على تحمل نظراتهن، التفتنا نحوهن بشزر، فقالت لنا احداهن: "لا تؤاخذننا، فنحن نريد فقط أن نرى كيف سنبدو بعد عشر سنين."

س.ا.

Reader's Digest
المختار
اغسطس (آب) ١٩٩٠
محرّم ١٤١١
السنة الثانية عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب ومقال لكل يوم بأسلوب ممتع



غاز الاوزون يؤذي الانسان ويقضي على النبات!

من المياه والأتربة المشعة حول مصنع للأسلحة النووية في ولاية كولورادو الأمريكية، الى الصحارى التي افتعلها الانسان في آسيا الوسطى السوفييتية، وابل من الأمثلة عما يفعله الجهل والاهمال بكوكبنا الذي يوفر الطعام والكساء لنا جميعاً. وحتى في البلدان التي حباها الله نعمة الثروات الوافرة والمساحات الفسيحة يعاني ملايين البشر مشاكل صحية وقضماً لمداخيلهم. ونشترك جميعاً في دفع الأعباء المترتبة على ارتفاع الأسعار والضرائب ووطأة الإجهاد - ومعدلات الوفيات في أحيان كثيرة.

وسلي ماركس صحافي متخصص بشؤون البيئة يكتب عن التلوث في أربع "بقع ساخنة" رئيسية ويستشهد بأمثلة بارزة عن الشفاء من الكوارث البيئية مبرهناً أن في وسعنا جميعاً المشاركة في وضع الحلول:

الهواء القاتل

تقع مدينة مكسيكو على قاع بحيرة جافة ترتفع ٢٢٢٥ متراً عن سطح البحر. وتسد شوارعها ثلاثة ملايين سيارة تنفث في هوائها الرقيق ضعفي ما تنفثه على مستوى البحر. ولا عجب أن يصفها الرئيس المكسيكي كارلوس ساليناس دي غورتاري بـ"المدينة الأكثر تلوثاً في العالم."

وتحوط مدينة مكسيكو قمم بركانية تحتبس الهواء الفاسد. وفي فصل الشتاء يؤدي الارتكاس الحراري* الى تكوين غطاء محكم بحيث تحتجز الطبقة الهوائية العليا الدافئة الهواء الأبرد الملوث على مستوى الأرض. وتتولى أشعة الشمس "طبخ" الغازات المحتجزة وتحويلها ملوِّثاً ثانوياً هو غاز الأوزون الذي يضر بالحياة النباتية وبالرئتين. ويصف الكاتب المكسيكي كارلوس فوانتس الغلاف البني الذي يكفن المدينة بـ"القمامة المحتجزة."

وللهواء الفاسد هذا علاقة مباشرة بتقرح الحناجر ووخز العيون وصعوبات التنفس وغير ذلك من الآفات الصحية التي تصيب السكان ولاسيما الأطفال والشيوخ.

وفي دراسة أُجريت على عينة من الأطفال الحديثي الولادة في المعهد الوطني لعلم الولادة وفي المستشفى العمومي في مدينة مكسيكو، تبين أن دماء ٧٠ في المئة من هؤلاء الأطفال تحوي كميات من الرصاص كافية للتسبب في نمو غير طبيعي.

يقول أمبرتو برافو ألفارس من مركز العلوم الجوية في جامعة المكسيك الوطنية المستقلة في مكسيكو: "لقد بات ارتفاع مستويات الأوزون حدثاً شبه يومي." وفي العام ١٩٨٩ أُقفلت المدارس طوال شهر يناير (كانون الثاني) في محاولة للتقليل من تعرض الأطفال للدخان والضباب الشتوي. ويقدِّر بعض الخبراء أن أي ارتكاس حراري طويل الامد قد يتسبب في اطلاق ضباب دخاني قاتل شبيه بالذي قضى على ٤٠٠٠ ضحية في لندن عام ١٩٥٢.

بحر الأشباح

كانت مدينة مونياك مرفأ مزدهراً ومركزاً لتصنيع الأسماك على شاطىء بحر آرال في آسيا الوسطى السوفييتية. بيد أن هذه المدينة باتت الآن على بعد ٥٠ كيلومتراً من الشاطىء، وصار لزاماً على مصانع التعليب فيها استيراد الأسماك من محيطات بعيدة كالهادىء والأطلسي والمتجمد الشمالي.

انكمش بحر آرال، كبرى بحيرات العالم، بنسبة ٤٠ في المئة، وانخفض مستوى المياه فيه حوالى ١٣ متراً، وتحول بعض قاعه صحراء ملحية مكشوفة تمتد على مساحة ٢٥ الف كيلومتر مربع.

(*) Thermal inversion

وقد غدا آرال بحراً مائتاً على أثر تحويل رافديه لري حقول القطن. وما الماء القليل الذي ما زال يصب فيه سوى محلول من الأسمدة والمبيدات. إلا أن الناس يضطرون الى شرب هذا الماء واستعماله في تحضير الطعام، اذ لا سبيل الى مياه أخرى بعدما أدى نضوب المياه الجوفية الى جفاف معظم الآبار والينابيع.

وتحمل الرياح الأملاح والأغبرة ٢٥٠٠ كيلومتر من قاع البحر الجاف الى شاطىء المحيط المتجمد الشمالي. وتنثر العواصف العاتية أكثر من نصف طن من الرمال في الهكتار الواحد. وقد أدت الأملاح الكاوية والمواد الكيميائية المحتواة في الرمال الى كارثة صحية، اذ ازدادت وفيات الأطفال واستشرى سرطان الحنجرة والتهاب الكبد واعتلال المعدة.

© BETTMANN NEWSPHOTOS

وكان بحر آرال يعمل كمكيف هواء طبيعي يلطف طقس المنطقة الصحراوي، اما اليوم فلم يعد كذلك. ويزداد الصيف حرارة والشتاء برودة مع انكماشه. كما قصُر موسم نمو النباتات عشرة أيام. ومن المفارقات أن مزارعي القطن الذين حُوِّلت المياه من أجلهم اضطروا الى زراعة الرز الأسرع نمواً.

ويميل بعض المسؤولين السوفييت الى فكرة "انقاذ" آرال بتحويل مياه الانهار السيبيرية الى الجنوب مسافة ٢٥٠٠ كيلومتر. إلا أن ذلك يكلف مليارات الدولارات ويهدد الثروة السمكية والملاحة. يقول عالم الجغرافية في جامعة ميشيغن فيليب ميكلين: "المستقبل لا يبشر بالخير، اذ من الممكن أن يتحول بحر آرال في القرن المقبل مجموعة بحيرات شديدة الملوحة لا حياة فيها تتكدس فيها النفايات." فإن صح ذلك فان حياة ثلاثة ملايين نسمة وأرزاقهم معرضة للخطر.



أرض السموم

شن عملاء مكتب التحقيقات الاتحادي (FBI) عام ١٩٨٩ غارة على مجمع من الأبنية يقع على بعد ٢٦ كيلومتراً الى الجنوب من دنفر بولاية كولورادو. أما الهدف فلم يكن عصابة للمخدرات، بل مصنع الأسلحة النووية في روكي فلاتس.

وكان هذا المصنع التابع لمديرية الطاقة الأمريكية يعمل في تصنيع "صواعق" البلوتونيوم للأسلحة النووية، وتديره شركات خاصة. وقد ووجهت هذه الشركات بتهمة "معالجة النفايات المشعة والخطرة وخزنها ورميها من دون ترخيص، وتصريف الملوثات من دون اذن، وتزوير الشهادات المتعلقة بالموجبات البيئية، وكتم المعلومات عن تلويث البيئة."

وحدد تقرير أعده "مكتب التدقيق" ١٠٨ مواقع للنفايات على أرض المصنع البالغة مساحتها ٢٦٥٠ هكتاراً، وشملت مواقع رميت فيها مواد كيميائية ومشعة طوال أربعة عقود. وقد تسربت مواد تطهير سامة الى المياه الجوفية وتكثفت فيها بمقدار يفوق ١٠٠٠ مرة المقاييس التي حددتها "وكالة حماية البيئة" لمياه الشفة. ومن أجل منع هذه الملوثات من التسرب خارج أرض المصنع وتلويث مياه الشفة، وضع مخطط قد تصل كلفته الى نحو ملياري دولار.

وفي ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٩ لاحظت طائرات المراقبة الليلية التابعة لمكتب التحقيقات الاتحادي نشاطا

PHOTO: © BRUCE MCALLISTER / GAMMA LIAISON

حرارياً في ثلاث مناسبات في مفاعل في روكي فلاتس مقفل لأسباب أمنية. وكشفت تحاليل أجرتها وكالة حماية البيئة على عينات من جدول في موقع المصنع مقادير ضئيلة من المواد الكيميائية المستعملة في معالجة الاشعاع. أما اللافت فهو أن هذا الجدول يصب في خزان لتوزيع المياه.

ولسنوات، رفضت مديرية الطاقة الاذعان للانظمة الاتحادية المتعلقة بأصول التخلص من النفايات. كما عمدت الى تعويض الشركات المتعاقدة ما تدفعه من غرامات وتسويات ومصاريف قانونية لمخالفتها قوانين البيئة.

أمطار تذيب المدن

في مدينة كراكوف البولونية ستة آلاف من المنازل والأديرة التاريخية تعتبر من الروائع الهندسية. إلا أنها اليوم تعاني حال "برص" حادة. فوجوه التماثيل ممحوة، وقطع البناء تتهاوى من الأبراج، والتماثيل تفككت أكواماً من الصخر الأسود. والسبب أن المصانع ومناجم الفحم في سلسيا العليا تنفث مقادير هائلة من الملوثات، وخصوصاً ثاني أوكسيد الكبريت.

والمعروف عن ثاني أوكسيد الكبريت أنه يتفاعل كيميائياً مع الرخام وحجر الجير (الكلس) ما يؤدي الى تصدع الابنية وانحلالها. كما أنه يتوحد مع أوكسيد النيتروجين وبخار الماء مكوناً مطراً حمضياً يعجِّل، مع غيره من المؤثرات، انحلال السكك الحديد. لذلك تعمد قطارات المنطقة الى تخفيف سرعتها الى ٤٠ كيلومتراً في الساعة. وقد أدى هذا المطر الحمضي إلى تلف الغابات في مساحة لا تقل عن ١٨٠ ألف هكتار.

وتسببت المعادن السامة الخارجة من مداخن المصانع المتكدسة في تلويث التربة، حتى أصبحت بساتين الخضر في سلسيا العليا تحتوي على كميات من الكادميوم والزئبق والزنك تفوق مقاييس منظمة الصحة العالمية بنسب تراوح بين ٣٠ و٧٠ في المئة.

ويسبب تلوث الهواء والماء والتراب مشاكل صحية خطرة. فقد ازدادت معدلات الاصابة بالسرطان وأمراض التنفس في سلسيا العليا وباتت تفوق معدلها العام في البلاد بما يراوح بين ٣٠ و٥٠ في المئة. كما تدنت متوسطات العمر المتوقع. وأُعلنت بعض القرى أماكن غير صالحة للعيش البشري ووزع سكانها على مناطق أخرى.

وعلى رغم هشاشة الواقع، فهناك من الأسباب ما يدعو الى الإيمان بأن بقع المشاكل هذه قابلة للمعالجة. ففي أمكنة أخرى من العالم أناس كرسوا أنفسهم لهذا الأمر ونجحوا في جبه التحدي:

كوريا الجنوبية: المال ينمو على الشجر

حتى أوائل السبعينات كان القرويون في هذا البلد الآسيوي يقطعون الأشجار

بسرعة تفوق قدرة الغابات على النمو. وكانوا يعمدون الى حرق الأوراق الساقطة التي تخصب التربة. ومن جراء ذلك تعرَّت المنحدرات وباتت عاجزة عن امتصاص الأمطار الغزيرة، وبالتالي عن حماية أراضي المدن المنخفضة من إنزلاق الوحول واندفاع الفيضانات. وقد حدث بعد احدى العواصف أن فاض نهر الهان مغرقاً ٦٧٢ مواطناً في مدينة سيول وتاركاً ٣٢٦ ألفا من دون مأوى.

هزت هذه الكارثة شعب كوريا الجنوبية، وأدى تحركه الى وضع خطة عشرية طموحة تقضي بإعادة تشجير مليون هكتار من الغابات المتحاتَّة.

لكن المهمة كانت مثبطة. فمعظم الغابات أملاك خاصة. والأنظمة العرفية تسمح للقرويين بالتحطيب أينما شاؤوا. وقد أخمدت هذه الأعراف اندفاع أصحاب الأملاك الى إعادة التشجير لأنهم لا يستطيعون ادعاء ملكية الأشجار والافادة من بيع أخشابها.

ومن أجل تنفيذ المشروع طلبت السلطات من السكان تأسيس جمعية في كل قرية، لها رئيس منتخب وتتولى إعادة تشجير الغابات المحيطة بالقرية ورعايتها. وقدمت الجمعية البذور والأسمدة والمساعدات التقنية الى المالكين وضمنت لهم نسبة ١٠ في المئة من المحصول.

وجاء رد الفعل مذهلا، إذ انشئت نحو ٢٠ ألف جمعية خصص أعضاؤها البالغ عددهم مليونين شهراً من كل ربيع للتشجير ووقتاً كافياً لاقتلاع الأعشاب الضارة في الخريف. يقول هانس غريغرسن، وهو أستاذ في علم الجِراحة في جامعة مينيسوتا تابع ما جرى في كوريا الجنوبية: "لقد عمل كبار مسؤولي التحريج جنباً الى جنب مع المراهقين." وكانت النتيجة إعادة تشجير مليون هكتار قبل أربع سنوات من انتهاء الخطة العشرية.

واليوم يحصل القرويون على الحطب بتشذيب اغصان الغابات الجديدة. وقد قفز محصول الكستناء من ١٣٠٠ طن عام ١٩٦٧ الى ٣٣ ألف طن عام ١٩٨٦، فاتحا سوقاً للتصدير يبلغ مردودها السنوي ٥٣ مليون دولار. كما يبلغ مردود فطر الصنوبر الفاخر ٣٠ مليون دولار سنويا.

وبذلك أصبحت المناطق الريفية الخضراء أكثر انتاجا ومكاناً أنعم للعيش. يقول غريغرسن: "باتت المرتفعات المشجرة أقدر على امتصاص مياه الأمطار ومقاومة التآكل وغدت الفيضانات والانزلاقات القاتلة أقل خطراً."

الدانمرك:
لا تلوث، لا مشكلة

ذات يوم من شتاء ١٩٧٢ جنحت شاحنة محملة بالفينول، وهو مركَّب حمضي أكّال، وانقلبت ناشرة حمولتها السامة في جدول مما تسبب في نفوق الأسماك وتلويث مياه قرية مجاورة. وبعد تنظيف الجدول من المادة المندلقة شرَّع المسؤولون أنظمة سلامة جديدة.

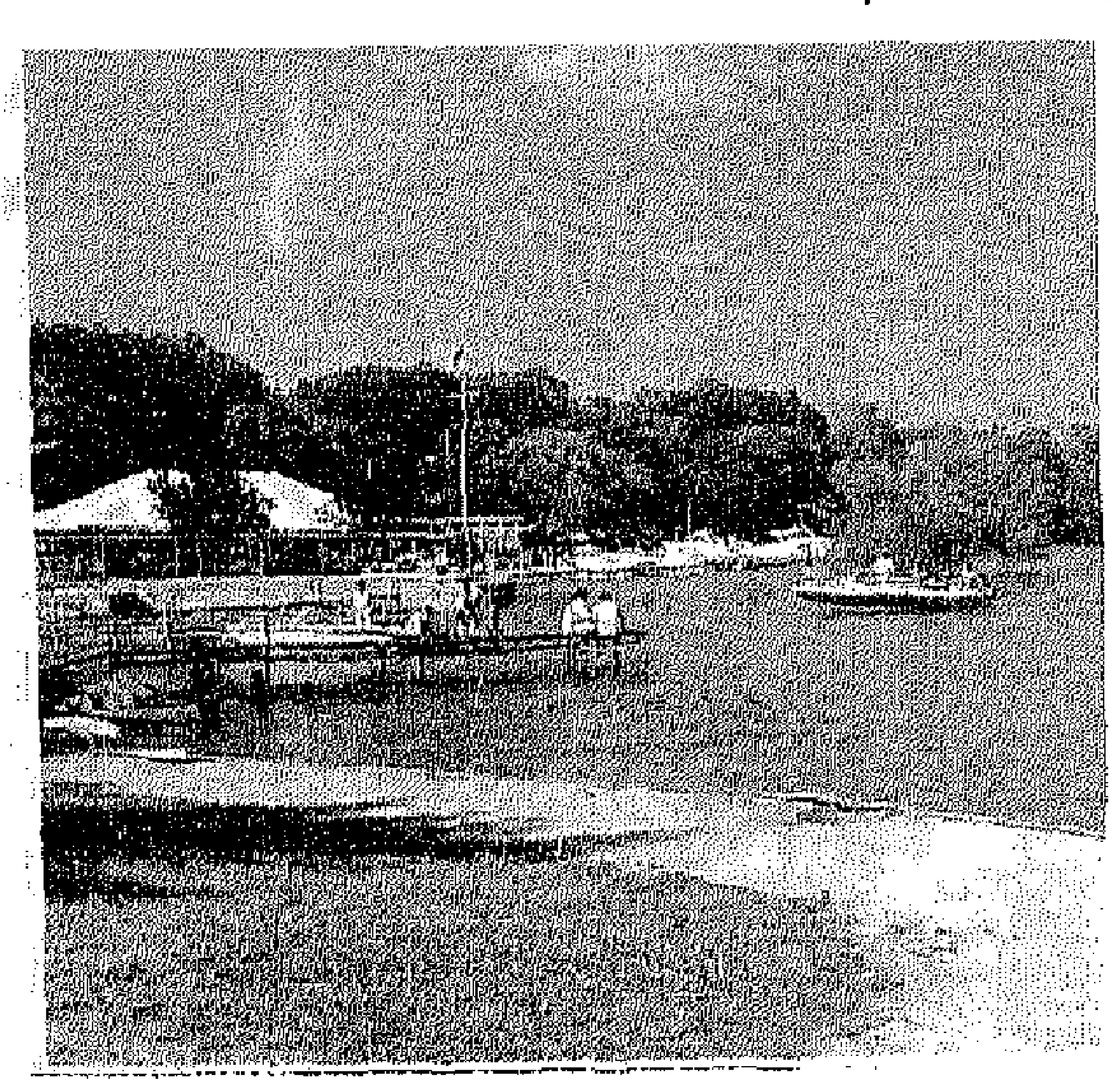
وفي حين اعتمدت دول أخرى مرامي خاصة للنفايات، بادرت الدانمرك، تلك الدولة الصغيرة التي تتكل على المياه الجوفية للشرب، الى أخذ اجراءات لمعالجة المشكلة من جذورها. فعلى الشركات العاملة في هذا البلد الابلاغ عن أنواع النفايات المُنتجة وكمياتها الى السلطات المحلية التي تمنحها اذناً بمعالجة النفايات في مواقعها أو بإعادة تكريرها. وإن لم تفعل، فعليها نقل نفاياتها الخطرة، بعد تسميتها وعزلها بعناية، الى احدى محطات التحويل الاحدى والعشرين التي تتولى بدورها نقل ١٧٨ ألف طن من النفايات سنوياً في قطارات وشاحنات وبواخر الى مصنع مركزي للمعالجة.

وفي كل بلدة دانمركية محطة لجمع النفايات الكيميائية المنزلية يقصدها المواطنون طوعاً. وبفضل هذه المرامي قلّصت الدانمرك نزوع السكان الى تفريغ مواد التنظيف والزيوت المستعملة والمبيدات في أقرب مصرف للمياه.

وهكذا فإن الدانمرك تطبق اليوم واحداً من أكمل أنظمة معالجة النفايات الخطرة. وتعمل بلدان أخرى بهدي البصيرة الدانمركية التي تتوخى الفاعلية والسلامة باقتلاع المشاكل من جذورها.

وسكونسن: عودة الثعلب

مصانع الورق هي ملوِّثات سيئة السمعة. وتقع كبرى مجمعاتها في العالم على ضفاف نهر فوكس (الثعلب) في



وسكونسن، وهو ممر مائي طوله ٦٥ كيلومتراً بين بحيرة ونيباغو وخليج غرين. فقبل زمن ليس ببعيد تسببت إفرازات ٢٠ مصنعاً وست محطات بلدية لمعالجة المياه الآسنة، في القضاء على مجمل الأحياء المائية في النهر، باستثناء طبقات لزجة من الديدان تكيفت والتلوث. وساعدت صور مثيرة لنهر فوكس في تعبئة الرأي العام لمساندة "قانون المياه النظيفة" الذي سن عام ١٩٧٢ ووضع حداً لكميات النفايات المرمية كما حدد مقاييس لنوعية المياه.

لكن القانون الجديد لم يكفِ لانقاذ الجزء الادنى من نهر فوكس. فقد ظل حجم مياه المجاري المعالَجة أعظم من قدرة النهر على امتصاص المحتويات المغذية التي تستنزف الاوكسيجين في الماء. يقول المخطط الاقليمي هارلان كيسو: "في الصيف، حين يهبط مستوى الماء ويخف دفقه، كانت الطحالب القذرة تغلّف النهر."

ومن أجل إعادة الحياة الى النهر

PHOTO: COURTESY EAST CENTRAL WISCONSIN REGIONAL PLANNING COMMISSION

عمدت مديرية الموارد الطبيعية في وسكونسن الى مراقبة المؤشرات الحيوية - من قياس حرارة المياه على مدار الساعة الى قياس مستوى الأوكسيجين في المياه - مما اتاح تقدير حجم استيعاب النهر للملوثات. ثم سمحت لكل مصنع أو معمل لتكرير المياه بجزء معين من هذا الاستيعاب. وتركت للشركات والبلديات حرية اختيار وسائل المعالجة ما دامت افرازاتها ضمن الحدود المرسومة.

وجاءت النتائج مشجعة. ومثال على ذلك شركة "غرين باي للرزْم" التي اعتمدت إعادة تكرير المياه المستعملة في الصناعة، ونجحت في زيادة انتاجها من الورق المموَّج فيما قلصت نفاياتها المفسدة للأوكسيجين.

وهكذا بات نهر فوكس الذي كان منسياً، قبلة المدققين في نوعية الماء الذين لا يقعدهم عملهم هنا عن التمتع بمياه النهر. وعاد الصيادون الهواة الى صيد أسماك "الجاحظ" الضخمة، وانتشرت وفود المستحمين في مياهه التي عادت اليها نقاوتها.

إن انقاذ هذه المناطق من الكوارث البيئية لأمثولة تبعث على الأمل. فبعقد العزائم وبذل الجهود نستطيع معالجة أسوأ الآفات البيئية التي تلطخ العالم. وبالتبصر الذي ولدته التجارب والمكتسبات العلمية نستطيع الحفاظ على بيئة عالمنا لأجيال تنعم بها على مر العقود الآتية.

وسلي ماركس ■



صديق طبيب

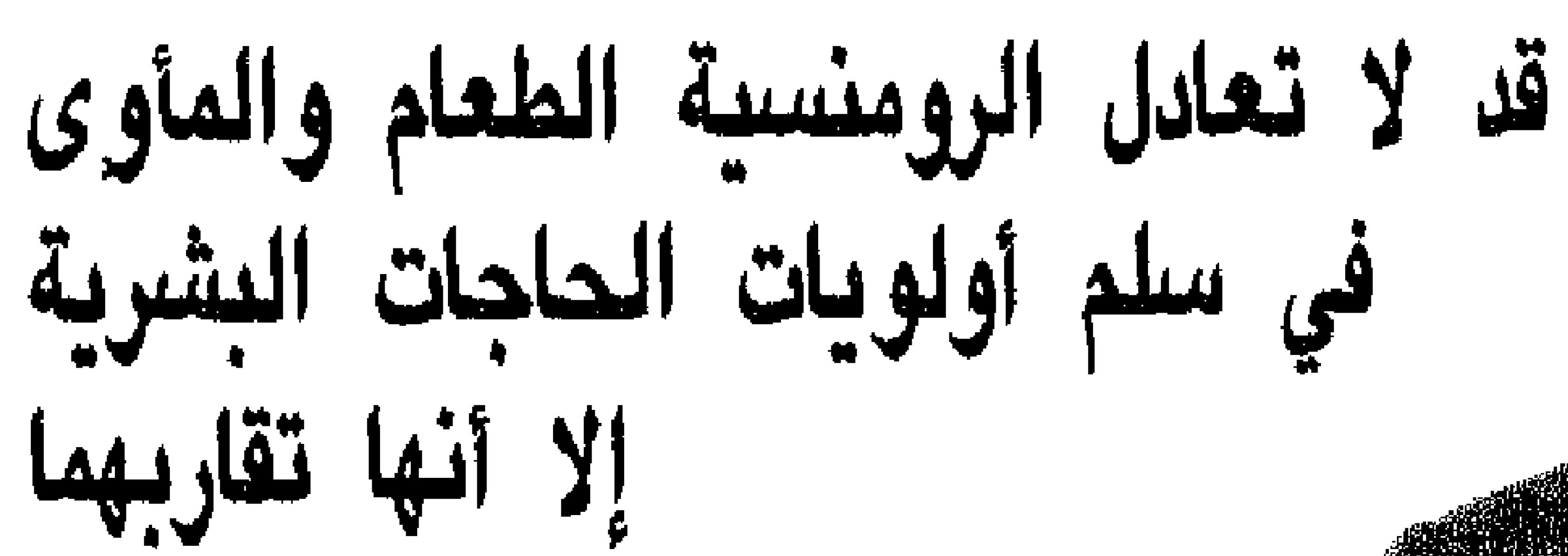
أنا طالب طب، ووالداي طبيبان أيضاً. لذا اعتدت استشارة الناس اياي في المسائل الطبية. وبينما كنت أقرأ الصحيفة ذات يوم سألني أحد أصدقائي: "كيف أعرف ما اذا كنت أفقد ذاكرتي؟" فأجبته من دون أن أرفع نظري عن الصحيفة: "لقد شرحت لك ذلك البارحة."

هـ. ش.

ازدهار يقبض النفس

بعد أيام من مباشرتي العمل في جريدة محلية، عَبَر رجل القسم الذي أعمل فيه وهو يقول: "الأعمال في ازدهار." فتنهدت زميلتي وقالت: "تنقبض نفسي حين أسمع ذلك." نظرت اليها بعينين مستغربتين، فأضافت: "انه محرر صفحة الوفيات."

م.ب.


قد لا تعادل الرومنسية الطعام والمأوى
في سلم أولويات الحاجات البشرية
إلا أنها تقاربهما

الجاذبية الجنسيّة تنعش الحبّ!

عندما أخبرني الطبيب مغتبطا، بعد انقضاء ستة أسابيع على ولادة طفلتي الاولى: "في وسعكِ الآن مزاولة الحياة الجنسية كالعادة،" شعرت بالغضب وقلت في نفسي: جنس كالعادة؟ حياة كالعادة؟ لا بد أنه يمزح!

أحب وزوجي ابنتنا كثيراً، لكن قدومها قلب حياتنا إذ بات علينا فجأة تغيير نمط حياتنا وحتى الطريقة التي نتبادل بها المشاعر.

يضفي الأطفال الفرح على الحياة الزوجية ويستحقون رعايتنا. بيد أن هناك

CONDENSED FROM «HOW TO STAY LOVERS WHILE RAISING YOUR CHILDREN,» COPYRIGHT © 1990 BY ANNE MAYER, PUBLISHED BY PRICE STERN SLOAN, INC., LOS ANGELES, CALIF.
PHOTO: ERNEST COPPOLINO

ضرراً فادحاً في تحجيم أنفسنا الى دور "خدم للأطفال لا يمارسون الجنس." إننا نعتقد خاطئين أن الاطفال لا يحسنون الاعتناء بأنفسهم وأن الزواج باق ويتكفل بنفسه. فعندما يغدو قضاء الوقت معاً كزوجين أمراً في أدنى سلم الأولويات، تكون النتيجة إلحاق الأذى بالزواج وبالاطفال أيضا.

يستطيع الزوجان استعادة الرغبة الجنسية إن توصلا إلى إيجاد توازن بين حاجاتهما وحاجات أطفالهما. عليهما بادىء الأمر التسليم بأنهما حبيبان بمقدار ما هما والدان.

كتبَ المؤلف لورنس شيمس: "قد لا تكون الرومنسية في أهمية الطعام أو المأوى في سلم الحاجات البشرية، لكنها ليست دونهما كثيراً – إنها من الأمور التي نحيا لأجلها."

ولكن من السهل نسيان ذلك. فعندما نصبح والدين يشعر كثيرون منّا فجأة بأن عليهم التحول الى أشخاص جديين بعيدين عن التفاهات. ولكن من منّا لا يرغب في قليل من الأثارة الرومنسية؟ الا اعلموا أن تلك الرومنسية، تلك الشرارة، هي وليدة عنصر المفاجأة.

غالباً ما يذهب زوجي في رحلات عمل خارج المدينة. ونحن لم نحبَّ لحظة الوداع مرة، ويتملكنا الاشتياق دائماً في هذه الغيبات. ومرة غلبني الشوق فرحت أتساءل كيف أصل إليه.

فجأة راودتني فكرة، فاتصلت بمكتب الاستقبال في الفندق حيث كان نازلا. وعندما عاد زوجي الى غرفته وجد سلة فاكهة ومعها رسالة ضمنتها حبي وشوقي وتمنياتي أن يكون أمضى رحلة مريحة. وكان لذلك أبلغ الأثر فيه، اذ تلقيت في اليوم التالي تذكرة سفر ومعها رسالة يسألني فيها أن أمضي معه عطلة نهاية الاسبوع.

تسارعت نبضات قلبي وأنا أفكر في ما تحمله هذه الرحلة من امكانات. لكن عقلي شدني الى الواقع، فرحت أفكر: هل أستطيع تدبير حاضنة لطفلتي بالسرعة المطلوبة؟ أهكذا ننفق المال عبثا؟

وأخيراً تركت لقلبي القرار. اتصلتُ بالحاضنة وأنا أحاول إقناع نفسي بأن ما سننفقه من مال هو استثمار مفيد في حياتي الزوجية وحياة عائلتي. فكانت لنا عطلة مفعمة باثارة لم يعادلها إلا شعورنا الغامر يوم وقعنا في الحب للمرة الاولى.

الشجاعة ضرورية. عندما بلغت ابنتنا ميرل الخامسة والثلاثين من عمرها ذهبتْ وزوجها لقضاء ليلتين في سان فرنسيسكو احتفالا بعيد ميلادها. ولدى عودتهما قالت: "لقد أمضينا وقتا ممتعا أردته ألا ينتهي. ولكن، تعلمين، على المرء دفع الثمن في النهاية."

سألتها: "ماذا تقصدين؟"

فأجابت: "إن الاستمتاع بعيداً عن الأطفال يشعرك بالذنب."

يساور ميرل، كغيرها من الامهات، إحساس غير واقعي بالواجب الامومي يسبب الكآبة والانقباض في الأمسيات الواعدة بقضاء وقت ممتع. وبالنسبة الى بعض الأزواج، يحول هذا الاحساس دون

خروجهم معاً إلا إلى المآتم أو اجتماعات الأهل بالأساتذة. لذلك فان الحفاظ على الرومنسية يقتضي تخصيص أوقات للاستمتاع من غير إفسادها بشعور بالذنب.

بعد انقضاء شهر العسل وولادة الأطفال يدخل الأزواج نفقاً من التوقعات غير المستندة الى واقع، مفترضين أن في وسع الشريك قراءة الأفكار واستكناه الحاجات والرغبات. وإن لم يفعل فانهم يصابون بخيبة ويفترضون أن المتعة زالت من الحياة الزوجية.

ليست الحياة قصة رومنسية خرافية. فالطفل يتقيأ ويبكي كثيراً. وهناك فواتير ندفعها وثياب نغسلها. ولا يسع أحداً أن يكون فاتناً على الدوام. ولكن من المستطاع خلق أجواء تقود الى الرومنسية والى إيقاظ الحبيب في الشريك.

ليس من إنسان منزه عن الخطأ. لذلك كُفّوا عن لوم الشريك وانتقاد ما فيه وما ليس فيه وما يفعله وما لا يفعله. إن الحياة الزوجية والجنسية السعيدة متيسرة، إلا أنها تتطلب مقداراً من الشجاعة، كالاعتراف بالخطأ فور وقوعه وتقويض الجدران الحائلة بينكما وإخبار الشريك بحقيقة رغباتكم وحاجاتكم.

شعرت صديقة لي أن زواجها بدأ يشكو فتوراً. فسألتها: "إن عزمتِ على قضاء أمسيةٍ رومنسية، فماذا تفعلين؟"

قالت: "أرسل الأولاد الى بيت أمي وأستقبل زوجي على الباب كما في الافلام. ثم نجلس قبالة مدفأة ونتناول طعام العشاء. وبعد ذلك نتهادى الى غرفة النوم حيث أدلله ويدللني ونمارس الحب حتى الثمالة."

قلت لها: "يبدو هذا رائعاً. هل حددت موعداً لذلك؟"

فأجابت: "أتمزحين؟ إن طلبت موعداً ظن زوجي أنني جننت. لقد مر زمن طويل ونحن ماما وبابا."

مرت أيام قبل أن تجد جويس الشجاعة لاعلام زوجها بنزوتها. ولمّا فعلت فوجئت بمدى استجابته.

إكسير الحب. مع الوقت يساور الأزواج اعتقاد أن زمن "الصيد" ولّى فيتوقفون عن محاولة اضفاء الجاذبية والإثارة على أنفسهم.

المظهر الحسن يجعل الشريكين أقرب عاطفياً وجسدياً واحدهما الى الآخر. بهذه الوسيلة نجحتم في اجتذاب الشريك أول الأمر، ويُستحسن الاستمرار في ذلك لتغذية الاهتمام المتبادل. ولا تقل إيماءات الحب أهمية إذ إنها تضفي شعوراً بالغزل. ولا يهم أن تكون هذه الايماءات جدية أو تافهة أو مثيرة، المهم أن تجعلوا الشريك يشعر بمدى اهتمامكم به. فجميع الأزواج تستهويهم عبارة: "كم أنت رائع!" هناك رجل أعرفه يتصل بزوجته مراراً كل يوم ليعرب لها عن مدى هيامه بها. يقول: "إنها لعادة حسنة تشعرنا بقوة الرابط الذي يجمعنا."

ويسعكم أن تفعلوا مثل صديق لي أب لطفلين. فذات ليلة تسلل خارجا من الباب الخلفي ثم قرع جرس الباب الأمامي.

وعندما فتحت زوجته الباب قدم اليها وردة جميلة وطلب موعداً. قالت لي: "شعرت كأني تلميذة مدرسة."

إلا أن هناك أنواعا من اللقاءات لا تخدم الغاية المبتغاة. فإن قضيتم الأمسيات الموعودة تبحثون في شؤون الأولاد وشجون العمل، فاتكم القصد من هذه اللقاءات.

تذكر أم لصبيين صغيرين: "يدور الحديث بيننا على أمور حدثت لنا حين كنا أصغر سناً، وعن المغامرات التي خضناها معاً كركوبنا النهر على طوف وممارسة الحب ونحن في قمة النشوة."

على الزوجين ابتكار أمسيات حميمة مرحة تعيدهما إلى زمن اللقاء الأول لا إلى واقع أن الزوج هو "أبو سامر" والزوجة هي "أم سامر."

يحتاج الآباء والأمهات الى أوقات ممتعة يسودها الضحك والمرح. ان شعور الشريك بأنه مثير حقاً، والعمل على إحداث هنيهات رومنسية، ترياقان رائعان للضجر والقلق. فعندما يعمل الزوجان على توليد حماسة في علاقتهما، يبنيان رابطا قويا حميما ينعش الحب الناضج بإكسير الحب الفتي الرومنسي.

آن ماير ■

خسارة أم ربح؟

غيّرت عملي، وبتُّ اتقاضى راتباً اقل من ذلك الذي كنت أتقاضاه من عملي السابق. فابدلت سيارتي الفخمة الكبيرة بأخرى صغيرة. وفيما انا اندب خسارتي، حاول صديق لي دائم التفاؤل التخفيف عني، فقال: "لا تنظر اليها على أنها سيارة صغيرة، بل اعتبرها دراجة نارية مزودة مكيف هواء وآلة تسجيل.»

د.هـ

الأفضل!

التحق ابني بفريق كرة القدم في المدرسة. وبعد يومه الاول في التمرين سألته كيف سارت الأمور. فأجابني بابتسامة عريضة: "يقول المدرب انني الافضل بين سوا ثلاثة لاعبين."

و.ب.

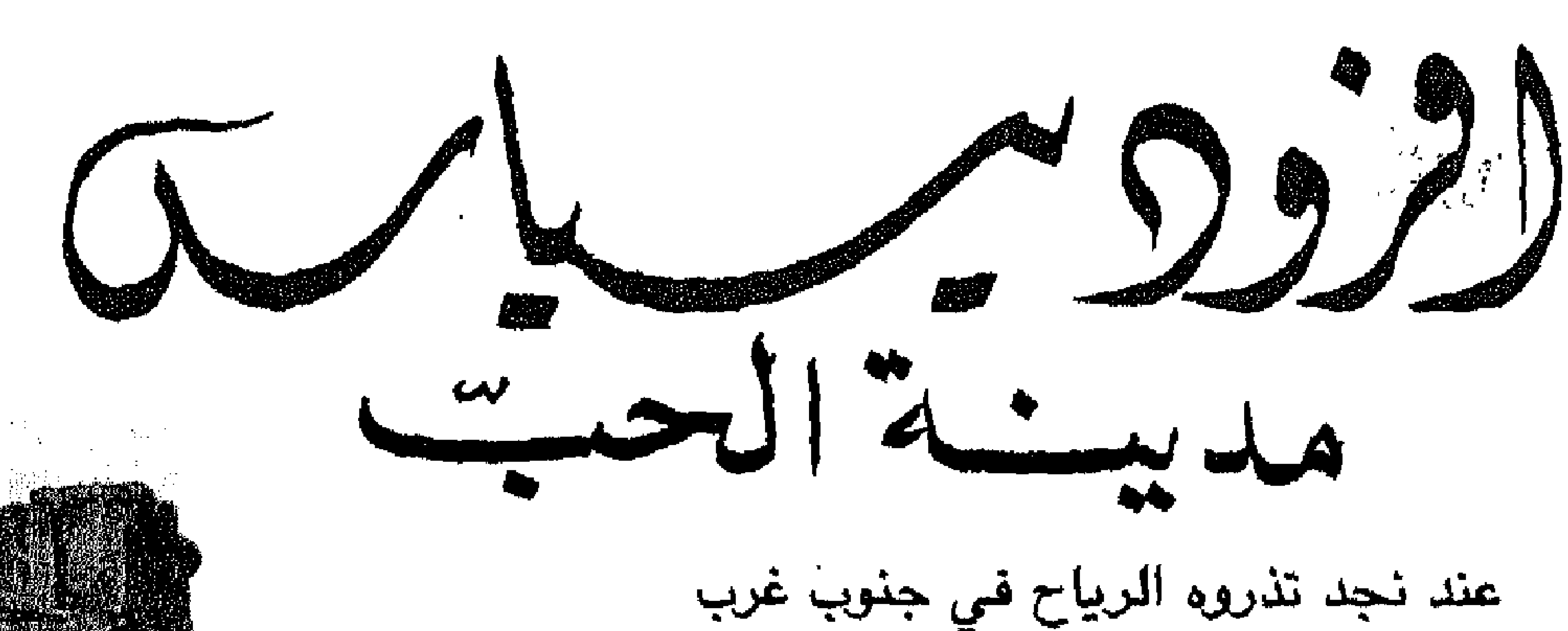
أنصار البيئة!

عمّال المطعم في جامعتنا دائمو التذمر من فضلات الطعام التي نتركها في صحوننا. وذات يوم وجدنا لافتة على مدخل المطعم جاء فيها: "خذ ما تشاء، لكن كُل ما تأخذه. فنحن نهدر نفايات كثيرة يمكن أكلها."

د.ك.



مدينة اغريقية - رومانية ترقد تحت قرية تركية



افروديسياس مدينة الحبّ

عند نجد تذروه الرياح في جنوب غرب تركيا، مدينة متألقة تنهض من التربة التي طمرتها ما يزيد على ألف سنة. اسمها أفروديسياس أي "الحب"، وفي وسطها آثار فينوس، أو عشتروت، رمز الحب والجمال المعروفة باسم "أفروديت" في اليونان.

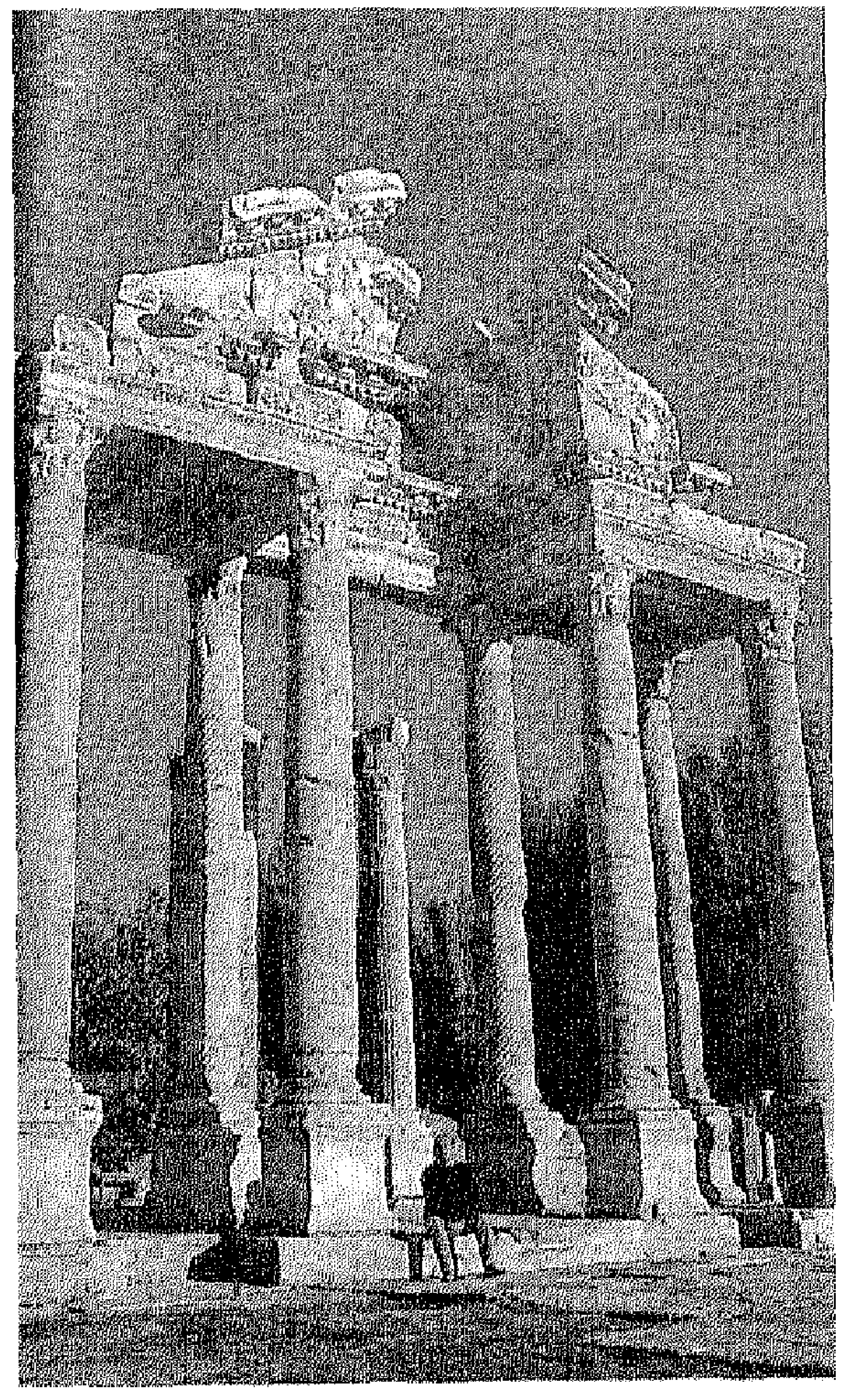
كانت أفروديسياس ابان عصرها الذهبي، بين العام ١٠٠ قبل الميلاد والعام ٣٠٠ بعد الميلاد، مدينة مستقلة

PHOTOS: KENAN ERIM

مزدهرة ضمن الامبراطورية الرومانية، تسن شرائعها وتسك نقودها الخاصة. وكان مصدر ثرائها غلالها ومرمرها وزوارها. وكانت فيها نخبة من ٢٠ أسرة غيورة على المصلحة العامة تتألف من كبار ملاكي الاراضي، تعهدت مشاريع الأبنية الفخمة ورعت الفنون على مر الاجيال. لكن الزلازل عاثت في المدينة خراباً في القرن الرابع للميلاد. وبحلول العام ٧٠٠ غطت خرائبها أتربة تقاذفتها الرياح.

إن بعثها من سباتها اليوم يعود الى رجل واحد يدعى كنعان اريم، وهو عالم آثار أمريكي تركي المولد أشرف على عمليات الحفر مدة ٢٩ عاماً. وتنتشر المدينة الناهضة على مساحة مئة هكتار، تحوطها أسوار قديمة. وفيها أروقة معمَّدة وستاديوم[١] ومسرح في الهواء الطلق يتسع لثمانية آلاف جالس وأكروبوليس[٢] وحمامات وهياكل رومانية وتشكيلة مذهلة من الآثار الفنية الرفيعة المستوى، ما يجعلها أحد أفخم مواقع آثار العصور القديمة. وقد أمها عام ١٩٨٩ ما يربو على ٢٠٠ ألف زائر كحلوا أبصارهم ببهاء مناظرها. تقول ماريا سكوارتشيابينو من جامعة سابينزا في روما، وهي مؤلفة المرجع الأم لمنحوتات أفروديسياس: "قلة من النصب العتيقة في العالم تضاهي نصب أفروديسياس."

واريم، كهل، أعزب، مترع بالنشاط له من العمر واحد وستون عاماً، يشبه المنظر الجانبي لرأسه وجه امبراطور روماني منقوش على ميدالية. إنه منسجم



اريم جالساً على قاعدة تترابيلون.

تماماً مع بيئة العصور القديمة التي ينقبها. وهو سليل علاقات أتراك وموظفين مرموقين في الحكومة التركية. تلقى علومه في سويسرا حيث أُلحق أبوه بعصبة الأمم آنذاك. ولدى انتقال العائلة الى الولايات المتحدة درس علم الآثار في جامعة برنستون، وشرع في تعليم آداب الاغريق والرومان في جامعة نيويورك وما زال.

وفي عطلة أمضاها في تركيا عام ١٩٥٩ زار موقع أفروديسياس الذي

(١) الستاديوم مدرّج اغريقي للالعاب الرياضية.
(٢) الاكروبوليس هو الجزء الاعلى المحصن من مدينة اغريقية.

شغلته دسكرة زراعية اسمها "غير." فأثارت فضوله خرائب قليلة باقية أماطت لثامها استكشافات متقطعة أجريت باكورة القرن العشرين وعام ١٩٣٧. وبعد سنتين حاز من السلطات التركية اذنا بالتنقيب. وأتى ذات يوم من صيف ١٩٦١ ونصب مخيماً في غير وفي حوزته ١٨ ألف دولار هي مساهمات خاصة حصل عليها، يساعده نفر من المتطوعين.

يقول اريم: "رأيت قطعة من منحوتة مرمر بارزة من خندق للري. فأحضر أهالي القرية المجارف ونبشوا رأساً مرمريا بديعا لامرأة تمثل مدينة أفروديسياس. مذذاك التصق مصيري بالمدينة المطمورة. وأصبحت أفروديسياس حياتي."

حُسن تحت التراب. في مستهل السبعينات استملكت الحكومة التركية معظم المنازل في غير، وما لبثت هذه أن هُدّت افساحاً لأعمال الحفر. وشغّل اريم عدداً كبيراً من السكان الذين انتقلوا الى قرية مجاورة.

وكان مع اريم فريق مساعدين من حقول شتى: علماء آثار ومهندسون معماريون وعلماء في آداب الاغريق والرومان ومؤرخو فنون ونحاتون وسواهم من أهل الاختصاص الامريكيين والبريطانيين والنمسويين والفرنسيين وغيرهم. وكان يطعمهم ويسكنهم بيتاً قديماً في القرية ويؤمن وسائط نقلهم.

وتمكن اريم وفريق عمله من حفر ربع مساحة الموقع الى الآن. وهو يأمل حفر المساحة المتبقية وترميم النصب الصالحة وإحالة المكان متنزهاً مليئاً بالآثار. يقول المؤرخ الثقة البريطاني جون جوليوس نورويتش: "اذا تسنى لاريم أن يستمر في عمله لربع القرن الآتي، بالاكباب نفسه، فسيكون عمله من أروع المنجزات الاثرية في عصرنا."

ومع ما أصابه اريم من نجاح فانه ما زال يعمل بطيب خاطر. ويظل تمويل المشروع مسألة ملحة. وهو يؤمن استمرار العمل في أفروديسياس بانفاق الأجر الذي يتقاضاه عن محاضراته، ومن هبات المؤسسات، ومن الاموال التي تجبيها جمعيات "أصدقاء أفروديسياس" في تركيا وفرنسا والولايات المتحدة. وموازنة المشروع للعام ١٩٨٩ لم تتعد ١٠٥ آلاف دولار، وهو مبلغ زهيد. ويفضي اريم بمكنونه في هذا الشأن: "اننا في حاجة الى ضعفي هذا المبلغ. فتعطل قطعة من المعدات يوقعنا في محنة. ونصب عمود واحد ساقط يكلف مالا كثيراً."

لكن نفاذ بصيرة اريم تعوض أحيانا سنة عجفاء. تقول ناتالي دو شيزمارتان وهي فرنسية خبيرة في النحت أمضت عشرة أصياف في افروديسياس: "اريم صياد كنوز. وموهبته في الحدس مروعة. إنه يحزر موقع شيء مطمور، فيستدعي حفارين، فيعثر على التحفة." وقد اكتشف عام ١٩٧٧، على سبيل المثال، منحوتة رائعة الحسن من المرمر الازرق لجواد بالحجم الطبيعي مدفونة تحت بقعة مغطاة بالعليق خارج حمامات هادريان.


رأس أوكتافيان، الامبراطور اغسطس لاحقاً، في سيباستيون.

نفحة من روما. عندما أراني اريم الحفريات في أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٩ زودني معلومات عن تاريخ أفروديسياس: "ظلت الحياة في هذا المكان على تقطع مدة ٦٠٠٠ سنة على الأقل. لكن التاريخ المدون وحياة المدينة لم يبدأ الا مع اختراق الرومان هذه المنطقة في القرن الثاني قبل الميلاد. ومنذ العام ١٠٠ قبل الميلاد قطن افروديسياس المزدهرة أناس متعددو المشارب من أعراق آسيوية واغريقية ورومانية. وكانت اليونانية اللغة المشتركة بينهم."

قال لي اريم: "انظر!" وكنا بلغنا مبنى المسرح. الجانب الشمالي من البناء، المعروف باسم "جدار الأرشيف"، يبلغ ارتفاعه خمسة أمتار وعرضه ١٥ متراً، وهو معلّق بلوحات من المرمر عليها كتابة منقوشة. النص اليوناني المنقوش الذي دلني عليه اريم استنساخ لرسالة من العام ٣٩ قبل الميلاد كتبها أوكتافيان الذي أصبح في ما بعد الامبراطور أغسطس. وفي اللوحات ما يأتي: "اخترتُ هذه المدينة من بين مدن آسيا لتكون موطني. أريد أن يكرَّم أهلها كأنهم سكان بلدتي." ولما كانت مقاطعة آسيا الرومانية تشتمل على مدن قديمة شهيرة مثل افسس وبرغاموم (برغاما) وسميرنا (إزمير)، فهذا ثناء ما بعده ثناء.

أخبرني اريم أن أفروديسياس مدت روما بالجند عام ٨٨ قبل الميلاد في حربها مع ميتريدات ملك بنطس، وآزرت أوكتافيان في ما بعد ضد أعدائه. وفي المقابل، أغدقت روما الاعطيات والامتيازات على المدينة. وصدر مرسوم عن المجلس الاشتراعي الاعلى في روما يعفي أفروديسياس من الضرائب ويمنع إسكان أي جندي روماني في بيوت مواطنيها.

أفروديسياس غنية عن البيان. فنقوشها تصور فنون عمال الكتان وتحدد أسعار البضائع وتكرِّم المواطنين الذين يستحقون التشريف.

أطلال مبنى أفروديت تهيمن على المكان، بأعمدته المحزَّزة المرمرية الأربعة عشر المنتصبة في ارتفاع يزيد على تسعة أمتار. أخبرني اريم أن "المبنى شيد في القرن الأول قبل الميلاد، وكُبِّر خلال القرنين التاليين."

انتاب اريم هاجس غريب، فأدخل مسباراً تحت أساس البناء. وما عتم رجاله أن اكتشفوا مزاراً يرقى الى القرن السادس قبل الميلاد، اضافة الى تماثيل

صغيرة من الفخار لأم قاعدة. ولدى وفود الرومان بثقافتهم ومعتقداتهم إلى أفروديسياس، امتزجت صورة الأم بصورة أفروديت معشوقة الحب الروحاني والجسماني. واجتذبت ألوف الزوار من أرجاء الامبراطورية الرومانية. يقول اريم: "عثرنا على تمثال مرمر لافروديت اكبر من الحجم المعتاد، لكن التمثال الاصلي اختفى."

جلال التاريخ. سلكنا الدرب حول المكان فأحسست بنفحة الامبراطورية الرومانية، جليلة بين الخرائب. ولم تلزمنا مخيلة قوية لنستحضر في أذهاننا المباريات الرياضية التي شهدها الستاديوم، وطوله ٢٦٢ متراً، أو لنرى مسرح "الأوديون" الأصغر حيث احتشد الناس لحفلة أو لسماع محاضرة عن فلسفة أفلاطون. ولاحظت رقعا لألعاب الزهر محفورة في المرمر. وأي شيء افصح من حمامين رحبين، تحتهما تجهيزات لتسخين الماء؟ هنا كان أهالي أفروديسياس يتداولون شؤون تجارتهم فيما تدلّك أبدانهم.

لكن ما يميز أفروديسياس عن نظيراتها من المدن القديمة مئات المنحوتات، بعضها نافر وبعضها منفلت من جميع جوانبه. يقول اريم: "هاته التماثيل هي أولادي، أحبها جميعا سواسية. يا للمسرة والحيوية اللتين أضفاهما عليها النحاتون القدامى."

ولكن ما الداعي إلى انبجاس الابداع الفني الخلاق في هذه البقعة النائية من الامبراطورية الرومانية؟ يعتقد معظم المؤرخين المعاصرين أن ملك برغاموم أتالوس الثالث المعروف بحبه للفنون، حين أوصى بمملكته الثرية لروما من بعده عام ١٣٣ قبل الميلاد، اضطر الحجارون والنحاتون العاملون لديه الى البحث عن عمل في مكان آخر. ولعل بعض هؤلاء الفنانين العاطلين عن العمل انجذبوا الى أفروديسياس الواقعة على بعد ٢٣٠ كيلومتراً الى الجنوب الشرقي، لوفرة المرمر الممتاز فيها، وكان يقطع من مقالع في الجبال التي تسوّر المدينة من ثلاثة جوانب. وأسس هؤلاء معهداً للنحت ازدهر فترة تزيد على ٥٠٠ عام. وبلغ من بهاء تماثيل أفروديسياس أنها كانت تطلب من خارج البلاد. وقد عثر على منحوتات موسومة بتواقيع فناني المدينة في اليونان وليبيا، وحتى في ايطاليا، حيث جلبت لتزيين الاروقة المسقوفة.

وتحظر تركيا اليوم تصدير التحف الاثرية. والتماثيل التي عثر عليها اريم وفريقه ملك الدولة التركية، وهي معروضة حاليا في متحف قريب بنته الحكومة. ويأمل اريم أن يتمكن من اعادة بعض هذه المنحوتات الى البقاع التي كان يُقصد وضعها فيها.

جزنا الساحتين المركزيتين، أو ساحتي السوق، اللتين تحف بهما صفوف من الأعمدة العريضة وتصل بينهما أبواب ضخمة. وهما تشكلان ركناً مدينياً يضاهي روما جلالا. تلبثنا قليلا عند تترابيلون، وهي بوابة مزوّقة بستة عشر عموداً، وراقبنا رافعة تنشل جزءاً من

قنطرة مرمرية لتضعها في مكانها. في الموقع اختصاصيان نمسويان يشرفان على عمليات الترميم. وبان السرور على اريم، اذ ان الترميم شارف الانتهاء.

وقفتنا الاخيرة في طريق تصطف فيه أعمدة: انه مدخل سيباستيون، مزار الاباطرة. المزار ذاته امّحى، وما كشفته الحفريات جادة عرضها حوالى ٩٠ متراً، تكتنفها مبان من ثلاث طبقات ذوات أعمدة، وتطل من واجهاتها منحوتات نافرة يصور بعضها أساطير اغريقية: فهذه ليدا على هيئة بجعة متهوِّرة، وهذا ديونيسيوس يخطر في مشيته تتقدمه إحدى النسوة القائمات على خدمته. وثمة صفائح ترمز الى عز السلالة الامبراطورية.

مساء يومي الاخير في المدينة جلت وحدي بعد العشاء والنجوم اللوامع تلقي على المرمريات نوراً يبعث الروع في النفس. أنعمت النظر الى السماء، فألفيت كوكبات "العقرب" و"ذات الكرسي" و"الدب الاكبر." ثم وقع نظري عليها: النجمة الأسطع، فينوس، أفروديت، عشتروت، نجمة الأماسي ترعى المدينة العتيقة.

إرنست هاوسر ■



من المسؤول؟

خلال اجتماع لتقويم نشاط المبيعات في شركتنا وقف المدير يؤنبنا ويلومنا على انخفاض أرقام المبيعات التي حققناها. وقال مستاء: "لقد سئمت خيباتكم وأعذاركم. فاذا كنتم عاجزين عن القيام بهذا العمل كما يجب، فقد نجد بائعين موهوبين يتمنون أن تسنح لهم فرصة بيع منتجاتنا القيمة." ثم وجّه حديثه الى بائع وظّف حديثاً، وهو لاعب كرة قدم متقاعد، فقال: "اذا خسر فريق كرة قدم باستمرار، يبدل اللاعبون، أليس كذلك؟"

فساد الصمت برهة، الى أن أجابه لاعب الكرة قائلا: "في الحقيقة يا سيدي، عندما كان الفريق كله يعاني مصاعب، كنا نأتي بمدرب جديد."

د.ل.

سيارة الوالد

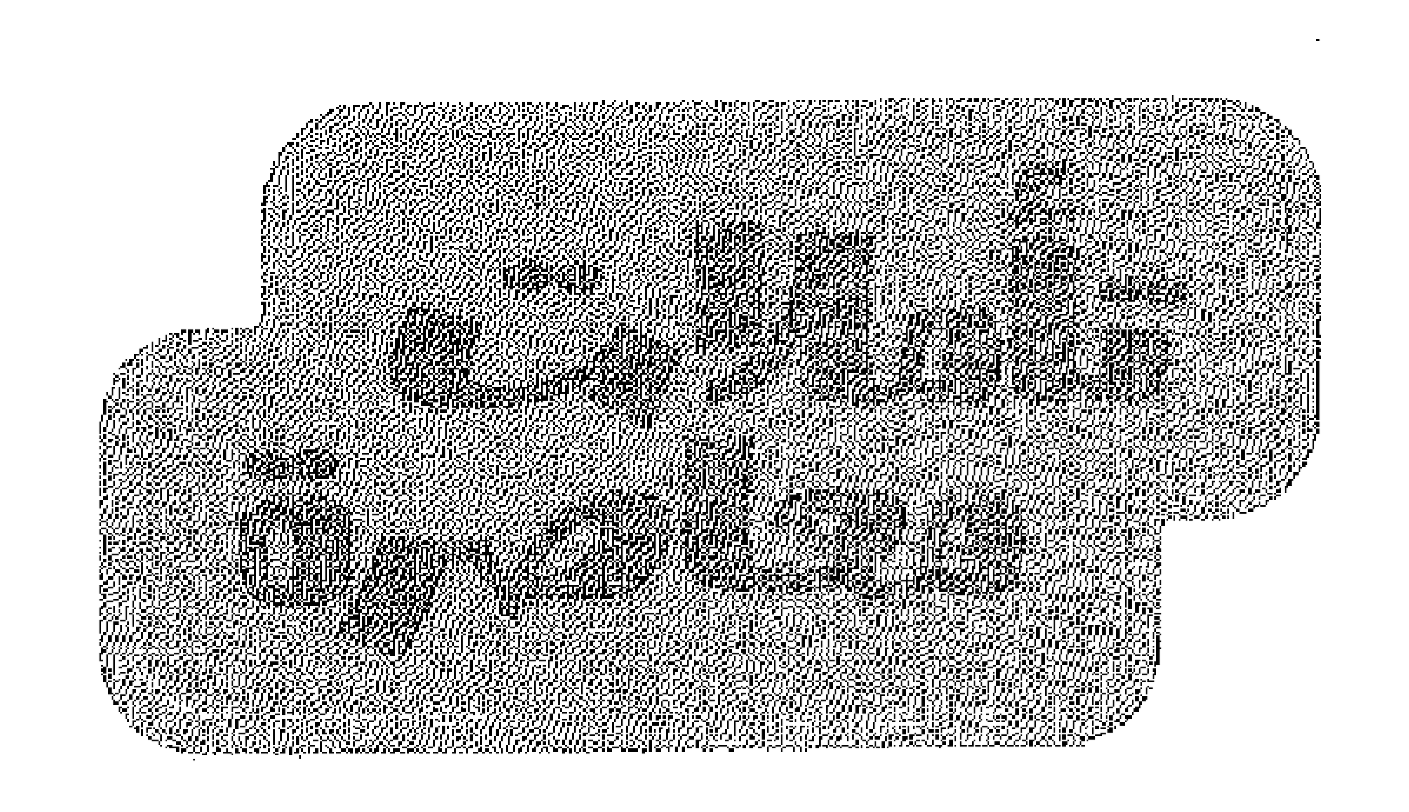
اشتهر والدي بمبالغته في الاعتناء بسيارته الفخمة، فكان يلمّعها ويوقفها في المرأب بعد كل استعمال. وقد تحاشت والدتي سوْقها على رغم مهارتها في القيادة.

وذات يوم اتصلت بنا قريبة لنا ودعتنا الى تناول طعام العشاء الى مائدتها. فقالت لها أمي: "كنت أود ذلك من كل قلبي. لكننا في الحقيقة لا نملك سيارة."

فسألتها قريبتنا مستغربة: "بالله عليك، ماذا تقصدين؟"

فأجابتها أمي: "تلك ليست سيارة، بل أثاث للمرأب."

س.س.



البكاء في الاعراس

■ يجدر بالفتيات المقبلات على الزواج أن يأخذن دروساً أولية في السمكرة وهندسة الكهرباء والكيمياء المنزلية، اذ انهن في طريقهن الى أصعب وظيفة في العالم، جاهلات ما سيواجهن من مصاعب. ان التفكير في هذا كله يبكي النساء الاكبر سناً في الأعراس.

أ.ش.م.

"داما" الحياة

■ تعلمنا الداما أموراً كثيرة عن الحياة: اخسر حجراً لكي تربح حجرين، لا تقم بنقلتين دفعة واحدة، تحرّك صعوداً لا نزولاً، وعندما تصل الى القمة يمكنك أن تتحرك كيفما تشاء.

هـ.ر.

الخير والشر

■ اعتقد أن قصة واحدة فقط تخيفنا وتلهمنا وتحيينا في سلسلة متواصلة من التفكير والتساؤل. فالناس، في حياتهم وأفكارهم وشهواتهم وجشعهم وطموحاتهم وقسوتهم ولطفهم وكرمهم، عالقون في شباك الخير والشر. وأظن أن هذه هي القصة الوحيدة التي تتكرر على جميع مستويات المشاعر والذكاء. فالفضيلة والرذيلة أساس وَعْينا الأوّل، وسوف تشكلان بنيته النهائية على رغم كل التغييرات التي قد نضفيها على الحقول والأنهر والجبال والاقتصاد والآداب الاجتماعية. ليست هناك قصة أخرى، فالانسان بعد أن ينفض عن حياته غبارها وتفاهاتها، يبقى لديه سؤالان صريحان لا سبيل الى انكارهما: هل عشت حياة خير أم شر؟ هل أحسنت أم أسأت صنعاً؟

جون ستاينبك، روائي امريكي
حائز جائزتي "بوليتزر" و"نوبل"

تحديات التعبير

■ قليلة هي الأمور التي تجبر العقل على التركيز بفاعلية أكثر من ضرورة التعبير عما نعنيه. فهذه الضرورة تضعنا وجهاً لوجه أمام ما نتكلم عنه وما ننوي اقتراحه فعلاً، وتبعدنا عن استخدام العبارات المبتذلة التي تنوب عن الفكر وتعوقه وتحول دونه.

إدوين نيومان، معلّق اخباري امريكي

الجمال لا يُشرح

■ لا أطيق الأعمال الجمالية التي ينبغي شرحها لكي تفهم. فعندما تتطلّب تحفة ما تفسيراً من غير مبدعها أتساءل عما إذا كانت حقّقت غايتها.

تشارلي شابلن،
ممثل فكاهي بريطاني

أخطار التعرّض

كل صيف يتطلع الناس الى ارتياد الشـواطيء للتمدد والتمتـع بأشعـة الشمس. وهم يسمعون أن التعرض المفرط للشمس قد يؤدي الى الاصابة بسرطان الجلد، لذا تراهم يأخذون قليلا من الاحتياطات، وكثيرون يستخدمون مرهماً حاجبا لأشعة الشمس يؤمن عامل وقاية قد يزيد ١٥ ضعفا على الوقاية الطبيعية. هذا ما عدا في الايام الغائمة. ويعتمر آخرون قبعات يطرحونها جانبا حين يرون أنهم أخذوا قسطا كافيا من الشمس ويلجـأون الى الظل. وفي اعتقادهم ان هذه طريقة آمنة في اكتساب السمرة.

ولكن ثمة مشكلة واحدة هي أن أحدث الأبحاث تشير الى غير ذلك. فمن جراء التعرض للشمس، سيصاب كثيرون هذه السنة بسرطان الجلد، وبعضهم سيلقى حتفه. وسيصاب آخرون بأذى في عيونهم او جلودهم، وسيلحق ضرر بأجهزة المناعة لدى آخرين فيصيرون اكثر قابلية للاصابة بالعدوى والمرض.

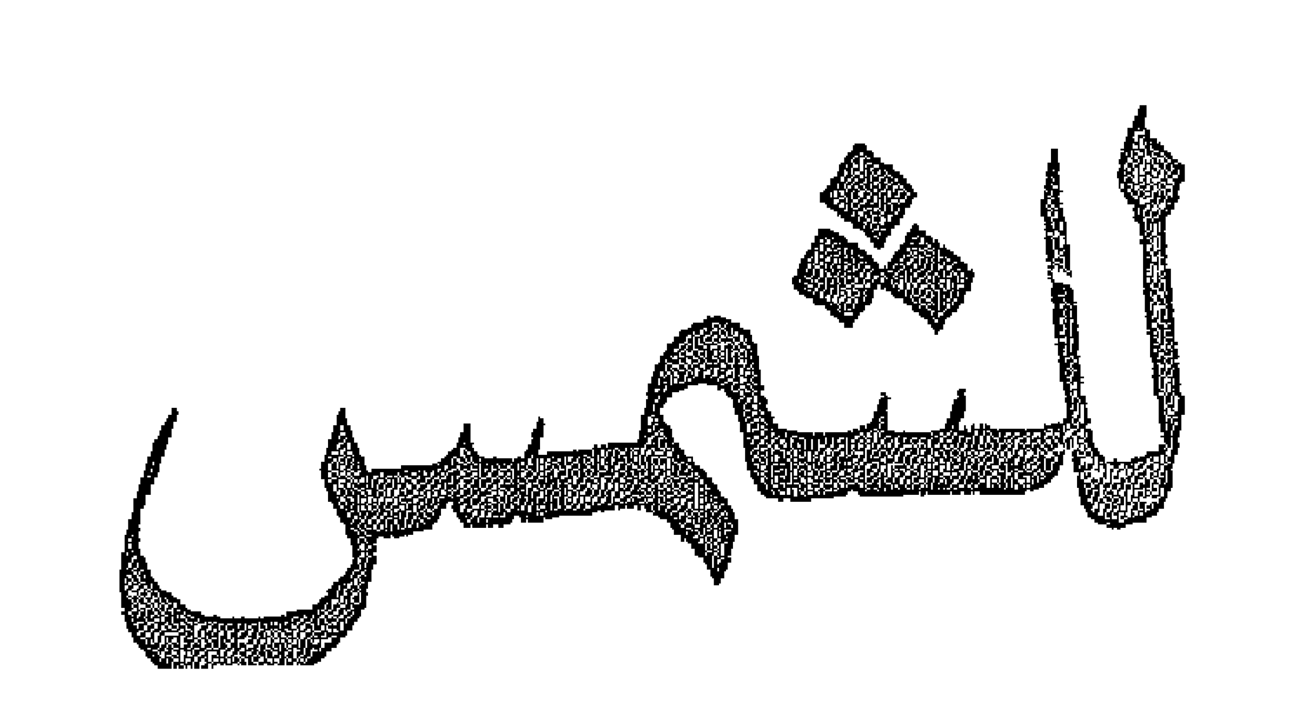
وقد تبين أن التعرض للشمس ينطوي على خطر يفوق تقديرات الخبراء.

يقول الدكتور بيري روبنز رئيس "مؤسسة سرطان الجلد": "يعرف الناس أن التعرض للشمس مضر لهم، لكنهم بدأوا حديثا يدركون مقدار الضرر."

السمرة الخطرة. ازدادت الاصابات بسرطانات الجلد الثلاثة الرئيسية الى حد أذهل الباحثين. والانواع الثلاثة هي: القتامي الخبيث، والغدّي الحرشفي الخلايا، والغدّي القاعدي الخلايا[١]. ويقرّ الخبـراء بأن أشعـة الشمس فوق البنفسجية هي السبب الرئيسي لسرطان

(١) Malignant melanoma, squamous-cell carcinoma and basal-cell carcinoma





الاشعة فوق البنفسجية في نور الشمس تتلف خلايا المناعة وتُفسح لضروب متنوعة من سرطانات الجلد

الجلد. وفي العام ١٩٨٩ أطلقت نشرة "الجمعية الطبية الامريكية" الانذار، فنشرت نتائج بحث دراسي دقيق اقتفى حوادث سرطان الجلد لدى أكثر من ٣٠٠ ألف مصاب في غرب الولايات المتحدة. كانت النتائج مدهشة. فخلال ٢٧ سنة ازداد عدد الاصابات بسرطان الجلد الحرشفي الخلايا الأشد خطراً بين سرطانات الجلد العادية، ٢٦٠ في المئة لدى الرجال و٣١٠ في المئة لدى النساء. وعزا الباحثون الطبيون هذه الزيادة المذهلة مباشرة الى "زيادة التعرض الطوعي للشمس."

وكشفت الدراسة أن الاصابات بالسرطان القتامي الخبيث، أفتك أنواع سرطان الجلد، ازدادت بنسبة ٣٥٠ في المئة لدى الرجال و٤٦٠ في المئة لدى النساء خلال المدة ذاتها. والسرطان القتامي الخبيث يقضي على خُمس المصابين به بعد خمس سنوات من تشخيصه.

اما "الرسالة" التي تضمنتها المقالة في النشرة فلم تتوقف عند ذلك بل تعدته الى التحذير من أن "ازدياد اصابات السرطان الغدّي الحرشفي الخلايا هو على الارجح نتيجة تغيرات في نمط الحياة أدت الى ازدياد التعرض للشمس." وأوصى الباحثون الاطباء بالطلب من المرضى "انْ يمتنعوا عن الحمامات الشمسية التي تعتبرها الآن نشاطاً مبطناً بالخطر."

"الاكاديمية الامريكية لعلم الجلد وأمراضه" تقرّ هذه التوصيات. ففي مؤتمرها عام ١٩٨٨ حول "الشيخوخة والتلف بفعل نور الشمس" طُرح السؤال على ١٨ خبيراً طبياً بالامراض الجلدية: "هل هناك طريقة آمنة لاكتساب السمرة؟" فكان جوابهم مباشراً وصريحاً: "كلا."

وهذه هي الحقيقة. فالعلماء العارفون بالجلد البشري يؤكدون أن كل سبل الاسمرار بالشمس خطرة من دون استثناء.

ندوب دائمة. بدأت في الثلاثينات فكرة أن اسمرار الشمس "صحي." واعتقد

PHOTO: © ADAMSMITH PRODUCTIONS / WESTLIGHT

الناس أن الجسم النحاسي اللون هو رمز اللياقة البدنية والنشاط. ولكم كان ذلك بعيداً عن الواقع. ان اسمرار الشمس ليس دليل عافية مطلقاً، بل هو وسيلة دفاع قاسية. انه محاولة جسمك، اليائسة والمخفقة دائماً، لحمايتك من ضرر قد يكون غير قابل للاصلاح. يفرز جسمك غطاء من صبغ يسمّى "ميلانين" (قتامين أو سحامين) يحول دون الحاق الاشعة فوق البنفسجية ضرراً أكبر، ولكن قد يكون فات الاوان، فما ان تظهر سمرة الشمس حتى يكون الضرر وقع فعلاً.

تريسي فرنكلين أدركت ذلك بعد تجربة قاسية. فمنذ كانت في الثالثة من عمرها ترود منحدرات التزلج كل شتاء وتغشى الشواطىء المشمسة في كل صيف. وهي شقراء ذات عينين زرقاوين وبشرة رقيقة بيضاء، لذا كانت تُسْفع سريعاً في سعيها المحموم الى اكتساب سمرة ذهبية برونزية. ولكي تبدو في أوج رونقها في حفلة زفافها قبل أربع سنوات، قصدت صالة خاصة لاكتساب السمرة وراحت تأتي ثلاثة أيام في الاسبوع لمدة شهر قبل اليوم الموعود. وأمضت شهر العسل على شواطىء هاواي.

وفي العام الماضي، وكانت بلغت الخامسة والعشرين من عمرها، لاحظت على ظهرها خالاً داكناً بحجم ممحاة قلم رصاص، شخّصه طبيبها ورماً سرطانياً قتامياً خبيثاً. وخلّفت الجراحة التي أجريت لها ندباً بطول ثمانية سنتيمترات. ولحسن حظها لم يكن الورم تفشى بعد. لكن عذابها لم ينته، اذ ان الأطباء أزالوا من صدرها وبطنها وظهرها عشرين خالاً مريباً، واضطروا الى اجراء جراحات لثلثها للتأكد من انتزاع كل الانسجة السرطانية المحتملة.

تقول فرنكلين: "لن أتعرض للشمس بعد الآن. تدوم السمرة يومين أو ثلاثة أيام، أما الندوب فتبقى مدى الحياة."

ان احتمال اصابتك بسرطان الجلد يتوقف، من ناحية، على نوعية جلدك. فقد صنف الباحثون الطبيون الناس فئات تراوح بين الفئتين ١ و٢ الأشد خطراً والفئة ٦ الادنى خطراً. أفراد الفئتين ١ و٢ هم عادة ذوو عيون زرق أو خضر أو بنية وشعر أحمر او أشقر ونمش. والفئة ١ لا تنعم بالسمرة مطلقاً، فيما تسمرّ الفئة ٢ الى حد أدنى. ويُصنف ذوو الجلد القاتم والاسود في الفئتين ٥ و٨ وهؤلاء يكتسبون سمرة وافرة نادراً ما تتحول احتراقاً.

عواقب التعرض للشمس. من المؤسف أن الناس، حتى افراد فئة الخطر المتدني، لا يحظون بمناعة ضد سرطان الجلد أو أي تلف آخر تسببه أشعة الشمس. ومن الاخطار المحتملة:

الشيخوخة المبكرة. اعتقد الناس حتى أمد قريب أننا عندما نشيخ يتجعد جلدنا ويترهل حتماً. ونعرف الآن أن معظم الضرر متأتٍ من التعرض سنوات للاشعة فوق البنفسجية التي تتلف الألياف المرنة التي تحفظ الجلد مشدوداً ليناً. وقد اكتشفت ملايين النساء

المتباهيات باكتساب تلك السمرة الذهبية التي توحي شباباً ونضارة، أن حمامات الشمس على مدى سنوات أدت الى اصفرار جلودهن وارتخائها.

أذى العينين. ان تعرض العينين للاشعة فوق البنفسجية على مدى سنوات قد يسمِّر عدسة العين الصافية مثلما تسمرّ ورقة معروضة في واجهة زجاج. وقد ينتهي الأمر الى الاصابة بالسد (إعتام عدسة العين)[٢] أو بعمى جزئي.

ويكمن في صالات الاسمرار الاصطناعي خطر زائد على العينين، حيث تنبعث من المصابيح دفعات كبيرة من الاشعة الخطرة فوق البنفسجية. وبحسب الجمعية الطبية الامريكية فان "مجرد اغماض العينين واستخدام نظارات شمسية عادية ووضع قطن على العينين قد لا تكفي لتلافي الضرر."

ولا يتردد كثير من الخبراء الطبيين في المجاهرة بآرائهم في صالات الاسمرار. يقول الدكتور مايكل فرانزبلو أستاذ علم الجلد وأمراضه في كلية الطب بجامعة كاليفورنيا في سان فرنسيسكو: "لا يجدر بأي شخص في عقله الكامل أن يلج واحدة منها."

تعطُّل جهاز المناعة. إن أخطر ما ينجم عن التعرض للشمس هو التأثير المحتمل في جهاز مناعة الجسم. عرف الاطباء منذ أمد بعيد أن اسمرار الشمس يؤدي الى تفشي قروح الحلاء (العقبولة)[٣] على شفاه الأشخاص القابلين للتأثر. وبما أن فيروس الحلاء كامن دائما في أجسام هؤلاء المرضى، فالعلماء يعتقدون أن الاشعة فوق البنفسجية قد تقضي على أجهزة الدفاع الطبيعية.

في دراسة أجريت في أوستراليا أخضع متطوعون لاثنتي عشرة جلسة دامت كل منها ٣٠ دقيقة، بتسليط أشعة مصابيح شمسية على أجسادهم. ومن ثم جرى فحص خلايا دمهم لتحديد قدرتها على صدّ السرطان القتامي الخبيث. فتبين أن خلاياهم "الطبيعية القاتلة" نقص عددها وفقدت كثيراً من قدرتها على مكافحة المرض، حتى بعد أسبوع من توقف تعريضهم للأشعة فوق البنفسجية.

تدابير بسيطة. لحسن الحظ ثمة خطوات للحماية من أشعة الشمس:

١. **استخدموا مرهماً ذا عامل وقاية عالٍ.** في الأشهر الاثني عشر من السنة ادهنوا بشرتكم المعرضة للشمس بمرهم واق حين تخرجون في نزهة قصيرة أو للعمل طويلا في الحديقة بعد الظهر، وذلك في سبيل الوقاية من أشعة الشمس المحرقة. وتوخيا لوقاية قصوى عاودوا الدهن بعد كل بضع ساعات أو بعد السباحة أو بعد تصبب العرق. (تذكروا أن الشمس، حتى في الايام الغائمة، قد تمطركم ٧٥ في المئة من أشعتها المسببة للسرطان.)

---

(٢) Cataracts
(٣) Herpes

ان أفضل المراهم الواقية هي الواسعة النطاق أي التي توفر وقاية من معظم الاشعاعات فوق البنفسجية في نور الشمس، بما فيها الاشعة "أ" والاشعة "ب."[٤]

في الماضي كانت الاشعة فوق البنفسجية "ب" تعتبر خطرة، ولكن ثمة دليل متنام على أن الاشعة "أ" مضرة أيضا.

٢. استروا عيونكم. لدى خروجكم ضعوا نظارات تصدّ أشعة الشمس فوق البنفسجية أو عدسات طبية مغلّفة تؤمن لكم الوقاية. وتساعد النظارات الشمسية في حماية محيط العينين.

٣. ارتدوا ملابس واقية. ان قمصان القطن الملزوزة الحياكة تحجب معظم الاسعة فوق البنفسجية. وكلما التزّت الحياكة ازدادت الوقاية. تجنبوا ارتداء قمصان النيلون والبوليستر المفرَّعة الحياكة لانها تتيح ولوج مقدار كبير من الأشعة الى الجسم.

٤. اعتمروا قبعات. القبعة الرياضية ذات الحافة الامامية قد تحجب نصف الاشعة الخطرة عن العينين. ولكن أفضل منها القبعة ذات الحرف الواسع. وقد اعتاد المواطن في أوستراليا، حيث يزداد سرطان الجلد بمعدلات مخيفة، أن يرتدي قميصا ويضع مرهما واقيا ويعتمر قبعة قبل خروجه من البيت.

٥. تيقظوا لتغيرات الجلد. اذا لاحظتم أي تغير، راجعوا الطبيب للحال. ولئن يكن سرطان الجلد هو الاكثر شيوعا بين السرطانات الخبيثة، فانه الاسهل شفاء اذا اكتشف في الوقت الصحيح. وأقل من ٢ في المئة من المصابين بالسرطان الحرشفي او القاعدي الخلايا يموتون من جرائه. ان السرطان القتامي الخبيث هو أشد خطرا. لذلك راقبوا بدقة ظهور أي خال قاتم اللون.

٦. لا تنسوا أولادكم. أمنوا لهم الوقاية باتباع الخطوات الخمس السابقة. فالاولاد يمتصون كمية كبيرة من الأشعة فوق البنفسجيية في حياتهم قبل الثامنة عشرة من عمرهم. والذين يصابون مرارا بحروق شمس شديدة في طفولتهم مرشحون للمعاناة لاحقا من سرطان الجلد القتامي الخبيث.

فالناس الذين يسمرّون الآن يدفعون الثمن لاحقا. وقد يكون الثمن غاليا: سرطان جلدي، جلد شائخ بشع، بصر تالف، جهاز مناعة معطّل.

فمن يرغب في اسمرار ينطوي على هذه الاخطار؟

د. ديفيد روبن ■

(٤) Ultraviolet A (UVA) and ultraviolet B (UVB)

لماذا تتاخر بداية الشيخوخة مع تقدمنا في العمر؟ ك.ل.

خبير يعلّمك كيف تلتقط صوراً نابضة بالحياة

نصائح لهواة التصوير

للصور الفوتوغرافية قوة سحرية تستحضر الماضي.

"فيا لروعة ما تكشفه صورة متواضعة!" كلمات صاغتها الروائية جويس كارول أوتس وقد طالعها سيل من ذكريات الطفولة وهي تنظر الى لقطة أظهرتها طفلة قرب أجمة. "رأت" منزل عائلتها الريفي والاصطبل القديم وبستان التفاح، على رغم أن هذه الأشياء لم تظهر في الصورة!

نادراً ما يُوفق المصور الهاوي في لقطة تتحول أكثر من مجرد صورة، فتكون لكل من يشاهدها "شيئاً يعبر عن شعورنا المشترك" كما ذكرت الكاتبة يودورا ولتي.

فما هو العامل الذي يفرق بين لقطة عادية ولقطة لا تنتسى؟

الجواب: سبع أفكار مفيدة، وتكّة مصراع آلة تصوير.

١ . أطِّر الصورة. ذات نهار صيفي ساطع تمشى معلم المدرسة أرون سيسكند على شاطىء بلدة غلوستر بولاية مساتشوستس. فجأة رأى قفازاً ملقى



PHOTO: ERNEST COPPOLINO

على الرصيف فاستحوذ على اهتمامه. قال: "أطّرت الصورة بحيث ظهر القفاز عمودياً. وعندما شاهدته عبر آلة التصوير الرخيصة التي كنت أحملها بدا مثيراً للاهتمام أكثر من مجرد شيء مهمل ملقى على الأرض."

ضغط سيسكند زر الكاميرا. وعندما ظُهِّر الفيلم أدرك أنه أبدع صورة جميلة مدهشة. وهذا ما حداه على أن يصبح أحد أبرز مصوري عصرنا. كان يجد الجمال في أمكنة وأشياء تفوت الآخرين رؤياها.

عندما تنظر الى العالم المحيط بك لا تجد حدوداً مرسومة لرؤياك. ولكن عندما تنظر عبر منظار معيِّن الصورة*، كما فعل سيسكند، يصبح هذا المستطيل إطاراً يشحذ حساسيتك.

كنت أعد العدة لتصوير تمثال صغير لميكالانجلو في أحد متاحف فلورنسا. وفيما أنا أؤطر الامكانات عبر معيِّن الصورة لفتت نظري خطوط دقيقة لبصمة أصبع قدَّرتُ أنها للنحات العظيم. وركزت الأضواء الكاشفة على البصمة، فجأة، أطلق المؤرخ الفني فردريك هارت الذي كان الى جانبي، شهقة فرح عندما رأى ما كشفته الأضواء. لم يلاحظ اي من موظفي المتحف هذه البصمة من قبل، وأنا على يقين أني لم أكن لألاحظها كذلك لو لم أؤطر الصورة بالمعيِّن.

٢. **اصغِ الى عواطفك**. ركز على ما يثيرك أو يحركك شخصياً. طُلب مني حديثاً أن أصور فتاة صغيرة مع أمها وجدتها وأم جدتها. فحاولت التقاط صورة جامعة، لكن ذلك لم يرقني. وأخيراً قررت أن الصورة الحقيقية – العاطفة الحقيقية – تكمن بين الفتاة الصغيرة وأم جدتها. فصوَّرت الاثنتين وحدهما وحصلت على صورة جميلة لطفلة فاتنة وعجوز طيبة وهما تنعمان بالرفقة عبر أربعة أجيال.

٣. **تذكَّر أن آلة التصوير ترى غير ما تراه العين**. فهي تصور الطاولات والمقاعد المتناثرة مثلما تصور الهدف المقصود. وفي الخارج تصور السيارات المنطلقة بسرعة وأسلاك الهاتف وأغصان الأشجار التي تبدو كأنها ناتئة من رأس صاحب الصورة. لذلك عليك البحث عن زاوية تجنبك مثل هذه الكوارث.

واقترب من الهدف، لأن التقاط الصور من مكان بعيد هو من أسباب فشل المصور الهاوي. فالمحترف يملأ الاطار بالصورة.

وأخيراً، عليك مراعاة الإضاءة. لقد تعلمت هذا الدرس بالطريقة الصعبة، ولا أفشي سراً إن قلت إن المصورين المحترفين يرتكبون أخطاء أيضاً. مثال على ذلك يوم صورت حفلة زفاف ابنتي. كانت واقفة وعريسها تحت شجرة تفاح بري في حديقة منزلنا. ووقفت معهما في الظل مسدداً آلة التصوير الى حيث وقف الحضور في خلفية مضاءة بنور الشمس.

(*) viewfinder وهو الفتحة التي يُنظر عبرها الى المشهد المطلوب.

فكانت النتيجة خيبة كبرى، اذ ظهر وجها العروسين داكنين يصعب تمييزهما. لذا تذكَّر: ان معظم آلات التصوير الاوتوماتيكية تتعدل تلقائياً بما يتناسب ومعدل الاضاءة في الصورة بكاملها.

واستعمال الضوء الومضي (الفلاش) قد يضر أكثر مما ينفع، اذ لا سبيل لك كي تعلم كيف تستجيب آلة التصوير ازاء الظلال عندما يلتمع الضوء الومضي. فإن وقفت ضمن مسافة من الهدف تقل عن متر ونصف متر، فقد يؤدي الضوء الومضي الى محو الوجوه أو إحداث ظلال مزعجة وراء الهدف. ولتدارك هذا الخطأ عليك ايقاف الناس بعيداً عن الجدران.

وأهم ما عليك تذكره هو أن الضوء الومضي في آلات التصوير الاوتوماتيكية لا ينفع إن زادت المسافة على أربعة أمتار ونصف متر.

٤. لا تهمَّنَّك حال الطقس كما تهم معظم المصورين. ذهبت وعائلتي في رحلة الى مكان فيه عربات معلَّقة (تلفريك) قيل إنها تكشف منظراً رائعاً للوادي. لكن الطقس كان سيئاً جداً فلم نرَ سوى رقع تلال يغطيها الضباب. فسدَّدت الكاميرا يائساً وضغطت الزر.

وعندما ظُهِّر الفيلم دُهشت الكاميرا إذ رأيت ما صنعه لي الحظ من لقطات تبهر الأنفاس، لا لمشاهد الغابة والوادي بل لضباب فضي ظليل يكلل الأشجار.

٥. خذ عدة صور من زوايا مختلفة. لا يمكنك معرفة نتائج أعمالك حتى يُظهَّر الفيلم. لذا كرر المحاولات كي تزداد فرص حصولك على صور رائعة.

كلما صورتُ شخصاً جربت ثلاث زوايا على الأقل: واحدة وهو ينظر مباشرة الى عدسة التصوير، وثانية وهو ينظر يسرة، وثالثة وهو يتجه يمنة. وقد أسأله أن يأخذ أوضاعا مختلفة، كأن يستند الى مرفقه أو يومىء الى صديق أو يقرأ كتاباً.

وحتى عندما تصور مشاهد عليك تكرار المحاولة. لاحظتُ ابنتي ذات يوم تراقب مشهد الغروب الرائع بعدما حصلت على أولى كاميراتها، وكانت في الثانية عشرة من العمر. فسألتها: "لمَ لا تصورين هذا المشهد؟"

فتناولت آلة التصوير وصوَّرت. وبعد دقائق ازدانت الغيوم المتناثرة في الأفق بأوشحة متدرجة الاحمرار. فاقترحت عليها أن تلتقط صورة اخرى.

نظرت اليَّ متعجبة لفكرة تصوير مشهد الغروب مرتين. ولكن ما إن حدقت من النافذة حتى أدركت مدى أختلاف المشهد وراحت تلتقط الصور مسجلة المتغيرات الجمالية لحظة فلحظة.

إن أفضل أسرار المصورين المحترفين هو إكثارهم من الصور. قد يبدو لك ذلك مغالاة، لكن تصوير فيلم كامل بدلا من لقطة واحدة يزيد فرص انتاج صورة لا تنتسى.

٦. دع الناس يسترخون. الصورة الجيدة تلتقط الشخصية في لحظة يكون المرء على سجيته. وعلى المصوِّر أن يبقى متيقظا لملاحظة تعابير الوجه

وايماءاته. وقد وصفت الكاتبة يودورا ولتي ذلك بالآتي: "كل شعور يتلو ايماءة تستبقه."

ويسهل استباق اللحظات حيث يشعر الانسان بالاسترخاء. أحبُّ الصور اليّ واحدة التقطتها للكاتب ايزاك سنغر في غرفة يدعوها "غرفة القمامة" حيث كوم الصحف والمجلات والكتب القديمة تجاور جوائز مؤطرة بينها واحدة تدلت بانحراف هي جائزة "نوبل." كانت الغرفة معبرة عن جانب من شخصية الكاتب الذي كان يشعر فيها بالسعادة والاسترخاء. وهذا بالضبط ما كشفته الصورة.

أما تصوير الأطفال والأولاد فهو الأكثر مدعاة للمرح لأنهم لم يتعلموا بعد أن يعوا ذواتهم. لذلك فإن أي صورة تأخذها لهم وهم يمرحون عابثين بالألعاب أو الأراجيح أو برك السباحة ستظهرهم في أفضل حال من الاسترخاء.

٧. بعد تظهير الفيلم ابحث في الصور عن أجزاء تكبِّرها. بعد رحلة الى مصر اعتبرت شقيقتي صورها مجرد تذكارات. لكني فاجأتها بتشذيب خمس منها بشكل أبرز ميزاتها. وقد سرها ذلك فطلبت صوراً مكبرة تعلقها في منزلها.

لتشذيب الصور، علِّم الجزء المطلوب على الصورة بقلم ملوَّن ثم أرسلها مع الصور السلبية الى مظهر الأفلام لتكبيرها.

ذات مرة درَّس المصور رالف ستينر مقرراً تعليميا بعنوان "كيف تنظر الى العالم." كان الهدف من التصوير بالنسبة اليه إحراز مفهوم جديد للحياة. وهو قال للمصوِّرين الطموحين: "احتفوا بالأشياء العادية الرائعة التي ترونها حولكم." وأضاف أنه يشعر بأن في ملاءات الأسرّة البسيطة المعلقة على حبل غسيل يكمن سحر الستائر في المنحوتات الأغريقية الرائعة. وفي مكتبي واحدة من روائع ستينر تمثل ظل شجرة يقع برفق على مرجة مكسوة بالثلج. إنها تذكرني بأن رؤية العالم بعين آلة تصوير يجعل فرح اللحظة العابرة أبديا.

ديفيد فين ■

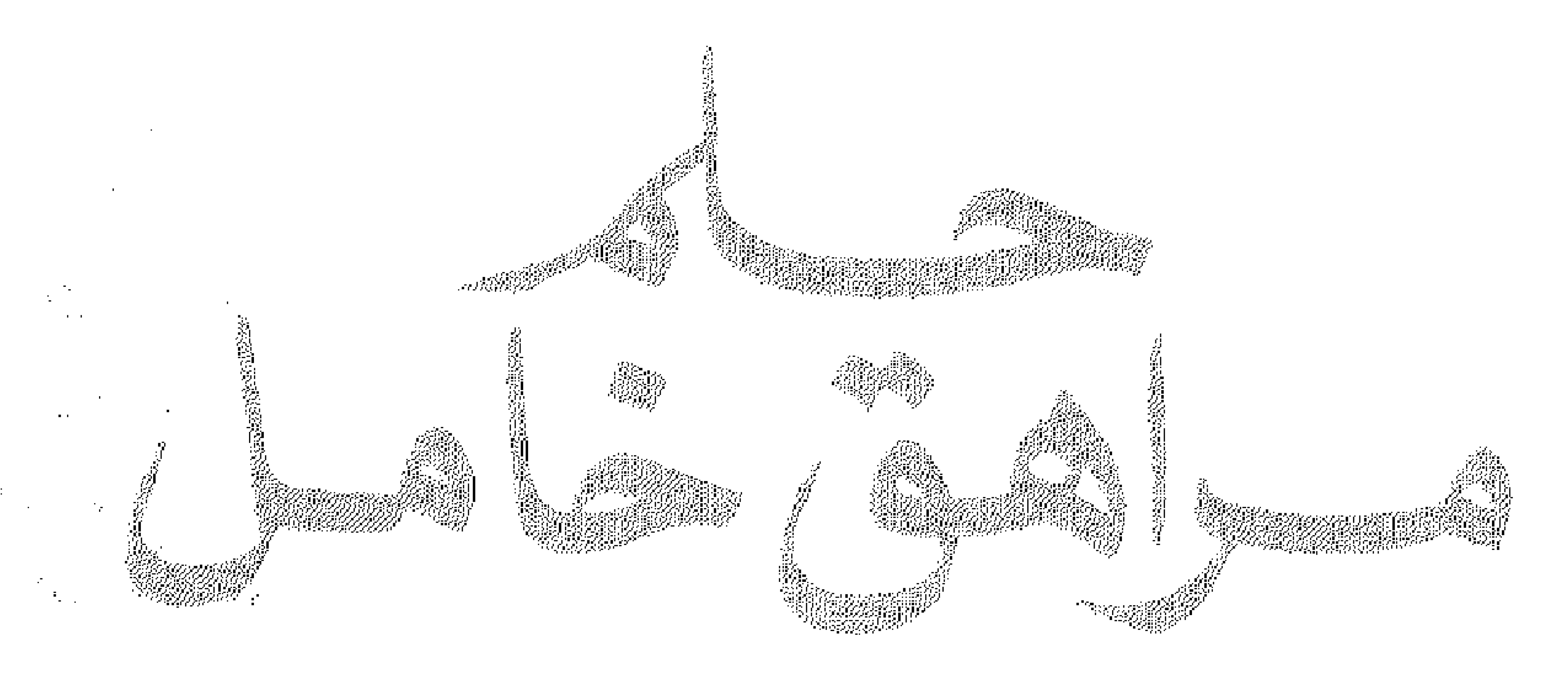
نُشر للكاتب ٤٠ مجلداً مصوراً. وقد عرضت اعماله في متاحف وصالات عرض كبرى في الولايات المتحدة واوروبا.

مصائب قوم...

بينما كنت أتسوق في احد المراكز التجارية رأيت سيارتين تصطدمان في موقف السيارات. وإذ خرج السائقان من سيارتيهما ليعاينا الاضرار، رأيت سيدة تخرج مسرعة من المركز التجاري وتتجه نحو سيارتها المتوقفة قرب مكان الحادث. فتوقعتُ انها ستنقلها من مكانها لكي لا تعيق سبيل سيارات الشرطة وشاحنتي القطر. لكنها فتحت باب السيارة ونزعت لافتة عن الزجاج الخلفي كتب عليها "برسم البيع"، ونقلتها الى الزجاج الامامي المواجه لمكان الحادث.

ا.و.

جهل أبنائنا اليوم مخيف
والمرعب أكثر جهلهم أنهم جاهلون



ذات يوم في الخريف الماضي نفدت ملفات الاوراق لدي، فقصدت متجراً لشراء مزيد منها. وحملت كدسة وضعتها على الطاولة أمام أمين الصندوق، وكان شابا في الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة من عمره. وسألته عن ثمنها، فأجابني مقطبا جبينه: "لا أدري، ربما دولار للملّف الواحد." فقلت متعجبا: "دولار للملف الواحد؟ هذا غير معقول."

فهزّ الموظف كتفيه غير مبال، لكن موظفة آسيوية أكبر سنا قالت إنّ ثمن الملف الواحد ١٢ سنتا*. فعدت الى الصندوق، لكن الشاب كان اختفى وجلست مكانه فتاة. فعددت الملفات ثم قلت: "ثلاثة وعشرون، سعر الواحد منها ١٢ سنتاً، أي دولاران و٧٦ سنتاً."

فسألتني الفتاة مذهولة: "هل حسبتها في ذهنك؟ كيف يمكنك أن تفعل ذلك؟"

فقلت لها: "انه سحر."

فسألتني: "أحقا؟"

ليس من راشد متواضع الثقافة إلا وتقلقه تجربة من هذا النوع. قد يكون أبناؤنا أفضل طباعاً من أي وقت مضى، إلا أن جهلهم مخيف، وما يرعبني أكثر هو جهلهم أنهم جاهلون. فمن بين ٦٠ طالباً وطالبة في السنتين النهائيتين في الجامعة حيث درّست، لم أجد واحداً قادراً على كتابة موضوع خال من أخطاء اللغة والاملاء.

وما ذلك الاّ نزر من المشكلة. فالمقدرة على حلّ أبسط المسائل الحسابية شفويا هي، بالنسبة الى كثيرين من الطلاب الذين أدرّسهم، ذكرى من الماضي. كما أن معرفتهم بتاريخ العالم وجغرافيته شبه معدومة.

والى ذلك، فالشعور بالرضى الذاتي الذي يغلّف ذلك الجهل يبعث في البدن قشعريرة. ولقد اختصر ابن أحد أصدقائي هذا الموقف، وهو فتى في السادسة عشرة من عمره ذكي لكنه كسول، حين فضّل عدم الانتساب الى جامعة كاليفورنيا في لوس انجلس، ذات المستوى الأكاديمي العالي مبرّرا ذلك

(*) الدولار يساوي ١٠٠ سنت.

بالقول: "لا أحب أن أكون في وضع تنافسي مع طـلّاب آسيويين. إنهم مجتهدون ويعرفون كل شيء."

في الواقع، سوف يضطر هذا الشاب الى منافسة الآسيويين، شاء ذلك أم أبى، ولن يستطيع العيش الى الأبد معتمداً على رأس المال المادي والانساني الذي جمعه أجداده، ولا بدّ لخموله الذهني من أن يترك آثاره السلبية في نمط حياته هو وفي أمن الجميع وسلامتهم ورفاهيتهم. ان دولة صناعية حديثة لا يمكن أن تقوم على عمال كسالى وجهلة، وإلا تحطّمت الطائرات على ظهور الحاملات وتعطلت أجهزة الكمبيوتر وتوقفت السيارات.

ولكي يستوعب الشباب هذه الرسالة، لديّ اقتراح متواضع: تصوير فيلم سينمائي أو مسلسل تلفزيوني يظهر ما عاناه بلدهم من مشقّات لكي يصل الى ما هو عليه من تقدم، وكم من السهل أن يخسر كل ما بناه. وهنا قصّة خرافية قد تصلح مادة لاقتراحي:

تبدأ القصة في العام ١٩٩٠. كيفن هانلي فتى أمريكي في السابعة عشرة من عمره قابع في غرفته مقطّب الجبين. فهو يريد أن يذهب الى السوق لشراء "سماعة رأس لآلة تسجيل يملكها، ويصرّ والداه على بقائه في البيت لكي يحضّر لامتحان في مادة تاريخ أوروبا. انه يقرأ مجبراً كتاب "ثروة الامم" لآدم سميث، فيدب فيه النعاس ويغفو.

ويحلم كيفن بأنه جدّ جدّ جدّ أبيه في العام ١٨٣٥، فلاح في السابعة عشرة من عمره يعيش في مقاطعة كيري بايرلندا ويسكن في كوخ من اللبن ويرقد الى جانبه خروف. انه دائم الجوع ويشقى لكي يجد ما يسدّ به رمقه. وأمنيته الغالية هي تعلُّم القراءة والكتابة لكي يحظى بوظيفة كاتب في محل تجاري تؤمن له أجراً منتظماً يعيل به نفسه وعائلته. لكن فقره المدقع يحرمه ترف الذهاب الى المدرسة. ومن دون علم ومال لا حول له ولا طول. ويعلّق أمله الوحيد على أولاده، فإن هم تعلموا، نعموا بحياة أفضل.

تتسارع أحداث القصة. وإذا كيفن هانلي ١٩٩٠ وقد أصبح جد أبيه، أي كيفن هانلي ١٩٢٨، وهو فتى في السابعة عشرة من عمره يعمل في معمل للفولاذ في مدينة بتسبرغ بولاية بنسلفانيا، بعدما هاجر والده من ايرلندا وساعد في بناء نفق القطار الكهربائي (المترو) في مدينة نيويورك. حال كيفن هانلي ١٩٢٨ المادية أفضل كثيراً من حال أبيه وجدّه من قبله. انه يقرأ ويكتب، وهذا يعني أن في وسعه اتباع التعليمات المدونة لتشغيل مصهر الفولاذ. انه يتقاضى أجراً أعلى كثيراً من الاجور التي تقاضاها أسلافه في ايرلندا. ومع ذلك فإن كيفن هانلي ١٩٢٨ يؤمن بأن الامل الحقيقي هو في الاجيال القادمة ويعرف أن العلم هو مفتاح النجاح. وإن تكن الظروف أجبرته على العمل قبل أن يتخرّج في المدرسة الثانوية، فابنه سيكمل دراسته لكي لا يضطر الى العمل في مصنع.

يستمر الحلم. كيفن هانلي ١٩٩٠ هو الآن كيفن هانلي الجدّ في العام ١٩٤٥. انه في ايوجيما يحارب عدواً عنيداً هو

الجيش الياباني. وشعوره بالقيظ والجوع والخوف لا ينقطع. وبينما كان يحتمي في خندق ذات ليلة، أخبر أحد رفقائه عن سبب وجوده هناك: "أنا هنا الآن لكي يعيش ابني، وابنه من بعده، في سلام وأمان. وسوف أعمل جاهداً عندما أعود لكي يذهب ولدي الى الجامعة، فيمكنه بعدئذ أن يعيش من جهد عقله لا ساعديه."

ينتقل حلم كيفن هانلي ١٩٩٠ الى العام ١٩٦٦. وها هو الآن كيفن هانلي الأب الذي يدرس مجتهداً لكي يتسنى له دخول كلية الحقوق في الجامعة. وهو يعيش في بيت عصري ضمن مجمّع سكني حديث. لم يعرف في حياته سوى السلام والبحبوحة، ويقول لصديقته إنه عندما يرزق أولاداً لن يجبرهم على الدرس طوال الوقت كما يفعل به ابوه.

وهنا يستيقظ كيفن هانلي ١٩٩٠ من نومه وقد أقضّ الحلم مضجعه. ويغمره شعور بالارتياح لانه بعيد عن ايرلندا وايوجيما ومصنع الفولاذ، فيغفو مجدداً.

ويعاوده الحلم. فيرى نفسه كيفن هانلي الابن في العام ٢٠٢٠. انه يعيش في معتقل فعليّ وسط ضجيج الطلقات النارية ليل نهار. لقد نسي أبناء جيله جميعهم الهدف من القانون حتى لم يبق له وجود. ولا يعير الناس السياسة اهتماما، ولا تقدّم الدولة خدمات الى الطبقة العاملة.

ويعمل كيفن هانلي ١٩٩٠، والد كيفن هانلي ٢٠٢٠، بواباً في مصنع يملكه يابانيون، فيما يعمل كيفن هانلي ٢٠٢٠ حمالا في فندق نزلاؤه من الأوروبيين والآسيويين الاثرياء. ويتوقف التعليم الرسمي في الصف الابتدائي السادس، فالضرائب غير متوافرة لانشاء مدارس جيدة، كما أن الشعب الامريكي، توقف منذ أمد بعيد عن المطالبة بتعليم جيّد لأبنائه.

وتحتل نخبة من الأمريكيين الذين تعلموا على حسابهم الخاص وظائف بـرواتب مـرتفعـة لـدى الأوروبيين والآسيويين الذين باتوا يسيطرون على الحياة في أمريكا. أما الباقون فإما متبطّلون يؤدون أعمالا بسيطة لمستثمرين أجانب يعتبرون أن الكسل والغباوة متأصلان في الشعب الأمريكي الذي لا يصلح إلا للأعمال اليدوية، وإما مجرمون يزودون العمّال الفاقدي الحس أنواع المخدرات.

الشخص الأخير الذي يراه كيفن ١٩٩٠ في منامه هو حفيده سنة ٢٠٥٠. انه يعيش في حيّ قذر فقير مكتظّ بالسكان شبيـه ببعض احياء ريـو دي جانيرو عام ١٩٩٠. لا تدفئة ولا امدادات صحية ولا مجـال للسكن المنفرد.

لا يملك كيفن ٢٠٥٠ مهارات مفيدة، فالآلات المصنوعة في اليابان وتايوان تقوم بجميع الاعمال المعقّدة، والحاجة الى الاعمال اليدوية الوضيعة قليلة. ومن دون علم وتدريب لا يستطيع كيفن أن يؤمن لنفسه أجراً أدنى يسد به رمقه. وهو يعيش من التنقيب في أكوام النفايات.

باختصار، تشبه حياته الى حد بعيد الحياة التي عاشها كيفن هانلي ١٨٣٥ في ايرلندا.

لكن الحظ يبتسم لكيفن هانلي ٢٠٥٠، فيصادق عالم آثار يابانيا يزور امريكا لدراسة أسباب انهيارها. ويشرح له العالم أنه عندما يفتقر الانسان الى المال يزوّده العلم رأس مال إنسانيا ضروريا لبدء تحصيل رأس مال مادي. فبالعمل الدؤوب والعلم والادخار والانضباط يمكن تحقيق أي شيء. ويضيف الياباني: "هكذا نهضنا نحن من الحضيض بعد انهزامنا أمامكم في الحرب قبل مئة سنة."

ويسأله كيفن ٢٠٥٠ باندهال: "أمريكا هزمت اليابان في الحرب؟"

ويقطع كيفن ٢٠٥٠ على نفسه عهداً بأنه، اذا رزق أولاداً، فسوف يحرص على تعليمهم وتأديبهم ويتأكد من أنهم يجتهدون في العمل. ويقول: "إنها لمعجزة أن يعيش الانسان من عقله بدل أن يسرق ليعيش."

يستيقظ كيفن هانلي ١٩٩٠ من نومه ليجد كتاب "ثروة الامم" الى جانبه على السرير. فيقلّب صفحاته ويقرأ فيه: "الانسان الذي لا يحسن استخدام الطاقات الذهنية التي يتميز بها البشر، هو أقلّ جدارة بالاحترام من جبان. ويبدو أن الجزء الأهم من مميزاتِ الطبيعة الانسانية قد شوّه لديه ومُثّل به."

ويدخل والد كيفن الغرفة ويقول: "حسناً يا بُني، فلنذهب لشراء تلك السماعة."

فيجيبه كيفن ١٩٩٠: "آسف يا أبي، علي أن أدرس."

بنجامين ستين ■

ذاكرة لا تخون

فتح ابني في عيد مولده الثالث هدية من جدته، واذا هي مسدسٍ ماء. فصاح مبتهجاً وتوجه الى اقرب مغسلة في المنزل لتعبئته. ولم يرقني الأمر، فالتفتُّ الى امي وقلت لها: "يحيرني أمرك. ألا تذكرين كيف كنا نثير جنونك بمسدسات المياه؟"

فتبسمت وأجابت: "أذكر ذلك جيداً."

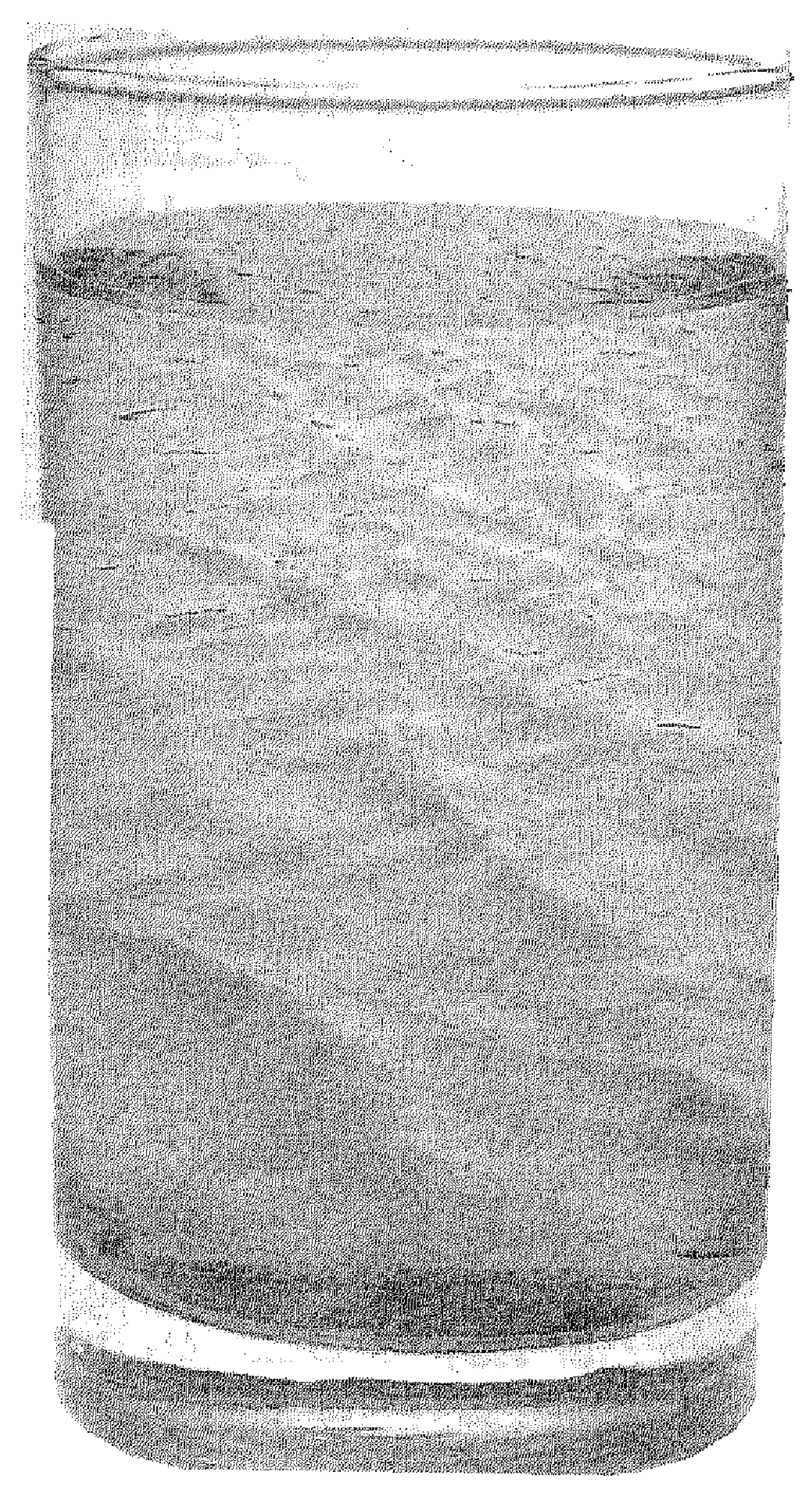
ج.ف.

الحب قبل الخبز

كانت السيدة الواقفة أمامي في طابور طويل لشراء الخبز تقرأ رواية غرامية. وتقدم الطابور ببطء الى أن حان دورها، فتنحت جانباً وقالت لي: "تقدَّم أمامي، فلا يمكنني أن أتوقف الآن وقد حملها داخل قصره!"

ب.ف.

هل تشربون ماء كافيًا؟



الماء، بعد الهواء، هو أهم العناصر الضرورية للبقاء. ويشكل الماء نسبة تراوح بين ٦٠ و٧٠ في المئة من جسم شخص طبيعي راشد. ويمكننا الاستغناء عن الطعام لمدة شهرين تقريبا، ولكن لا يسعنا الاستغناء عن الماء إلا لبضعة أيام. ومع ذلك يجهل معظم الناس كمية الماء التي ينبغي شربها، ويعيش كثيرون منهم حال اجتفاف.

من دون ماء، قد تقضي علينا فضلات أجسامنا تسمُّما. فعندما تتخلص الكليتان من البولة[1] والحمض البولي، ينبغي أن تذوب هاتان المادتان في الماء. وإن لم يتوافر ماء كاف فلن يتمّ التخلص من الفضلات بالفاعلية ذاتها، وقد تتحوّل حصى في الكلى. والماء ضروري أيضا للتفاعلات الكيميائية في عمليتي الهضم والأيض[2]، وهو يحمل الغذاء والأوكسيجين الى الخلايا بواسطة الدم، ويساعد في تبريد الجسم من طريق

(١) البولة (urea) مادة متبلّرة في البول.
(٢) الايض (metabolism) هو مجموع التغيرات الكيميائية التي تؤمن الطاقة الضرورية للنشاطات الحيوية.

العرق. كما أنه "يزيِّت" المفاصل لتخفيف احتكاكها.

ونحتاج الى الماء أيضا للتنفس، إذ يجب أن تكون الرئتان رطبتين لكي تمتصا الأوكسيجين وتطردا غاز ثاني أوكسيد الكربون. ومن الممكن خسارة نصف ليتر من السوائل يوميا بعملية الزفير فقط.

إذاً، ان عدم شرب ما يكفي من الماء يعرِّض جميع وظائف الجسم للخلل.

ويقول الدكتور هوارد فلاكس، الاختصاصي بالسمنة المفرطة في بيفرلي هيلز بولاية كاليفورنيا: "بالامتناع عن شرب الماء الكافي، يعرض كثيرون أجسامهم لزيادة في الشحم، ولوهن في العضلات ونقص في أحجامها، ولكسل في عملية الهضم ووظائف الأعضاء، ولزيادة السموم في الجسم وألم المفاصل والعضلات، ولاحتباس الماء."

احتباس الماء؟ نعم، لانك حين لا تشرب كفاية يحتبس جسمك الماء ليعوِّض النقص. ومن المتناقضات أن الخلاص من احتباس الماء يكون أحيانا بالاكثار من شربه لا بالاقلال منه.

ويرى الدكتور دونالد روبرتسون الاختصاصي بالسمنة المفرطة أن "شرب الماء على الوجه الصحيح هو مفتاح لانقاص الوزن. وما لم يتناول الساعون الى خفض وزنهم مقداراً كافيا من الماء، فلن تستطيع أجسامهم تأييض الشحم على نحو ملائم. كما أن احتباس السوائل يساهم في زيادة الوزن."

ويقول الدكتور فلاكس: "ان الحدّ الادنى من الماء الذي يحتاج اليه شخص سليم الجسم يوميا يراوح بين ثمانية أكواب وعشرة، سعة كل منها ٢٤٠ مليغراما. أما الذين يزاولون الرياضة البدنية أو يقطنون في بلدان حارة فيحتاجون الى كميات كبيرة من الماء. وهذا ينطبق أيضا على ذوي الأوزان فوق المتوسط، فعلى هؤلاء أن يتناولوا كوبا اضافيا من الماء يوميا في مقابل كل ١٠ كيلوغرامات تزيد على الوزن المثالي."

ولدينا في "المعهد الدولي للطب الرياضي" وصفة طبية تحدد كمية الماء المطلوبة يوميا، وهي ١٥ مليغراما من الماء لكل نصف كيلوغرام من الوزن للشخص الذي لا يبذل جهداً جسديا (أي ما يعادل عشرة أكواب سعة الواحد منها ٢٤٠ مليغراما لشخص يزن ٨٠ كيلوغراما) و٢٠ مليغراما لكل نصف كيلوغرام من الوزن للاشخاص الرياضيين (أي ما يعادل ١٣ أو ١٤ كوبا لشخص من الوزن نفسه). وينبغي شرب الكمية المطلوبة موزعة على ساعات النهار والمساء.

وقد تتساءل: ألن تضطرني كثرة الشرب الى دخول الحمام باستمرار؟

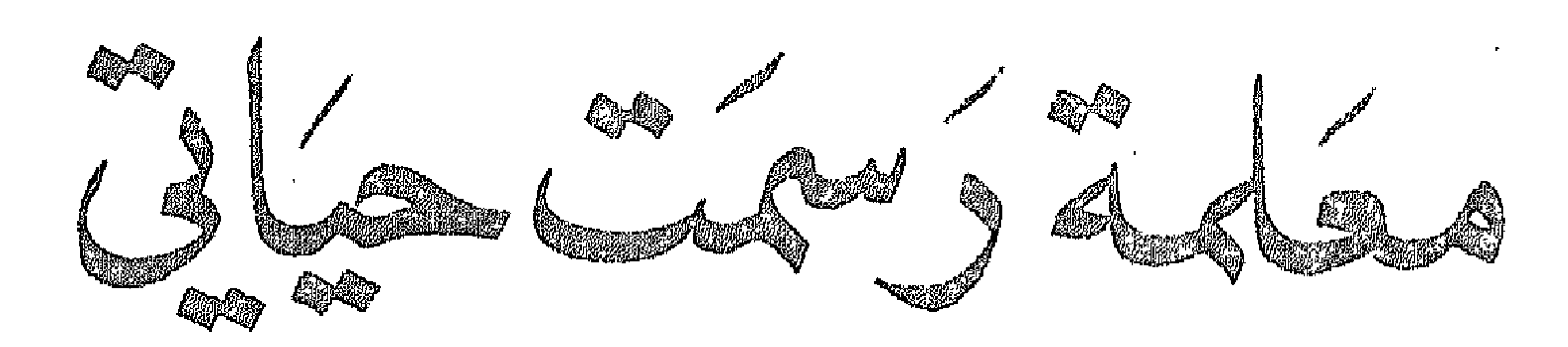
بلى، ولكن بعد أسابيع قليلة تتكيف المثانة بحيث تبوِّل مرات أقل ولكن بكميات أكبر.

فتناوَلْ هذه الاكواب الثمانية، أو العشرة، خلال يومك تؤمِّنْ طريقك الى جسم أوفر صحة ولياقة.

ليروي ر. بيري الابن ■

الكاتب رئيس "المعهد الدولي للطب الرياضي" في لوس انجلس بكاليفورنيا.

عرفت تلك السيدة اللاذعة اللسان
كيف تحوّل ضياع لاجىء صغير طموحاً بلا حدود



نزلتُ من السفينة ذلك اليوم الرمادي من شهر مارس (آذار) ١٩٤٩ على رصيف مرفأ نيويورك، صبياً يونانياً هزيلاً في السن التاسعة، ماتت أمه فجاء ليعيش مع أب لا يعرفه. دنوت حذراً من ذلك الغريب البدين الاصلع الذي عانقني وشقيقاتي على الرصيف. وهو بدا، في حذائه الاسود اللماع ومعطفه الرمادي وقبعته العريضة، صورة ناطقة للبحبوحة والوفر والشبع في أمريكا.

اصطحبنا في السيارة الى بيتنا الجديد في ورستر بولاية مساتشوستس. وفي الطريق دلّنا على المدرسة التي سنذهب اليها، فجفّ حلقي، كانت بناء كالحا ضخما من القرميد يحيط به سياج من أسلاك. وكانت أكبر من بيت العمدة في قريتنا والمدرسة والمقهى مجتمعة.

راجعت في ذهني دروس الانكليزية التي تلقيتها على لاجىء آخر رافقني في السفينة. وتلوتها على أبي بفخر واعتزاز: "واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة، ثمانية، تسعة، عشرة."

"جيد جداً!" قال أبي بالانكليزية أولا ثم باليونانية وتابع: "أسمِعْها لمدير المدرسة، وسوف تترك لديه انطباعاً عظيماً."

غير أن ذلك لم يجدِ، إذ وضعني مدير المدرسة صاحب الملامح الكئيبة، أنا وشقيقتي ابنة الحادية عشرة، في صف للمتخلفين عقلياً. فلم تكن في المدرسة تسهيلات للتلاميذ الذين لا يتكلمون الانكليزية.

ولكن بعد أربع سنوات من ذلك التاريخ التقيت انسانة رسمت مسار حياتي. وكنت أتقنت الانكليزية حتى وقع علي الاختيار للاشتراك في مباراة لغوية.

بعيد انتقالي الى مدرسة تشاندلر المتوسطة، طلب كل منا أن يختار هواية لمتابعتها في "حصّة النوادي" أيام الجمعة. قررت أن أتبع أجمل فتاة في صفي. وقادتني خطاها عبر باب كتب عليه "نادي الصحافة." هناك التقيت مارجوري هيرد مدرسة اللغة الانكليزية، وكانت سيدة لاذعة اللسان ليس لديها للتفاهات متسع.

بدا واضحا أن الآنسة هيرد تضيق ذرعا بالكسالى. وهي خاطبتنا بلهجة أهل بوسطن الباردة: "إننا ننوي إصدار

صحيفة هنا، واذا كان بينكم من يكره العمل فإني انصحه بمغادرة هذه القاعة فوراً والانضمام الى نادي الغناء في القاعة المقابلة. فالعمل هنا مضن وشاق."

سحرتني تلك المدرّسة المخيفة ذات النظرات الفولاذية فرجوت مدير المدرسة ان ينقلني الى صفّ اللغة الانكليزية الذي تدرّسه. وهناك، بأسلوبها الجلف والمرح في آن، علّمتنا قواعد اللغة وأوقعتني في هوى الأدب.

أسرتني طريقة قراءتها للقصة التي كانت تتفتح بين يديها كمروحة متكشفة عن أوجه متنوّعة المعاني والالوان. كنت أظن الروايات مجرّد قصص مغامرات، لكنها أرتني كيف تعبّر عن انواع المشاعر، من الألم والإحباط الى الغضب والضياع.

علمتني أن بلاد اليونان هي مهد الحضارة الغربية ومحكّها. وكانت كلما أتت على ذكر أرسطوطاليس أو افلاطون تغمزني بعينيها وتقول لي: "شرف آخر لبني قومك يا نيك!" فيكبر اعتزازي وأزداد فخراً بأصلي.

وذات يوم طلبت منا أن يكتب كل واحد مقالا مستمداً من تجاربه الشخصية. وحدجتني بنظرة ثاقبة ثم قالت: "أريد منك يا نيك ان تكتب عما حدث لعائلتك في اليونان."

كان ذلك آخر ما وددت خوضه، لذلك أرجأت كتابة الفرض حتى اليوم الأخير. وبعد ظهر نهاية الاسبوع تلك، حملت قلمي واضبارة من الورق الاصفر وجلست في غرفتي. سرّحت ناظري عبر النافذة وصرفتني عن مهمتي جوقة من العصافير المزقزقة وأريج العشب المجزوز حديثاً. أخيراً كتبت، وكانت الجملة الأولى: "الربيع، بالنسبة الى أناس كثيرين، يعني نهاية الشتاء ومجيء طائر الحن وبداية أحلام الحب. أما بالنسبة إلي فانه يحمل معاني مختلفة تماماً. إنه الفصل الذي ودعت فيه أمي الى الأبد."

توالت الكلمات وتدفقت. كتبت كيف احتل الثوار قريتنا واستولوا على بيتنا وعلى طعامنا وكيف خططت أمي ايليني غاتزويانيس لهربنا عندما علمت أن جميع الأولاد سيرسلون الى معسكرات، وكيف تخلّفت هي عن الذهاب معنا لأن الثوار ارسلوها لـ"درس"* الحنطة في قرية نائية.

كتبتُ عن كابوس هربنا في الجبال ليلا ووصولنا الى خطوط الجنود الذين أرسلونا الى معسكر للاجئين حيث علّمنا بإعدام أمنا بعد تعذيبها. كتبت أن صرخات شقيقاتي ما زالت ترن في أذني، عندما علمن أن الثوار أطلقوا النار على أمي بعدما اتهموها بالخيانة لأنها هرّبت أولادها.

لم أكتب ما فعلته أمي وما قالته لي ذلك اليوم الأخير، ولا كيف أجلستني على حضنها وأوصتني أن أتحلى بالشجاعة وألا أعود الى اليونان أبداً. لم أكتب كيف نزعت عن عنقها سلسلة وأحاطت بها عنقي، ولا كيف اقتِيدتِ عبر ذلك الوادي

(*) كلمة "درس" تعني هنا فرط سنابل القمح بواسطة النورج.

الشديد الانحدار ثم أصعدت الجبل في الجهة المقابلة. لم أكتب كيف تعلّقت بها عيناي حتى غدت شكلا بنيا صغيراً توقف برهة ثم رفع يداً في وداع أخير وتوارى خلف منعطف في الطريق.

كانت هذه ذكريات أغلى من أن يشاطرني فيها أحد.

لكنني كتبت، بدل كل ذلك، أن مجيء الربيع يذكرني دائماً بذلك اليوم الأخضر الذهبي الذي شاهدت فيه أمي للمرة الاخيرة.

سلّمت الفرض وفي اعتقادي أن الامر انتهى عند ذلك الحد. غير أن الآنسة هيرد نشرته في صحيفة المدرسة. كدت أذوب خجلا، ولم يفارقني ذلك الشعور إلا عندما لمست ردود فعل رفقائي في الصف، وكانت مزيجا من التعاطف واللياقة.

والى ذلك، ومن دون إعلامي، أشركت الآنسة هيرد مقالي في مباراة أدبية ففاز بجائزة. ونشرت الصحيفة المحلية خبر الجائزة كما نشرت المقال.

وللمرة الاولى أدركت فعل الكلمة المكتوبة. ونذرت أن أعود الى اليونان وأستكشف دقائق وفاة أمي وأكتب عن حياتها كي يعرف أحفادها مدى شجاعتها.

وتابعت مسيرتي في درب الادب الذي رسمته لي الآنسة هيرد. وفي المرحلة الثانوية توليت رئاسة تحرير صحيفة المدرسة، كما حصلت على عمل بدوام جزئي في صحيفة "ورستر تلغراف أند غازيت." وفي وقت لاحق تدبرت أمري وتمكنت من دفع رسوم دراستي العالية طوال أربع سنوات في جامعة بوسطن، مستعينا تارة بمنح جامعية وطوراً بايرادي من أعمال متفرقة في حقل الصحافة. وحاز مقال كتبته عن صديق قضى في الفيليبين في مهمة إنسانية، جائزة صحافية تسلمتها من الرئيس جون ف. كينيدي في البيت الابيض. وعندما نشرت صحيفة "ورستر" صورتي واقفا الى جانب الرئيس، قصّها والدي وصفّحها بالبلاستيك واحتفظ بها في جيب سترته حيث عثرت عليها يوم وفاته بعد عشرين سنة.

كانت أمي رشت أحد أقاربها كي يعلّمها القراءة مع أن ذلك مخالف لتقاليد قريتنا اليونانية النائية. وكان حلمها أن يتعلم أولادها. لكنها لم تحضر حفلة تخرجي في جامعة بوسطن. والانسانة التي رافقت أبي الى الحفلة وشاطرتنا فرحتنا كانت مارجوري هيرد. وهي التي رقصت مع أقاربي اليونانيين يوم زفافي وأيام ولادة أطفالي.

مارست مارجوري التعليم طوال ٤١ سنة. وكثيراً ما كان تلاميذها من عائلات تعاني مشاكل شتى. فكانت تقسو وتتنمّر عليهم تارة وتتملقهم وتتودد اليهم طوراً، ولا تكفّ عنهم قبل أن تتحوّل الشرارة الكامنة في كل واحد فيهم ناراً متقدة. وحين تقاعدت عن العمل في العام ١٩٨١ كانت في الثانية والستين من عمرها.

وكانت الانسة هيرد أول من اتصل بي يوم ١٠ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٧ عندما خاطب الرئيس السابق رونالد ريغن


EDDIE ADAMS · SYGMA

الشعب الامريكي عبر التلفزيون بعد لقاء القمة الذي ضمّه والرئيس السوفييتي غورباتشيوف، وقال ان صرخة أمي المحتضرة "أولادي!" ألهمته أن يسعى الى عقد اتفاق للحدّ من التسلح "من أجل جميع الاطفال في العالم."

ما زالت مارجوري هيرد ضيفاً مؤنساً مكرماً في كل المناسبات التي تحتفل بها عائلتنا. وفي الذكرى الخمسين لمولدي شعرتُ وشقيقاتي بفراغ مؤلم لغياب والدي عن حلبة الرقص حيث اعتاد أن يقود الراقصين في صف أفعواني وعلى رأسه يترجح كوب شراب. لكننا وجدنا عزاء في الآنسة هيرد التي حضرت الاحتفال وجلست تراقب المشهد برضا صامت.

ربما سأنعم بالبحبوحة في كل حال، وإن لم تقُدني خطواتي الى صف الآنسة هيرد. لكنها هي التي حوّلت حزني وتوجعي كتابة، وهي الحافز الذي دفعني الى الصحافة، وهي باب جميع النعم التي توالت عليّ.

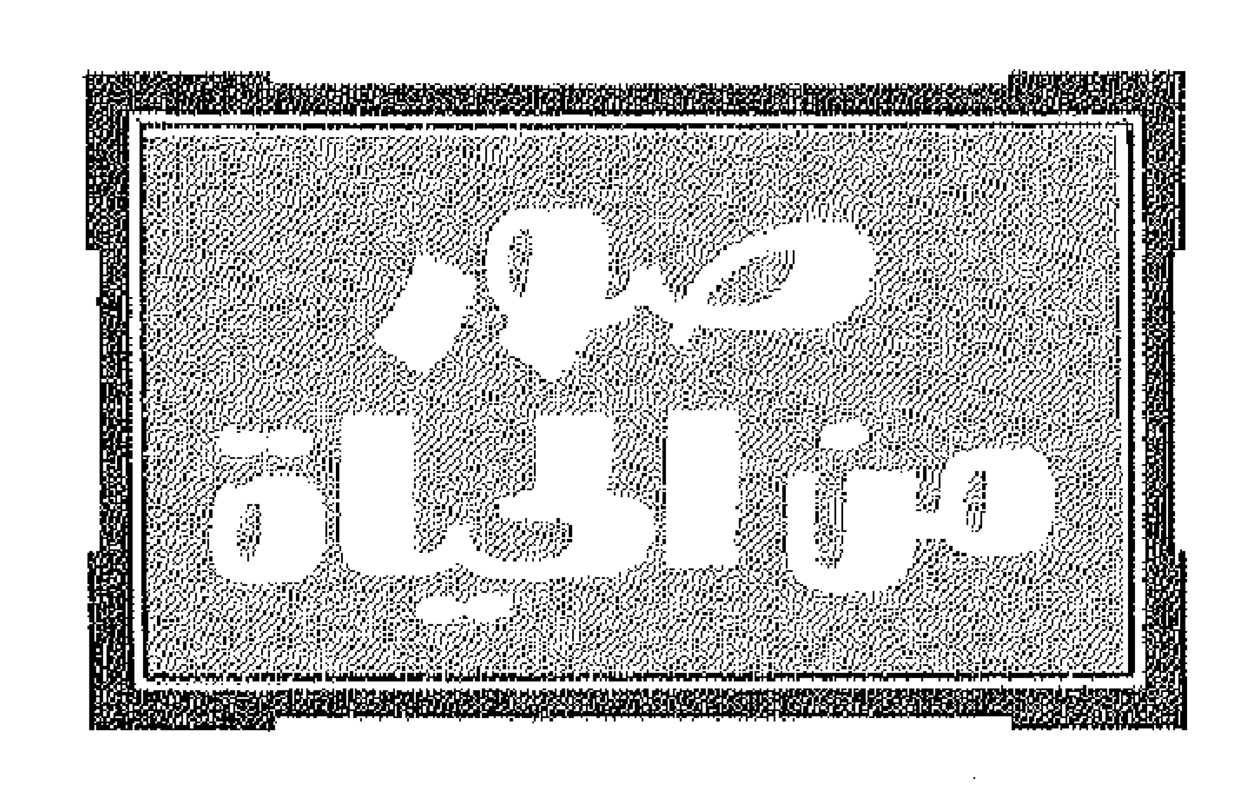
وربما أنكرت الآنسة هيرد هذا كله.

قبل سنوات اتصلت بي هاتفياً، وسألتني، باصرارها المعتاد الذي لا يقبل "لا" جواباً، أن ألقي كلمة التأبين يوم وفاتها. إنه فرض لا أريده. ورجائي، يا هيرد، أن تقبلي بدلا منه هذه التحية.

نيكولاس غايج ■

للكاتب رواية "إيليني"، وهي من الكتب الاكثر مبيعاً في العالم وتروي سيرة حياة امه ومماتها.

الذي يقرأ لا يعيش وحيداً أبداً. هـ.س.



أمثولة العصفورة

■ بعد أيام قليلة من تخرجي في الجامعة كان أبي يشذب الأزهار في الحديقة. فوجد عصفوراً صغيراً تحت شجرة وافترض انه وقع من عشه. فذهب لاحضار سلم كي يعيد الطائر الصغير الى عشه. وعندما عاد وجد عصفوراً صغيراً آخر على الأرض. فجأة سمع سقسقة مرتفعة. وإذ رفع نظره رأى العصفورة الأم تطرد عصفوراً صغيراً ثالثاً من العش.
فدخل أبي المنزل وألقى علي نظرة وانا أشاهد التلفزيون ثم صاح بي: "أخرج وابحث عن عمل!"

م.و.

موظف مطلوب

■ كنت أبحث عن عمل بعد تسريحي من سلاح البحرية. فقرأت اعلاناً في صحيفة عن وظيفة لعامل تشغيل رافعة في مصنع لتعبئة زجاجات المرطبات. وقدّمت طلباً للحصول على الوظيفة. وعندما دعيت الى مقابلة المسؤول، أخذني كبير عمّل المستودع في جولة في المصنع مشدداً على أهمية عدم كسر الزجاجات. فذكرت له كيف أنّ تشغيل الرافعة في سلاح البحرية لم يكن يُسمح لنا فيه بارتكاب أقلّ خطأ.
فسألني: "وما الذي كنتم ترفعونه؟"
فأجبته: "قنابل."
فوظّفت على الفور.

د.ن.

حيله روجه

■ تبرّعت بمساعدة ابنتي في التحضير لمأدبة عشاء. وكانت مهمتي تنحصر في تنظيف البرّاد والثلاجة من أجل تأمين مكان للطعام المحضر للحفلة. فأعدت ترتيب كل المأكولات المجلدة ما عدا طبقاً واحداً عاق عملي. وعندما كشفت غطاءه رأيت فيه ما يشبه النقانق والمعكرونة تغمرهما صلصة بيضاء مجلدة. وكان شكلها يدعو الى التخلّص منها على الفور، فوضعتها جانباً لكي يذوب عنها الثلج. وعندما رأت ابنتي الطبق سألتني عن سبب تركه خارج الثلاجة، فشرحت لها الأمر. فقالت: "بالله عليك يا أمي، لا ترمي هذا الطبق. فكل مرة يعود زوجي الى البيت ويراني أذيبه، يخطر له فجأة أن يدعوني الى تناول العشاء في المطعم."

غ.و.

عن ديمومة الحب أعظم الممثلين في عصرنا علّمنا درسا

لورنس أوليفييه: الحبّ لا يموت!

(من اليمين) "مرتفعات وذرنغ"، "ريتشارد الثالث"، "ريبيكا"، "الملك لير." (تحت، من اليمين) "العميل السري"، "ريبيكا"، "الفنان"، "هنري الخامس."



عندما مثل لورنس أوليفييه دور المغني والراقص الرث الثياب آرشي رايس في مسرحية "الفنان"[1] التي عرضت في برودواي[2] عام ١٩٥٨، ذهب طلاب صف الفن المسرحي في احدى كليات ايلينوي لمقابلته. وابتهج الطلاب عندما دعاهم أوليفييه الى الدخول وراء "الكواليس." وكانت بينهم طالبة من بغداد اسمها هند رسام تستعد لتمثيل دور أنتيغون ابنة الملك أوديب في مسرحية يحضر لها في الكلية، وهو دور أدته فيفيان ليه في اشراف أوليفييه. وسألته هند ما اذا كانت لديه توجيهات يقدمها اليها، فأجابها أعظم ممثلي القرن العشرين: "أحبي شخصيتك في المسرحية. هذه أفضل نصيحة حصلت عليها."

(١) The Entertainer

(٢) برودواي شارع المسارح في نيويورك.



ومثلت هند دور أنتيغون على نحو رائع، حتى ان مراسلاً صحافيا شابا كتب نقداً يطري أداءها. وأكد إعجابه هذا بالزواج بها. وكنت أنا ذلك الصحافي.

ومرّت ثلاث عشرة سنة قبل أن يتاح لنا، أنا وهند، مشاهدة أوليفييه معاً على خشبة المسرح. ولكن عندما شاهدناه تعلمنا درسا لا ينسى عن ديمومة الحب.

خلال حياة مهنية دامت ستة عقود أدى لورنس أوليفييه عشرات الأدوار لشخصيات متباينة، من أوديب لسوفوكليس الى الملك لير لشكسبير الى جايمس تايرون في مسرحية يوجين أونيل "رحلة اليوم الطويل الى الليل"[٣] وهو جعل الناس في كل مكان يحبّون هذه الشخصيات ويحبونه. وقد طغت على أدواره الرومنطيقية ميزة حزينة تنفذ الى نفوس المشاهدين، ولاسيما النساء، فيتجاوبون وهذه الشخصيات. وفي مسرح الحياة أحب لورنس أوليفييه وتزوج ثلاث مرات. ويبدو أن جذور اضطرابه في الحب متأصلة في خسارة مني بها في صباه.

قال الكاتب والناقد المسرحي الراحل كنيث تينان إن صديقه أوليفييه "أبقى طوال حياته أنبوبا مفتوحا على ألم طفولي." وكان تينان يعتقد أن الأنبوب يؤدي الى بئر من الوحشة الناتجة من موت أم أوليفييه. ولعل تلك الوحشة كانت سبب نجاح الرجل ومصدر عظمته.

وتروي سيبيل أخت لاري (لورنس) الكبرى أن والدتها أغنس كروكندن أوليفييه "كانت ترى دائما الناحية المضحكة للأمور." وأضافت سيبيل بعد مرور سنوات: "كانت أمي متعلقة جداً بلاري اذ كان يضحكها ويسليها دائماً. لقد كان مهرجا حقيقيا، لكن ناحية من شخصيته لم تخل من الكآبة." وتلك الناحية نابعة ربما من محاولته العقيمة ارضاء والده. فعندما ولد لورنس كير أوليفييه في ٢٢ مايو (أيار) ١٩٠٧ كان والده كاهن رعية متواضعة في مقاطعة ساري. وفي سعيه اليائس الى الحصول على استحسان والده كان يقلد الاسلوب الدرامي الذي يعتمده في مواعظه، فيخفض صوته تارة ثم يرفعه متحولا من عاطفي الى كئيب. وقد لاحظت والدته مقدرته على التمثيل فشجعته على سرد الادوار المسرحية التي يؤديها ممثل واحد. وكانت تصحح له أخطاءه وتثني عليه عندما يحسن الالقاء.

"سوف أريهم." من سوء حظ أوليفييه، كفتى بريطاني في تلك الحقبة، أنه كان فاشلا في الرياضة. وكان الفتية الآخرون يسخرون منه فيخرج من الملعب. وحتى في المنزل شعر بالاذلال. وقد أزعجه خصوصا اجباره على الاستحمام بالماء الذي استعمله أبوه وأخوه ديكي قبله، توفيراً للمال. وكما قال أوليفييه بعد مرور سنوات على ذلك: "ان من ينشأ في بيئة فقيرة تتكلّف أناقة العيش، يشعر بدافع الى الصراخ: سوف أريهم. علي أن أريهم."

وبدأ لاري "يريهم" وهو في العاشرة

(٣) Long Day's Journey Into Night

PHOTOS: «REBECCA» AND «HENRY V» CULVER PICTURES; «KING LEAR,» «REBECCA,» «SLEUTH,» «RICHARD III,» «WITHERING HEIGHTS» AND «THE ENTERTAINER» MOVIE STILL ARCHIVES

من عمره عندما مثل دور بروتس في عرض مدرسي لمسرحية "يوليوس قيصر." وكانت بين الحضور ايلين تيري أشهر ممثلات بريطانيا آنذاك. وهي كتبت في دفتر يومياتها: "ان الصبي الصغير الذي أدى دور بروتس هو ممثل عظيم منذ الآن."

عندما بلغ لاري الثانية عشرة عاد من المدرسة الداخلية ذات يوم ليجد أمه مشلولة في السرير. وكانت أغنس أوليفييه تتمتع، مثل ابنها، بالشجاعة وروح الفكاهة. فلم تتذمر، ولم يخبر أحد الفتى أن أمه في خطر. وقبل عودته الى المدرسة قبّلها مودعاً اذ كان لا يزال يجهل أنها مصابة بورم في الدماغ. وبعد أسبوعين توفيت عن ٤٨ عاماً.

عاطفة صادقة. كان ديكي حامي لاري مدة. لكنه أبحر يوما الى الهند ليشغل وظيفة في الدوائر الحكومية البريطانية هناك. وسأل لاري أباه متى يمكنه الالتحاق بأخيه، فأجابه: "لا تكن مغفلا، فأنت ستعلو خشبة المسرح."

في السنين العشر التي تلت أدى أوليفييه ٤٦ دوراً مسرحياً في أنحاء بريطانيا. وفي العام ١٩٢٨ مثل دور ابن اقطاعي يتودد الى ابنة صاحب نزل في مسرحية "عصفور في اليد."[٤] ومثلت جيل إزموند دور ابنة صاحب النزل، وكانت في العشرين من عمرها. وخطبها لاري بعد مرور ثلاثة أسابيع على لقائهما، وتزوجا عام ١٩٣٠.

كان العام ١٩٣٥ نقطة تحول في حياة أوليفييه المهنية. فقد كان جون غيلغود يستعد لاخراج مسرحية روميو وجولييت، ودعا أوليفييه الى مناوبته في تمثيل الدور الرئيسي.

هاجم معظم النقاد أوليفييه في دور روميو، لكن أحدهم لاحظ أن غيلغود يلقي الشعر أفضل، بينما أوليفييه واقع في حب جولييت عشرين مرة أكثر منه. وفعلا، بدأ الجمهور والنقاد يكتشفون أن ما من ممثل يستطيع أن يحب أو يكره من كل قلبه كما يفعل أوليفييه.

وخلال موسم ١٩٣٧ – ١٩٣٨ المسرحي دعا المخرج تايرون غوثري أوليفييه الى ادارة أعمال شركة "أولد فيك" اللندنية. ومثل أوليفييه دور هاملت وستة أدوار شكسبيرية رئيسية أخرى في ثمانية أشهر لا تنسى. ثم أعاد تمثيل دور هاملت في عرض للمسرحية في قلعة كرونبورغ بمدينة إلسينور في الدانمرك. وأدت دور أوفيليا ممثلة بريطانية شابة في الثالثة والعشرين اسمها فيفيان ليه.

في العام ١٩٣٩ كان أوليفييه وليه كلاهما في هوليوود حيث مثل هو دور هيثكليف في فيلم "مرتفعات وذرنغ"[٥] ومثلت هي دور سكارلت أوهارا في فيلم "ذهب مع الريح."[٦] وأصاب الفيلمان نجاحا باهراً في العام ١٩٤٠. وطلّق أوليفييه جيل إزموند، وتركت ليه زوجها، لكي يبدأ "الزوجان أوليفييه" – كما باتا يعرفان – زواجا دام عشرين سنة.

(٤) Bird in Hand
(٥) Wuthering Heights
(٦) Gone with the wind

رجل الأخطار. عاد الزوجان الى بريطانيا للمساهمة في المجهود الحربي. وارتأى المنتج فيليبو ديل جيوديس أن انتاجا سينمائيا لمسرحية شكسبير "هنري الخامس" سيكون ملهماً للقوات الحليفة. وتحمس أوليفييه لدور الملك المحارب الذي انتصر في معركة أجنكورت. لكن أحداً لم يتحمس لاخراج الفيلم، فقرر أوليفييه اخراجه بنفسه.

صورت مشاهد المعركة في مقاطعة ويكلو الايرلندية حيث أجّر المزارعون أوليفييه جيادهم وعملوا معه كممثلين اضافيين في المشاهد الجماعية. وأكّد أوليفييه لهؤلاء الرجال أنه لن يطلب منهم القيام بأي عمل لا يقوم به هو نفسه. فتحدّوه، مستغلين حدّة طبعه، أن يؤدي أمامهم كل حركات المجازفة على صهوة الجواد التي كان يفترض فيهم تأديتها خلال التصوير. ففعل، ولوى كاحله ورضّ ساقيه ونخع ظهره وخلع مرفقيه.

من هذا الفيلم انبثقت صورة يصعب محوها هي صورة أوليفييه في دور هنري الخامس لابساً معطفاً فضفاضاً يحميه من صقيع المساء، حين زار جنده عشية المعركة.

استحوذ هنري الخامس على عاطفة المشاهدين في أنحاء العالم، ومُنح أوليفييه جائزة أوسكار خاصة لانتاجه الفيلم واخراجه والتمثيل فيه. وفاز بأوسكار آخر عن دوره في النسخة السينمائية لمسرحية "هاملت."

وفي انتاج لندني لمسرحية تينيسي وليمس "عربة تدعى الشهوة"[7] أدار أوليفييه في العام ١٩٤٩ فيفيان ليه في دور بلانش. وكان حرياً بها ألا تؤدي ذلك الدور، فقد أصيبت بداء السل وباتت تعاني اجهاداً فكرياً. لكن أداءها المسرحي الجيد أوصلها الى تمثيل الدور ذاته سينمائيا أمام مارلون براندو فنالت عليه جائزة أوسكار.

ولازمها خوف من الاضطراب العقلي الدائم. وأخضعت في الخمسينات لعلاج بالصدمات الكهربائية للسيطرة على انقباضها وهوسها المرضيَّين، لكن العلاج لم ينفع. وفي العام ١٩٦٠ طلّقت من أوليفييه. وعندما توفيت عام ١٩٦٧ كان أوليفييه في المستشفى مصاباً بذات الرئة، فغادر المستشفى على الفور وذهب الى شقة ليه حيث جلس وحده مع جثمانها.

معلّم الماكياج.[8] بات اسم أوليفييه يتصدر معظم لوائح الممثلين العظام في العالم. وكان يبذل جهداً عظيماً في كل دور يؤديه. وقد أخبرني مايكل كين الذي شاركه في بطولة فيلم "العميل السري"[9] عام ١٩٧٢، أن أوليفييه تعجب مرة حين رآه يشاهد التلفزيون في حجرة الملابس خلال فترة استراحة من التصوير. وأضاف: "سألني لاري: "ألا تعمل في حجرة الملابس؟" فقلت له: "بلى، ولكن ليس في كل الاوقات." فقال: "أنا أعمل طوال الوقت." وهذا صحيح."

---

(٧) A Streetcar Named Desire

(٨) الماكياج فن استعمال مستحضرات التجميل.

(٩) Sleuth

إن اهتمام أوليفييه بالتفاصيل واعتماده الماكياج المتقن والتحركات غير العادية والخدع الصوتية يشبهان، بالنسبة الى كثيرين، التخفي وراء سلسلة من الاقنعة. ويبدو أنه اعترف بذلك الى كين عندما قال له: "أنا لست مثلك. فأنت تستطيع التمثيل بمظهرك العادي، أما أنا فأحتاج الى وسادة تحت سترتي أو أنف مزيف أو شنب أو شعر مستعار. فلا يمكنني أن أظهر كما أنا وأكون شخصا آخر."

وتخلى أوليفييه أخيراً عن حذره في مقابلة تلفزيونية اجراها معه ملفن براغ ودامت ساعتين. فقد سأله براغ عن أغنس أوليفييه، وكانت مرّت ٦٣ سنة على وفاتها. فاعترف أوليفييه بأنه ما زال يفتقدها.

وكتب براغ عن زواج أوليفييه الثالث والأخير بالممثلة جون بلورايت: "قال إنها المرأة الوحيدة التي وجد فيها بديلا من أمه." وربّيا معا ثلاثة أولاد في بيتهما الريفي في ساسكس.

[illegible]. ساءت صحة أوليفييه في ١١ يوليو (تموز) ١٩٨٩، فتوفي وهو نائم. وكانت زوجته وأولاده عند فراشه.

عندما رأيت أوليفييه على شاشة التلفزيون في ما بعد وهو يعترف بأنه ما زال يفتقد أمه، أدركت أنني رأيته مرة من دون قناع. كان ذلك في لندن عام ١٩٧١، وكان يمثل دور جايمس تايرون، الشخصية التي استوحاها أونيل من أبيه الممثل. وكان تايرون يتذكر أمه التي توفيت قبل سنوات كثيرة، وأقسم انني رأيت أوليفييه يمسح دموعاً حقيقية وهو يقول: "كانت امرأة رقيقة، شجاعة، عذبة. لم تعِش يوما امرأة أشجع وأرق." وبدا صوته مثل صدى في ذلك الانبوب المفتوح على ألم طفولته، الذي تكلم عنه صديقه تينان. داخل أعظم الممثلين في عصرنا اختبأ طفل مستوحش فقد أمه.

بعد انتهاء المسرحية أردت وزوجتي أن نعبر لأوليفييه عن مدى تأثرنا. وعند مدخل المسرح وقّع أوليفييه كتيِّب برنامج المسرحية الذي حملناه، وألقى علينا ابتسامته الساحرة ومشى نحو سيارته. وتذكرت مشهداً من مسرحية "فيكتوريا ريجينا"[١٠] تكون فيه الملكة متنقلة في عربتها يوم يوبيلها الالماسي[١١] اذ تشعر "بالرضى والامتنان" عندما يصرخ لها أحد رعاياها: "انطلقي أيتها الفتاة الكبيرة. لقد قمت بعمل رائع! لقد قمت بعمل رائع!" وكان أوليفييه سيد مهنته من دون منازع، فصرخت عفوياً حين مشى مبتعداً: "حياة مديدة وسعيدة لك يا سيدي!"

فجمد في مكانه، ثم استدار برشاقة على قدمه اليمنى الى أن واجهنا مجدداً. فلوّح لنا بيده اليمنى بتأنق وقال بصوته المتعالي: "ولكما أيضاً!"

مشهد مسرحي. لا ينسى. لمسة رقيقة في الليل.

■ جون كلهان

(١٠) Victoria Regina

(١١) اليوبيل الالماسي هو الذكرى الخامسة والسبعون لمناسبة ما.

انه الطريق الطبيعي
للتعرّف الى المجهول
وهو خير معلم

الفشل طريق النجاح

ها أنت، عالق في عملك كما في مستنقع، تتساءل لماذا يتراقص النجاح خارج متناولك دائماً. الجواب لدى كبار رجال الأعمال، ولن تصدق ما يقولون: ان النجاح يروغ منك لأنك لم تفشل ما فيه كفاية.

كثيرون من خبراء العمل يشبهون الفشل بزيت الخروع، انه دواء ناجع – ولكن كريه – للنجاح. وليس المقصود أن تندفع نحو كارثة محتومة كي تكافأ لاحقاً بنجاح غامض. الأمر لا يتعدى اعترافاً بسيطاً منك بأن الاشخاص الذين يخاطرون ويفشلون ويتعلمون من فشلهم هم ذواتهم الذين يصيبون نجاحاً أكبر في ما يقدمون عليه.

إن لم يصدمك الفشل بعد، فلأنك ما زلت على الشاطئ لم تركب البحر ولم تغامر فلم تصادف من التحدي سوى القليل. ربما واجهتك بعض انتكاسات صغيرة في المدرسة أو في الحب، لكن فشلك ذاك كان خالياً من المغزى. وفي هذا يقول أميتي اتزيوني أستاذ علم الاقتصاد الاجتماعي في جامعة جورج واشنطن: "لا تخف، كلنا يحظى بفرص للنجاح. لكن أحداً لا يعيش حياة معصومة من الفشل."

من السهل التعرّف الى الفشل. فهو، كما تقول كارول هيات التي شاركت في تأليف كتاب "عندما يفشل الأذكياء"، "يشمل عادة خسائر في المال والمركز وتقدير الذات." وهو يعني، في أقل تقدير، أنك لا تحصل على ما تشتهي.

هذا لا يعني أن على العقلاء طلب المصائب، كما يقول هارولد كوشنر مؤلف كتاب "عندما يتعرّض الناس الطيبون للسوء." الا أن جرعة قوية من النوائب غالباً ما تكون بمثابة درس مؤلم لكنه فاعل. وهي تساعد المرء على اكتشاف نقاط القوة ونقاط الضعف في شخصيته. وهذا في نظر كوشنر "جزء مهم من النضج."

الاشخاص الذين يتعلمون من فشلهم هم "المقاتلون" الذين يطلبهم رجال الاعمال الناجحون. ويرى الصناعي الملياردير روس بيرو أن "النجاح المستمر يؤدي إلى الغطرسة والرضا الذاتي. وأنا أفضل الاشخاص الذين تستهويهم الحرب وهم على استعداد للمغامرة وتقبّل الفشل." وهذا يشمل اقتراف أخطاء "صادقة." ويعتقد بيرو أن الفاشل هو الذي يتجنب المخاطرة بالفطرة، حتى عندما تبدو المراهنة مضمونة النتائج: "الانسان يتعلم من الفشل أكثر كثيراً مما يتعلّم من النجاح." وما الفشل، في النهاية، سوى ثمن الاقدام والمغامرة.

إن كنت ممن تشلّهم فكرة الفشل، فإليك بعض النصائح:

١. كف عن ترداد كلمة "فشل."
في كتاب "أهل القمة: أبطال جدد في عالم الاعمال بأمريكا" كتب تشارلز غارفيلد أن الناجحين قلما يستعملون كلمة "فشل" المشحونة بالمعاني والتي توحي طرقا مسدودة، ويفضلون عليها عبارات أخرى.

في منتصف الخمسينات فوّت رجل الاعمال فيكتور كيام (صاحب آلة "رمنغتون" للحلاقة) فرصة الحصول على وكالة لسلعة غير معروفة، بسبب انتقاد بعض زملائه اياها. ولم تكن تلك السلعة سوى "فلكرو."* ويعترف كيام في كتابه "عِش للفوز": "من حقي أن أثور وأغضب لهذه الهفوة، لكنني أنظر الى الأمر كمعلم آخر في الطريق. وفي أي حال، لو لم أعتبر من هذا الخطأ في التقدير، فأدرك أني خنت ثقتي بنفسي، لما اشتريت رمنغتون في ما بعد."

٢. لا تنظر الى الامور من زاوية شخصية. عندما تتعثر الامور، هل تصنّف نفسك تلقائيا في خانة الفاشلين؟ تقول كارول هيات ان "اللغة التي تستخدمها في وصف نفسك قد تتحوّل حقيقة فعلية." وهي تحذر من الوقوع في هذا الخطأ، موضحة أنك اذا وصفت نفسك تكراراً بأنك بائع بلا عمل، مثلا، فذلك يضعك في صف العاطلين عن العمل، وهذه العبارة مرادفة للفشل في مجتمعنا، كما أنه يحدّ من امكاناتك. وتضيف أن "من الأفضل أن تنظر الى نفسك كإنسان امامه خيارات مفتوحة."

(*) Velcro أو "شليك – شلاك" وهي تتألف من قطعتين متلاصقتين تنسلخان عند الحاجة، وتستعمل خصوصا في الثياب والاحذية.

وتشمل الخيارات متابعة دروس خاصة لاكتساب مهارات جديدة، أو التحول بشجاعة الى ميدان عمل آخر.

٣. كن مستعداً. ساهم في وقاية نفسك باعتماد خطة للطوارىء. إسأل نفسك ما هو أسوأ ما يمكن أن تتعرض له. إن تصوُّر المرء أنه خسر عمله أو فقد شريك حياته يجبره على التفكير في خيارات عملية بديلة. هل لديك، مثلاً، شهادة تأمين أو مدخرات تكفيك لاجتياز مرحلة دقيقة في حياتك؟ هل لديك مؤهلات ومواهب تؤمن لك دخلا في حال صرفك من الخدمة؟ إعلم أن كلمة "أزمة" في الصينية مركبة من حروف كلمتي "خطر" و"فرصة."

مهم أيضاً أن توسع شبكتك الداعمة. وفي ذلك تقول هيات: "اعتماد حياة متوازنة، محورها العائلة والاصدقاء والهوايات، هي خير وقاية من الفشل." ولا يجوز أن تتوقف حياة المرء العاطفية على مشروع تجاري وحيد أو وظيفة واحدة.

٤. تعلَّم أن تفشل بذكاء. حضّر جاك ماتسون الأستاذ في جامعة هيوستن بتكساس مقرراً تعليمياً سمّاه تلاميذه "الفشل ١٠١." وقد طلب منهم ماتسون مرة أن يصنعوا نماذج من عيدان الجيلاتي (الآيس – كريم) لمنتجات لا يقبل على شرائها أحد. ويذكر ماتسون أن طلابه "صمموا أحواض استحمام للهمستر (حيوان من القوارض شبيه بالجرذ) وطائرات ورق تطيِّر في الأعاصير."

أفكار سخيفة طبعاً. ولكن ما ان ساوى الطلاب بين الفشل والابتكار، بدل الهزيمة، حتى شعروا بتحرر واستعداد لأن يجربوا أي شيء. وبما أن معظم الطلاب فشلوا خمس مرات على الاقل قبل ان يقعوا على حقل عمل يلائم كفاياتهم، فقد تعلموا ألا يأخذوا الفشل على أنه الكلمة الفصل أو الحكم النهائي.

واكتشف الطلاب أيضاً طريقيْ الفشل. فتجربة الاشياء بالتعاقُب هي ما يسميه ماتسون "فشلا بطيئاً غبياً." وهذه عملية طويلة مضنية تدفع الإنسان الى اليأس والاستسلام. وهناك في المقال ما يسميه "فشلا ذكياً سريعاً" وهو ينطوي على اطلاق عدة أفكار دفعة واحدة والاستعداد أكثر للطلقة التالية. ويرى ماتسون أن "الفشل هو الطريقة الطبيعية للتعرّف الى المجهول، لذا كثِّفوا تجاربكم وانتهوا منها في أقصر وقت ممكن."

٥. لا تستسلم. في العام ١٩٧٥ منيت شركة انشاءات يملكها غلين إرلي بخسارة فادحة. وكان هو في الخامسة والعشرين من عمره، فرهن بيته واستدان مالا رافضاً أن يعلن افلاسه. وظل يعمل في حقل البناء، محاولا في الوقت ذاته اتقان فنون الادارة وتعقيداتها. وفي العام ١٩٨٢ استجمع جسارته واستدان

مجدداً وأعاد بناء شركته الخاصة بعدما كسب ثقة المصارف باستقامته ومعاملاته السليمة.

وسع إرلي أعماله في حقل البناء بحذر، وأخذ دروساً جامعية في ادارة الأعمال. وفي أوائل العام ١٩٨٨ احتلت شركته مكاناً في قائمة مجلة "إنك" للشركات الخمسمئة الخاصة الاسرع نمواً في أمريكا.

وليس إرلي راضياً بعد. وذكريات الايام الصعبة تسكنه على الدوام، وهو يقول: "أنا لا أركن الى الغطرسة والتبجح بل أسعى دائماً الى تحسين أعمالي."

هذا الموقف الذي لوَّنه الفشل ولطفه يرشح إرلي للتربع على قمة النجاح لسنوات طويلة آتية. وفي وسعك أنت أيضاً أن تحذو حذوه.

فيك سوسمن ■



استرخاء متوتر

نجحت أخيراً في اقناع صديقتي سوسن، المنهكة لكثرة أشغالها، بايجاد سبيل للراحة. فدعوتها الى العشاء. وانهمكت في تحضير الطعام بعدما أدرت لها شريط فيديو يعالج مشكلة الاجهاد وطرق الاسترخاء. وبعد ١٥ دقيقة دخلت علي في المطبخ وأعادت الي الشريط قائلة: "انه جيد، لكنني لست في حاجة اليه."

فقلت: "لكن الشريط يستغرق سبعين دقيقة. إنك لم تشاهديه بكامله.

فردت: "بل فعلت. لقد شغَّلت زر التقديم السريع."

ج.ك.

الجانب المشرق

كنا في طريق عودتنا الى المدينة بعد قضاء عطلة نهاية الاسبوع على الشاطىء، وصادفنا صباح غائم كئيب، فقلت لزوجي: "يا لهذا النهار العاطل. لن ننتفع منه في شيء."

فأجابني: "لكنه، على الاقل، يربط الامس بالغد."

ا.ج.

صيغة للنجاح

اعترضتني صعوبات وأنا أعمل على مشروع جديد، فاستشرت مديري. وبعدما تناقشنا في اقتراحاته سألته عن الصيغة التي يتبعها للنجاح، فأجابني مبتسماً: "الذي اعمله أعمله جيداً، وما لا أستطيع عمله جيداً لا أعمله أبداً!"

س.ب.

الرياضة تطيل العمر!

اللياقة البدنية هي أكثر من هوس أو هواية، انها نمط حياة يبطىء – وقد يوقف – تلف الشيخوخة. ويلتمسها ملايين الناس لادراكهم أن مصيرهم الصحي يتوقف عليهم لا على الاطباء.

ما هي اللياقة البدنية، وكيف يتسنى تحقيقها؟

انها، بتعبير بسيط، قدرة جسدك على العمل بأقصى طاقته طوال سني حياتك. فليس من الضروري التمرن لساعات في ناد رياضي أو الهرولة مسافات طويلة أو ركوب دراجة ثابتة لساعات متعاقبة. كل ما في الأمر هو أن تتنفس بعمق بين ٢٠ و٣٠ دقيقة يوميا فيما أنت تحرك اطرافك إيقاعياً في الهواء أو في الماء.

عُرفت فوائد الرياضة منذ قرون. ففي العام ٦٠٠ قبل الميلاد وصف أحد الاطباء الهنود الرياضة لمعالجة داء السكري. وحديثا، نُصح بالرياضة لمعالجة بعض الامراض أو لتفاديها كمرض القلب وارتفاع ضغط الدم والتهاب المفاصل وترقق العظام (نخرها) واضطرابات الدورة الدموية وسرطان الثدي و... البدانة، أكثر المشاكل شيوعاً. وقد كشفت الابحاث الطبية الحديثة كيف تنجم هذه الفوائد الصحية المتعددة عن معالجة فردية في غاية البساطة.

وهنا بعض هذه الاكتشافات:

■ التمرين يجعل القلب مضخة أكثر فاعلية، قادرة على تلبية متطلبات الحركة العنيفة بعدد أقل من النبضات، لانه يقدر على ضخ كمية اكبر من الدم في كل انقباضة.

■ التمرين يخفض مستوى التريغليسريد، وهو نوع من الكولسترول المتدني الكثافة، ويخفض أحيانا مستوى الكولسترول الاجمالي. ولكن أهم من ذلك أنه يحفز زيادة في الكولسترول العالي الكثافة الوقائي الذي يعمل كمنظف شرياني يساعد في ازالة الكولسترول المتلف للشرايين.

■ تشير الدراسات المتواصلة التي يجريها الدكتور رالف بافنبارغر (الابن) على ١٧ الفا من خريجي جامعة هارفرد في كامبردج بولاية مساتشوستس، الى أن مجرد استهلاك ٢٠٠٠ وحدة حرارية بالمشي والهرولة وطلوع السلالم والتمارين الرياضية القوية، يخفض خطر الإصابة بمرض القلب التاجي بمعدل الثلث ويزيد متوسط العمر المتوقع زيادة ملحوظة.

■ يزيد التمرين حساسية الجسم

الرياضة تخفض الوزن من دون حرمان
انها تمنحنا لياقة بدنية وتزيد الحياة متعة وحبوراً

للانسولين، وهو الهورمون الذي يزيل فائض السكر من الدم. وفي حالات ٧٥ في المئة من البالغين البدينين المصابين بالسكري في مرحلته الاولى، يساعد التمرين على خفض دهن الجسم الذي يعيق عمل الانسولين.

■ التمارين المعاكسة للجاذبية (كالمشي والركض، خلافا للسباحة) ترفع محتوى الكلسيوم في العظام مما يمنع نخرها والاصابة بكسور موهنة في أواخر العمر. وقد اكتشفت إفريت سميث مديرة مختبر علم الشيخوخة الحيوي في دائرة الطب الوقائي بجامعة وسكونسن، أن النساء بين السن التاسعة والستين والسن الخامسة والتسعين اللواتي مارسن تمارين لمدة ٣٠ دقيقة يومياً، ثلاثة أيام في الاسبوع وعلى مدى ثلاث سنوات، زاد محتوى المعادن في عظم الكعبرة في سواعدهن ٢،٣ في المئة، خلافا لمجموعة مقابلة من غير المتمرنات اللواتي ظهر لديهن نقص بنسبة ٣،٣ في المئة.

■ أظهرت دراسة متواصلة شملت ما يزيد على خمسة آلاف امرأة كنّ رياضيات في الجامعات، أن معدلات اصابتهن بسرطان الثدي والجهاز التناسلي هي أدنى مما لدى سواهن. وتعتقد مديرتا الدراسة روز فريش عالمة البيولوجيا التناسلية الحياتي وغريس وايشاك عالمة الاحصاءات الحيوية في كلية الصحة العامة بجامعة هارفرد، ان مستوى متدنيا من الاستروجين، كذلك الاستروجين الاقل فاعلية، لدى النساء الرياضيات هما العاملان المسؤولان عن المفعول الوقائي من السرطان في التمارين الرياضية.

■ يبطىء التمرين خسارة العضل الهبر وازدياد الدهن في الجسم ووهن الطاقة على العمل الجسدي، وهذه امور مرتبطة بالتقدم في العمر. والتمرين ينشّط الجهاز العصبي أيضاً. وقد بينت سلسلة دراسات أجريت في جامعة تكساس أن الرجال في الستين، الذين مارسوا الهرولة أو كرة المضرب ٢٠ سنة أو أكثر، يتمتعون بفترات ارتكاس* مساوية لفترات ارتكاس شبان خاملين في العشرينات من عمرهم، إن لم تكن أطول.

ويرى خبراء ضبط الوزن ان التمرين هو العنصر الحيوي الأهم في خفض الوزن والمحافظة على النحافة. انه يرفع سرعة الأيض، أي عدد الوحدات

(*) Reaction time . والارتكاس هو رد الفعل.

الحرارية التي يستهلكها الجسم، خلال التمرين ولساعات بعده. وهو، الى ذلك، يزيد الكتلة البدنية الخالية من الدهن فيما يحرق دهن الجسم وقوداً.

بالتمرين يمكن خفض الوزن من دون تغيير النظام الغذائي.

في جامعة ستانفورد بكاليفورنيا بدأ ٣٢ رجلا من البدناء الذين يصرفون معظم أوقاتهم جلوساً، برنامج ركض لم يشمل اتباع حمية. وبمقدار ما طالت المسافة التي قطعوها زادت كمية استهلاكهم من الطعام، كذلك زاد الوزن الذي فقدوه!

ان انواع التمارين وكمياتها المطلوبة لجني ثمار مماثلة هي في متناول غالبية الناس: المشي السريع، الهرولة، "الركض" وقوفاً، ركوب الدراجة الهوائية، كرة المضرب، القفز على الحبل، الرقص الحيهوائي (آروبيك)، التزلج، تسلق الجبال، كرة القدم، السباحة، صعود السلالم.

يقول الدكتور ستيفن هافاس أستاذ علم الأوبئة والطب الوقائي في كلية الطب بجامعة ماريلاند، أن تقوية القلب والرئتين تقتضي القيام بتمارين سريعة كفاية لرفع معدل نبض القلب والتنفس الى مستوى يحدد وفق العمر. (اعتمد الرقم ٢٢٠ واطرح منه عدد سني عمرك، ثم خذ ٦٠ في المئة من الحاصل كمعدل لنبض القلب الذي يجدر أن تسعى اليه في أثناء التمرين. وكلما تحسنت لياقتك ارفع هذه النسبة تدريجا الى ٧٥ في المئة من المعدل المنشود.)

وتجدر ممارسة التمرين مدة تراوح بين ١٥ و٣٠ دقيقة على الاقل من دون توقف، وتكراره ثلاث مرات او اربع في الاسبوع على الاقل.

وعلى الاشخاص الذين تجاوزوا الخامسة والثلاثين، المصابين بعلة مزمنة أو الذين شهد سجلّهم العائلي اصابات بأمراض القلب، ان يجروا فحصاً جسدياً، وفحصاً للاجهاد اذا أوصي به، قبل الشروع في برنامج تمارين قوية.

والذين يمارسون التمارين اليومية يحصلون على فائدة أكبر اذا ناوبوا بين نوعين أو أكثر من التمارين التي تحرّك مجموعات متباينة من العضلات، كالركض والسباحة وركوب الدراجة وكرة المضرب. ذلك بأن هذا التباين يحول دون اختلال التوازن الوظيفي بين أعضاء الجسم مما يؤدي الى أضرار في الاجزاء المجهدة أو الضعيفة نسبياً.

ويحذر طبيب القلب هنري ماكنتوش من أي "اجهاد قد يسبب ألماً وصعوبة في التنفس وعياء دائماً." وقاعدته الحسية: "يجب أن تشعر، بعد خمس دقائق من انتهاء التمرين، بأنك أفضل مما كنت قبله."

ومن المفارقات أن خسارة لياقتك أسهل من اكتسابها. فقوة الاحتمال يجب أن تبنى تدريجاً على مدى أشهر من خلال نشاط متزايد. ولكن ما ان يمر أسبوع من دون تمرين حتى يهبط التكيف البدني وتتعيَّن اعادة بنائها تدريجاً. ويوضح ماكنتوش أن الفرد الأشد تعرضاً للاصابة بأذى جسدي هو "رياضي عطلة

نهاية الاسبوع" سواء كان يمارس الهرولة أو كرة المضرب أو السباحة أو الغولف أو جز عشب المرجة أمام بيته.
ان الحفاظ على المرونة (أو استعادتها) مفتاح آخر لسلامة التمرين. فالأنسجة المشدودة معرضة كثيراً للتمزق متى أرغمت فجأة على التمدد بقوة. لذا، ابدأ ببضع دقائق من المشي السريع او الهرولة البطيئة في مكانك. وكرّس خمس دقائق على الأقل للتمطي، خصوصاً بعد انتهائك من التمارين، لكي تحتفظ بدرجة مقبولة من الليونة.

وختاماً: التمرين مهدىء طبيعي وعامل مضاد للكآبة والانحطاط. وفي مسح أجري عام ١٩٨٥ وشمل ١٠٣٣ رجلا وامرأة، أفاد اولئك الذين يواظبون على التمرين أنهم أكثر ثقة بأنفسهم وأكثر ابداعاً من نظرائهم الكثيري الجلوس، الخاملين.

جين إ. برودي ■



رب نافعة ضارَّة

توجهت الى موقف السيارات بعد انتهاء الصفوف. فلمحت زميلة لي في الجامعة واقفة قرب سيارتها تنظر الى رجل يتفحص محركها. ورغبة مني في المساعدة مشيت نحوها وقلت مازحاً: "يبدو أن هذه العجوز تعطلت مجدداً! لا عليك، سوف نتمكن من ادارة محرّكها."

فالتفتت الي زميلتي مذهولة. فحرت في أمري وسألت الرجل هل تمكن من اكتشاف العطل. فقوَّم ظهره ببطء وقال: "الحقيقة انني كنت افكر في شرائها!"

د.م.

ابنتي والسمكري

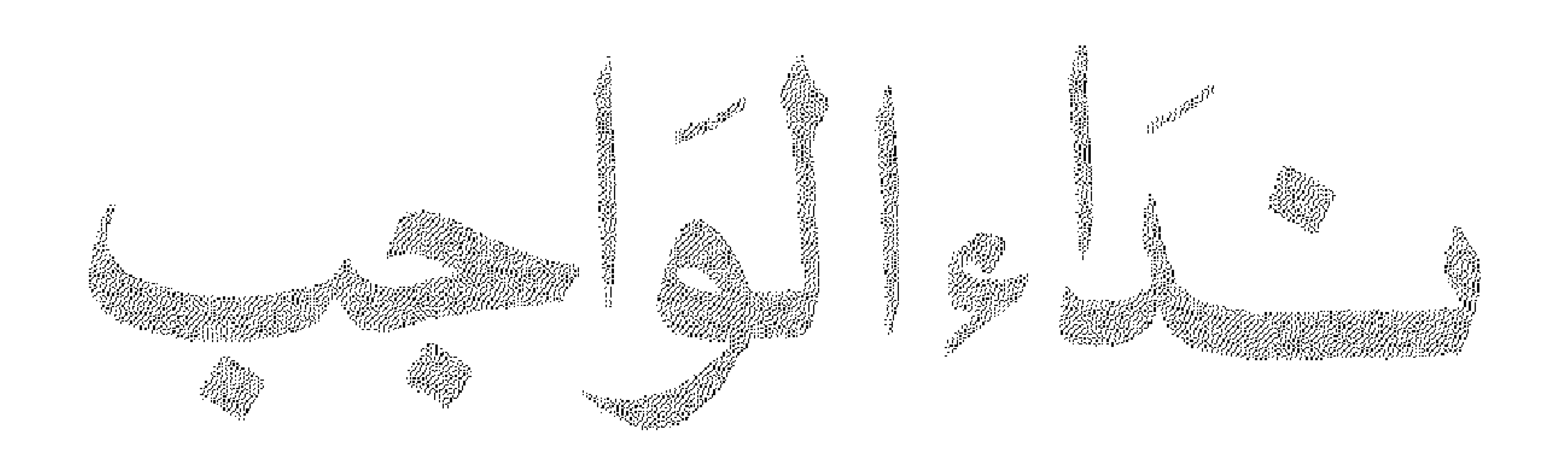
ابنتي موظفة لدى شركة للأعمال السمكرية. مرة احتاجت الى خدمات سمكري، فطلبت أن ترسل الشركة سمكرياً الى منزلها. لكن طلبها لم يعر اهتماماً.

ولدى مغادرتها عملها ذات مساء وقد يئست من الاستجابة لطلبها، تركت لرئيسها الرسالة الموجزة الآتية: "سوف آتي الى العمل صباحاً فور وصول سمكري الى منزلي." وقبل السابعة صباح اليوم التالي كان سمكري يطرق باب منزلها.

ش.م.

"هل قرات ذلك الكتاب عن جنون الارتياب؟"
- لا، لماذا تسألني؟

ا.م.



فتى الدراجات

اشترى جوستن ليبو قبل ثلاث سنوات دراجة هوائية قديمة. فأبدل قطعها التالفة وجدد طلاءها فبانت جديدة. رأى جوستن في ذلك تسلية، وكان عمره آنذاك عشرة أعوام. فاشترى دراجات قديمة تالفة أخرى وحوَّلها شبه جديدة.

ثم واجهته مشكلة: ماذا يصنع بكل هذه الدراجات؟

بموافقة والديه، وهب مركز تأهيل مدمني المخدرات والكحول في بلدته باترسون بولاية نيوجرزي دراجتين. وكان في المركز ٢٠ ولداً راوحت أعمارهم بين ثمانية اعوام و١٤ عاماً. وهم فرحوا كثيراً بالدراجتين، حتى ان جوستن قرر أن يهدي دراجة الى كل ولد في عيد الميلاد.

ادخر جوستن مصروف جيبه والنقود التي أُعطيها في عيد مولده. وكان يدور مع والديه يفتش عن دراجات قديمة في محلات الادوات المستعملة. وهم طلبوا من الاصدقاء والجيران الاتصال بهم متى علموا بوجود واحدة. وكلما التقى جوستن أحداً يركب دراجة جديدة سأله: "ماذا فعلت بدراجتك القديمة؟"

وراح يعمل ليلا وفي عطل نهاية الاسبوع لكي يفي بالعهد الذي قطعه على نفسه. ونشر إعلاناً في أحدى الصحف، فكانت الاستجابة حسنة وأرسلت اليه بضع دراجات. وتبرع له رجل من كاليفورنيا بمئة دولار. وأرسل اليه رجل من كونيتيكت ملزمة لشد الدراجات. ومنحه تاجر محلي للقطع حسماً خاصاً.

وحقق جوستن هدفه، وبقيت لديه دراجتان فائضتان.



واصل جوستن مشروعه فوهب مأوى آخر للاولاد وعائلات معوزة أكثر من ٥٠ دراجة (حتى ربيع ١٩٩٠). وهو يعي أهمية حيازة الولد دراجة فيقول: "أنا لا أمشي الى أي مكان." وهو سيستمر في تجديد الدراجات ومنحها "لمجرد رؤية الاولاد سعداء."

كيرستن كونوفر ■

صحيفة "كريستشان ساينس مونيتور"

منقذة في الكوارث

كارولين هبارد جاهزة دائما. فهي تحمل جهاز اتصال لاسلكيا[1] ولديها حقيبة ظهر وكيس معدات للتخييم. وفي لحظة ترتدي بذلتها الفوقية البرتقالية وتلبس كلبها[2] سترة برتقالية وتودع زوجها وأولادها في برناردسفيل بولاية نيوجرزي وتتوجه الى أي مكان في العالم حيث يدعوها الواجب.

في مارس (آذار) ١٩٨٥، في وقت متقدم من الليل وقد هبطت الحرارة الى ١٢ درجة مئوية تحت الصفر، اشتركت هبارد وكلبها في البحث عن سبعة أولاد مفقودين في درب وعرة في جبال الابالاش ببنسلفانيا. شاهدت هبارد آثار أقدام في بقعة موحلة متجمدة. فأرشدت كلبها لكي يشم الأرض مقتفيا الأثر، بدل أن يشم الهواء. وبعد اجتيازه كيلومترات وصل فريق الانقاذ الى تقاطع للدرب مع طريق فقال أحد حراس الغابات: "ما علينا الآن الا أن نعرف ما اذا كانوا اتجهوا شمالا أم جنوبا على الطريق."

"لا هذا ولا ذاك،" قالت هبارد وهي تراقب كلبها، "إنهم أكملوا سيرهم في الدرب." وبعد ثلاثة كيلومترات عُثر على الاولاد متكومين يرتجفون بردا وخوفا.

كارولين هبارد وعشرة أعضاء آخرون في "فريق تلبية نداءات النكبات" في الولايات المتحدة، يستخدمون كلابهم المدربة للعثور على أحياء تحت الانقاض بعد حدوث زلازل. في أرمينيا عام ١٩٨٨ وجد فريق هبارد فتاة في الحادية عشرة من عمرها وقد مضت عليها خمسة أيام مدفونة بين الجثث ومصابة بجروح طفيفة.

والعمل طوعي اجمالا. وكل عضو في الفريق يؤمن عدته الخاصة، بما فيها جهاز لاسلكي وجهاز اتصال وكيس نوم وموقد نقال وجزمة.

فلماذا تعمل هبارد في ميدان البحث والانقاذ؟

تعترف بأنه "عمل يفطر القلب، لكنه حافل بالإثارة والمتعة والانغماس. وتسود أعضاء الفريق روح رفقة سامية."

لهذه الغاية النبيلة تبقى هبارد وكلبها على استعداد دائم، مهما تكن الكارثة.

جو كودير ■

صحيفة "ومنز داي"

ما زال بطلا!

بعدما نال الملاكم شوغر راي سيلز الميدالية الذهبية للوزن الخفيف في الالعاب الاولمبية عام ١٩٧٢، لم يسعده الحظ في شيء، ونسي مجده.

---

(١) Beeper

(٢) هو من نوع "الراعي الالماني."

وفي العام ١٩٧٧ ربح الملاكم شوغر راي ليونارد ٤٠ الف دولار في مباراته الاولى بعدما أصبح محترفا. ولم يكن سيلز حصل على مبلغ كهذا في أي من مبارزاته الثمانين خلال ١١ سنة منذ احترافه الملاكمة. وكان ربح ٩٥٠٠ دولار في مبارزته الاخيرة، لكن الشيك الذي قبضه كان من دون رصيد. وكان سيلز أصيب بالعمى.

أجريت لسيلز سبع جراحات ردت اليه بعض بصر عينه اليمنى. لكن العين اليسرى ظلت مطفأة. فبات عاجزاً عن كسب قوته بالملاكمة.

يقول سيلز كأنه لا يزال مندهشاً للفكرة: "لذا حصلت على وظيفة." كان في منتصف الثلاثينات، لا مهارات لديه ولا خبرة في العمل، يعيش في عالم ضبابي شبه أعمى. وذات يوم أخبرته عمته أن ثمة وظيفة في مدرسة لنكولن الثانوية في تاكوما بولاية واشنطن. ولم تكن لديه اي فكرة عن نوع الوظيفة حين جاء في يومه الاول للعمل.

كانت مهمته مساعدة الاولاد المتوحِّدين (الذين يسترسلون في أحلام اليقظة والتخيلات والوهم والهلوسة).

يقول: "ما أعمله فعلا هو تعليمهم الاستقلال." في أربعة أيام من كل أسبوع يراقب الاولاد في مشغلهم حيث يقومون بأعمال يدوية بسيطة مثل تنضيد رؤوس اللعب في صناديق. وفي يوم خامس يأخذهم الى احدى الشقق السكنية حيث يتدربون على فنون تدبير المنزل. فالنجاح في هذه الاعمال يخلِّص المحظوظين من دخول المصحّات.

يمارس سيلز هذا العمل منذ ثلاث سنوات. وراتبه ضئيل نسبياً لرجل حقق شهرة في عالم الملاكمة. وهو على يقين من قدرته على تدبر عمل آخر، لكنه يقول: "لا أريد أن أتخلّى عن الاولاد."

روى لي سيلز قصة دوغ وهو شاب في الثالثة والعشرين: "كان علي أن أراقبه جيداً وأحضّه على العمل. وكنت أمازحه أحيانا وأستفزّه: هيا، هيا، أتريد أن تلاكمني؟ وقد ذهبت مرة لمعاينة إحدى ورش العمل حيث كان دوغ. فوجدته يجمع صناديق الكرتون وحده من دون رقيب. كان يحملها الى موقع التجميع ويرميها هناك ويعود لينقل المزيد. لقد عملت معه مدة سنة، وها هو الآن يعمل من تلقائه."

وتابع سيلز: "قد أكون نافعاً في شيء!"

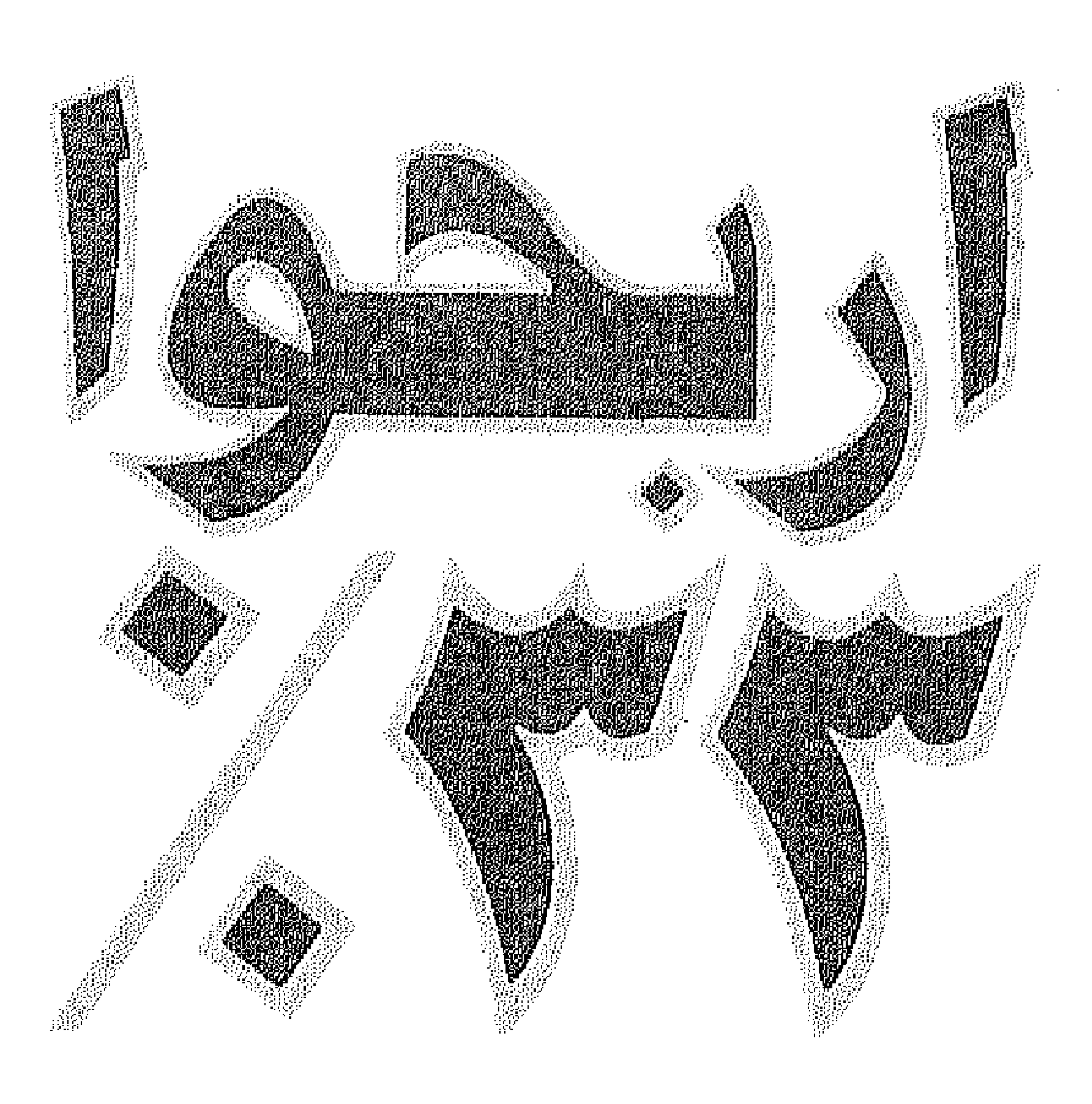
في تلك اللحظة رفع دوغ رأسه فرأى سيلز وناداه: "هيا، أتريد أن تلاكمني؟"

فدمعت عينا البطل الاولمبي. لقد كان دوغ ينضِّد الصناديق.

ريتشارد هوفر ■

صحيفة "سبورتس إلوستريتد"

المتفائل يعتبر الخطأ مصدراً للابداع. والمتشائم يرى في الخطأ نوعاً من التدمير. ان عالماً في طور النمو يتعلم من اخطائه ويفيد. أما العالم الراكد فكل خطأ فيه مميت.
غ.ب.



يسر "المختار" ان تعرض على المشتركين الجدد فيها بين ١٩٨٩/٨/١ و١٩٩٠/٩/٣٠ اربعة اعداد اضافية مجاناً مع كل ١٢ عدداً. فالمشترك لمدة سنة (١٢ شهراً) يتلقى ١٦ عدداً خلال ١٦ شهراً اي انه يربح ٣٣٪ فكونوا من الرابحين.

اذا اردتم ان تصلكم "المختار" الى عنوانكم، بادروا الى ملء هذه القسيمة وارسلوها مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك باسم "المختار من ريدرز دايجست" بقيمة ٢٥ دولاراً امريكياً، وارسلوا القسيمة والشيك بالبريد المضمون (المسجل) الى احد العنوانين المذكورين خلف هذه القسيمة.

الاسم ____________________

____

العنوان ____________________

____

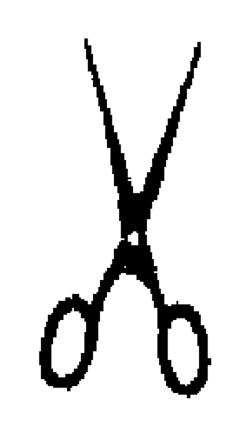
التاريخ ____________________

التوقيع ____________________

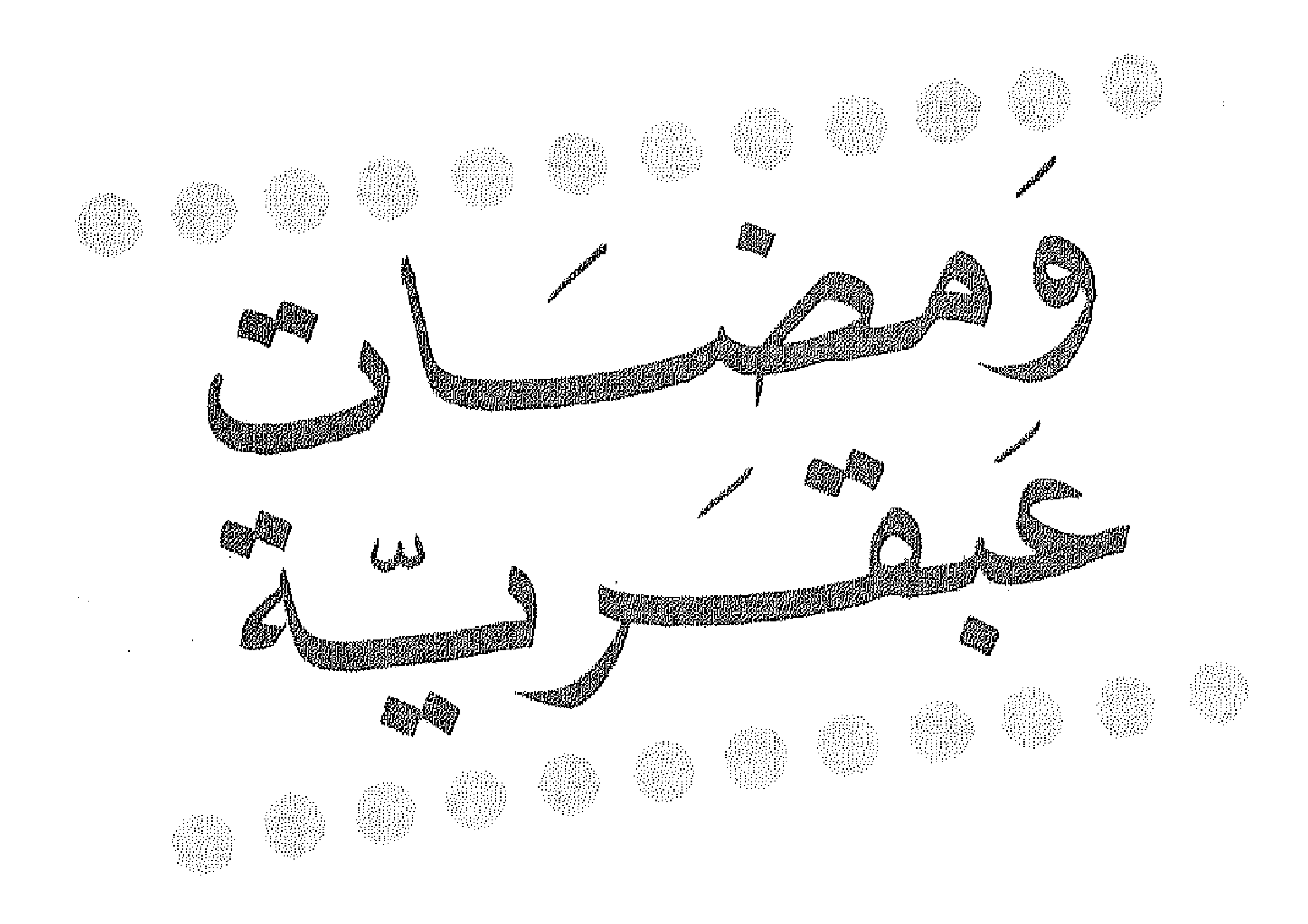
الرجاء ارسال القسيمة والشيك بالبريد المسجل (المضمون)
الى احد العنوانين الآتيين:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON
(TELEX 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR
C/O Mrs. Annick Meadows
P.O.BOX 4271, NICOSIA 163, CYPRUS.



الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة: "اشتراك في مجلة المختار".



التفكير الخلاق ليس موهبة غامضة لقلة من المتفوقين

هناك الألوف من قِصار القامة الذين لا تطأ أقدامهم الأرض حين يجلسون. وهم يحملون مِسنداً للقدمين في تنقلاتهم، ويجدون في ذلك امراً بالغ الازعاج. لذلك فكر جاكوب رابينو في ابتكار حل لصديق له قصير القامة، وتوصل الى إلصاق لوحي ألومنيوم في كتاب مفرَّغ يتحول حين يُبسط مسنداً للقدمين خفيف الوزن وقابلا للحمل والطيّ.

ذات يوم زارت امرأة من لونغ آيلند مدينة نيويورك لطلب تأشيرة دخول من احدى القنصليات. وضاع نهارها في رحلة طويلة وثلاث ساعات من الانتظار في الرتل داخل القنصلية. وقد وقف أمامها في الرتل رجل يحمل كدسة طلبات ويعمل في "لنداهانو"، وهي شركة توفر الخدمات لمن تقعدهم أعمالهم عن إنجاز مثل هذه المعاملات الشاقة. وهذه الشركة من بنات أفكار اثنين من سكان نيويورك هما أوسكار ألن ودونالد إجينا. وهي تستخدم اليوم ١٥٠ موظفاً يقفون في طوابير الانتظار عارضين خدماتهم في مكاتب السفر والمصارف والمخازن والمتاجر الكبرى وغيرها من الأماكن التي تستنفد الصبر.

لماذا لم تخطر لك أنت أفكار كهذه؟

إن استنباط مثل هذه الأفكار ممكن إن اتّبعت ما راعاه المخترعون الناجحون ومبتكرو الأفكار الجديدة من مبادىء أساسية تشحذ، إن اجتمعت، الفكر

الخلاق الذي لا يقتصر على قلة من المتفوقين، كما يغلب على الظن. والمدهش أن ملكة الخلق هذه كامنة في ذات كل منا من دون استثناء.

يقول سام غلوكسبرغ الاستاذ في جامعة برنستون: "ان السلوك الابداعيّ متأصل في الطبيعة البشرية. وقد دلت أبحاثنا على أن الانسان قابل للتدريب على زيادة إبداعه."

لننظر، اذاً، الى بعض الادوات التي تبدو اليوم مألوفة بعدما باتت في متناولنا. فكيف يمكنك أنت أن تفكر إبداعيا وتبتكر عجائب صغيرة من صنعك؟

١. سُدَّ حاجة. يتبع الناجحون مبدأ مهما هو: "أعطهم ما ليس عندهم." مثال على ذلك هيمان ليمان من فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا، الذي لاحظ ان قِطع المطاط الهندي الصغيرة التي كان الناس يستعملونها في محو الكتابة تضيع على الدوام، فعمد ببساطة الى لصق هذه القطع على أطراف أقلام الرصاص. وها قد أصبحت الفكرة التي التمعت في ذهنه أداة عملية تصحح زلات أقلامنا كل يوم.

ومرة نظر كونراد هيوبرت بإعجاب الى أصيص زهر متوهج بالنور صنعه صديق له معتمداً وضع بطارية وزر كهربائي بحيث يسلط الضوء على الزهر متى أدار مفتاحاً. وقد عمد هيوبرت الى تطوير الأصيص الى أداة أكثر نفعا، إذ وضع بطاريات وزراً كهربائياً في أنبوب مبتكراً أول مشعل كهربائي عرفه العالم.

٢. استغِلَّ إحباطاً. يعاني الانسان في حياته اليومية أموراً كثيرة تزعجه وتثبط عزيمته وتغضبه. كنغ جيليت، مثلا، سئم شحذ موسى الحلاقة، فابتكر الشفرة المأمونة التي تطرح بعد الاستعمال.

وقاسى شستر غرينوود من تعرض أذنيه لقضم الصقيع حيث تتدنى درجة الحرارة تحت الصفر، فملأ كوبين بوبر الفرو ثم وصلهما بشريط وقوَّس البدعة الغريبة حول رأسه، مبتكراً أول واقية لتدفئة الاذنين. وما لبثت الطلبات أن انهالت عليه من كل حدب وصوب.

وكان عمال احدى المطابع يعودون الى منازلهم كل ليلة وهم يعانون آلاما في الظهر والكتفين وتصلباً في العنق. إزاء ذلك عمد زميل لهم هو همفري أوسوليفان الى تخفيف الارهاق عن نفسه بالوقوف على حصير من المطاط. وما لبث أن ثبَّت في كل من كعبي حذائه "وسادة" مطاطية.

واليوم تباع "كعوب أوسوليفان" المطاطية في أنحاء العالم.

٣. أفد من مهارتك. يتوجب على المخترع الناجح الافادة من مهاراته الشخصية.

لاحظت كايدا شاتن في تورونتو (كندا) أن سقوف المصانع والمباني التجارية مغطاة بطبقة من السخام والشحم تكثر فيها الجراثيم ويصعب تنظيفها. وقد لجأت شاتن، وهي كيميائية هاوية، الى

مهارتها الشخصية وابتكرت محلول تنظيف يُطلق مضغوطا على السقوف بشكل رذاذ قوي.

وبهذه العملية تنجرف الأوساخ الى الأرض وتُزال بالمكانس الكهربائية. ومنذ العام ١٩٨٤ وشركتها "سيلنغ دكتر انترناشونال" تبيع حقوقاً تجارية لتوزيع هذه المادة حول العالم.

كذلك أفاد جيرالد كينات من مهارته في تطوير اختراعات ابتكرها آخرون. فعندما تناهت اليه طريقة جديدة لسد الثقوب والشقوق في الزجاج، قرر الافادة من ذلك وأسس عملا خاصاً به بعدما سأل نفسه: الن يسارع أصحاب السيارات الى ترميم زجاج سياراتهم متى عرفوا ان الكلفة تدنت الى النصف؟ وهكذا نجحت الفكرة وباتت شركته "نوفاس إنك" في مينيابوليس (مينيسوتا) تدر أرباحا سنوية تزيد على ٣٥ مليون دولار.

٤ أخيراً، فكر في أمور صغيرة. لا حاجة الى أفكار كبيرة كي تكون خلاقا. فالصحن الطائر "فريزبي" المصنوع من البلاستيك والذي يتقاذفه اللاعبون لم يغيِّر العالم، لكنه أتاح للناس كثيراً من المرح كما حقق أرباحا طائلة. ولم يغير العالم اختراع الضمادات اللاصقة ودبابيس الأمان (الافرنجية) وأكواب الكرتون وعلب المرطبات التي تفتح باليد، وهي أفكار "صغيرة." لكنها تشير الى مدى ما يجترحه الخيال الجامح وحب الاستطلاع والفطرة السليمة والعمل الجاد. وكلها عوامل تآلفت لسد حاجة او حل مشكلة، فجعلت الحياة أيسر عيشاً.

لستر ديفيد ■



الحنين والواقع

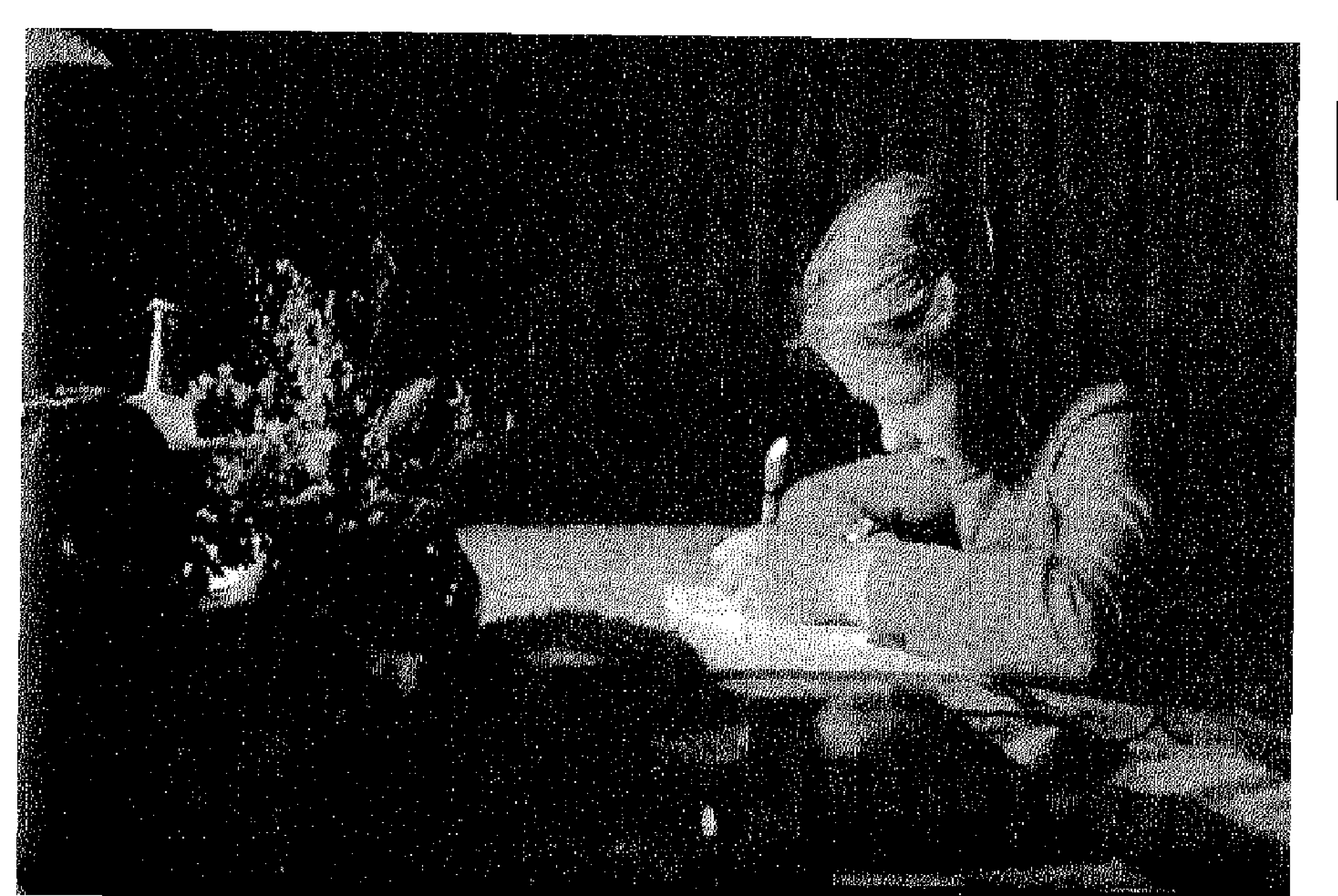
تباكينا على "الجنّات" الضائعة قد ينطلق من حالنا الفكرية اكثر مما ينطلق من واقع المكان الذي نندب زواله. فنحن عندما نتذكر مكانا رايناه ننزع الى رؤياه في وهج الحنين بعدما تكون الذاكرة - خبيرة التجميل في فكرنا - شذبت جوانبه الوعرة وصقلت عيوبه ونقلته برمته الى بعد تجريدي رائع. وتماما كما نتذكر رجلا فاضلا بعد موته على انه بارّ، هكذا نتذكر المكان الجميل بعد هجره وكانه المكان المثالي.

لا شيء يبقى كما كان.

ب.ا.

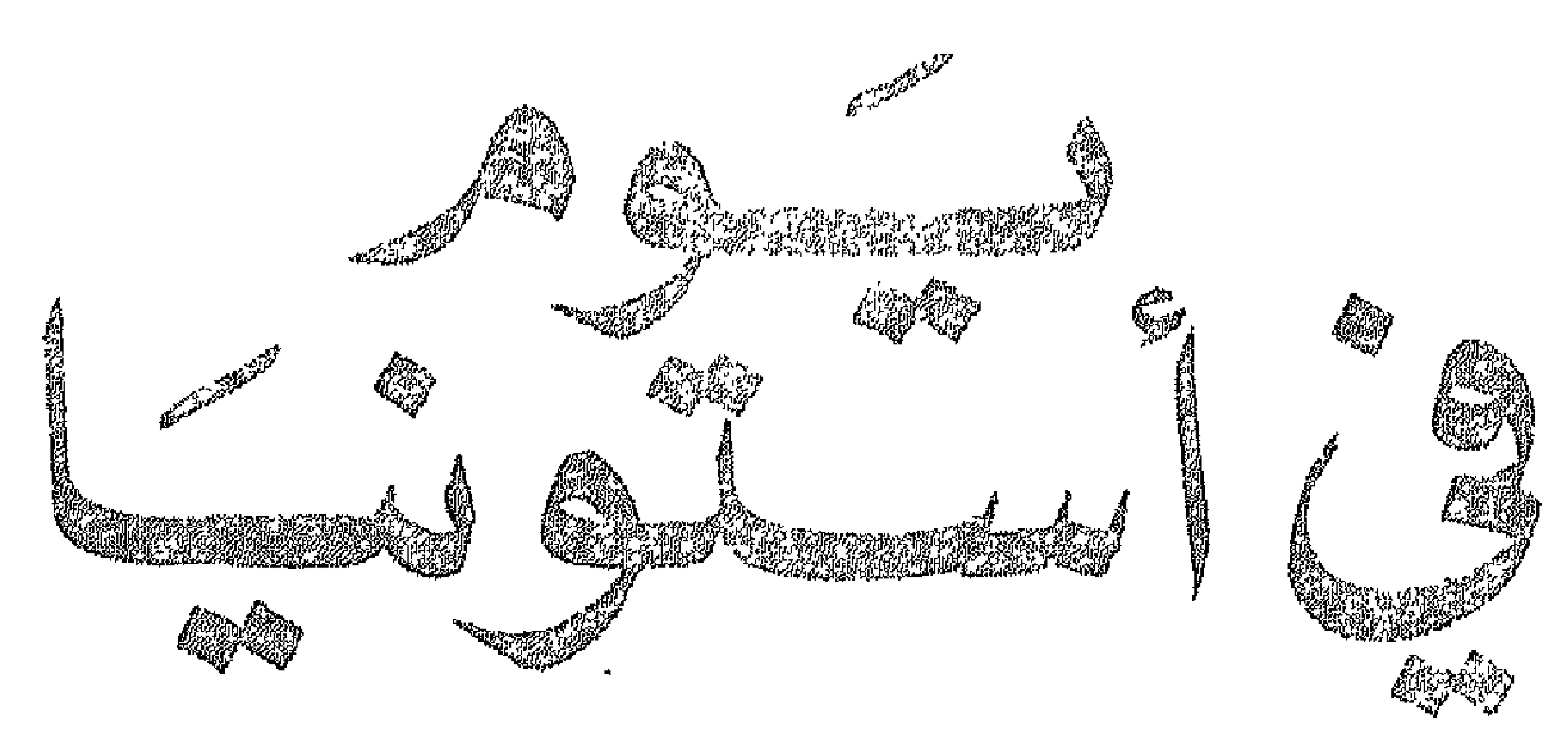
"هل قرات ذلك الكتاب عن التواضع؟ أنصحك أن تفعل فانا مؤلِّفه."

مواطن مسن في شارع هادىء في فيلياندي. لقد شهد الترجحات الكثيرة العنيفة في تاريخ استونيا الحديث: الاستقلال بين ١٩٢٠ و١٩٣٩، الاحتلال والنفي الجماعي الى سيبيريا في عهد ستالين، واخيرا نسمات الحرّية في يقظة وطنية جديدة.



KALJU SUUR

تلميذة تحضّر فروضها المنزلية في جزيرة كينو الصغيرة (٥٠٠ نسمة) في اقليم بارنو غرب إستونيا. كتاب التاريخ الذي تدرس فيه يختلف عن الكتاب الذي درس فيه والداها.



نهار ٢٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٩ انطلق ثمانية واربعون مصورا فوتوغرافيا في رحلة حول إستونيا بغية تسجيل بعض مظاهر الحياة في بلد يعمّه الاضطراب. وهم توافدوا من فرنسا وألمانيا الغربية وأسوج (السويد) والاتحاد السوفييتي وفنلندا. وفي يوم واحد التقطوا ما يزيد على ١٧ ألف صورة وثائقية لواقع تلك الأمة المتغيرة. واختير بعض تلك الصور لمعرض استمر شهراً كاملا في مؤسسة "تيتوس" في هارجوكاتو بالعاصمة الاستونية تالين بين فبراير (شباط) ومارس (آذار). وهنا مختارات من المعرض تمثل استونيا اليوم، ذلك البلد الذي يحمل أهله في قلوبهم أملا بغد افضل.

ريمو مويسا ■

عاملات مرحات في مصنع لعيدان الثقاب في إستونيا أُنشىء في اواخر القرن التاسع عشر في ضاحية فيليياندي.



JEAN-EUDES SCHURR

ALEKSANDER TSHIRTSEV


عريف في الشرطة الروسية يتسلق برج "هرمان الطويل" في تالين ليرفع العلم الاستوني الذي حلّ مكان العلم الاحمر في فبراير (شباط) ١٩٨٩.

كانما الزمن توقف في بلدة فيلياندي الصغيرة وسط استونيا التي يعود تاريخها الى القرون الوسطى.



DANIEL STAQUET

صغيرتان اخذتهما الموسيقى في دار للحضانة في موراستي التي تبعد ٢٠ كيلومترا غربا من تالين.

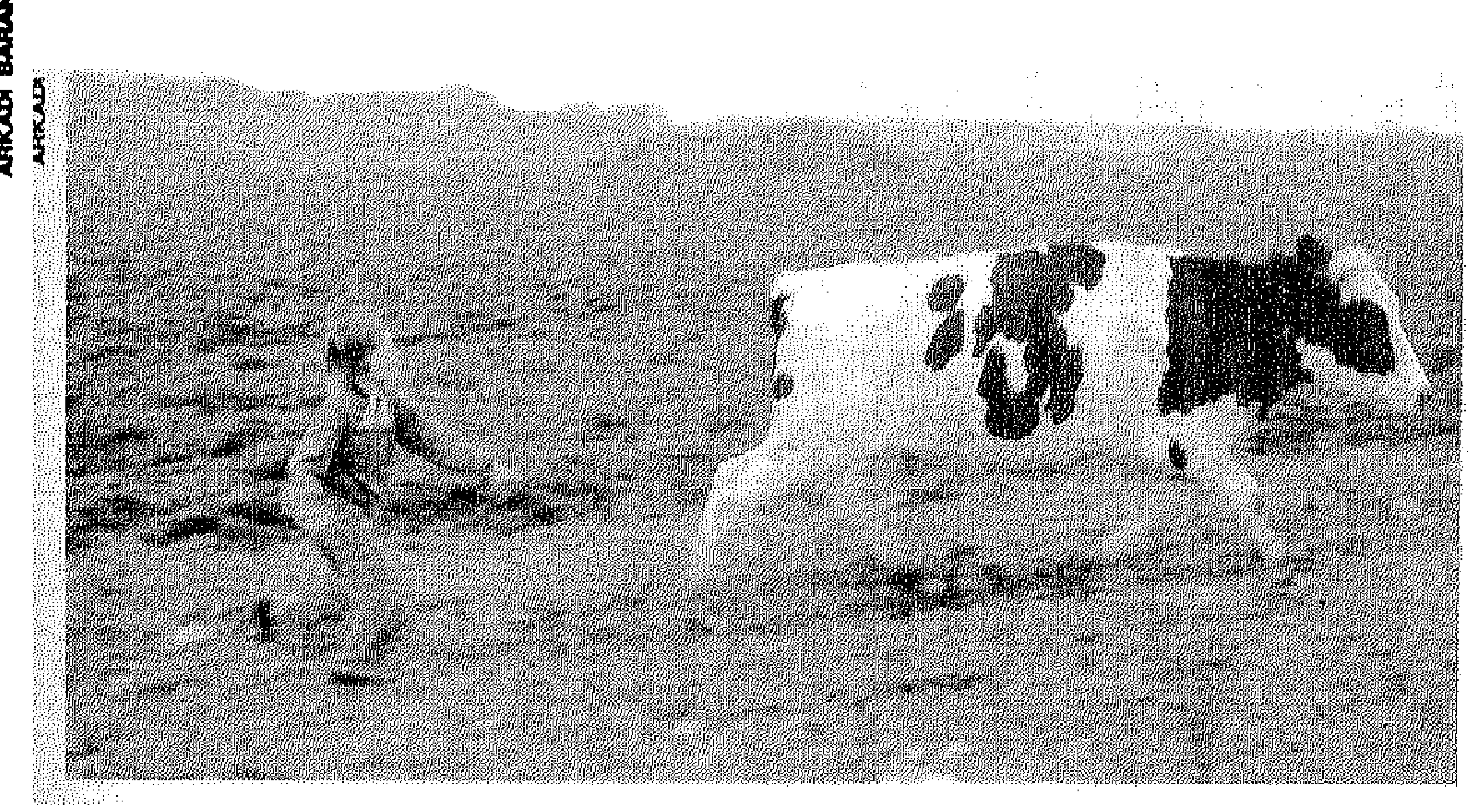


KABHAN UTARBEKOV

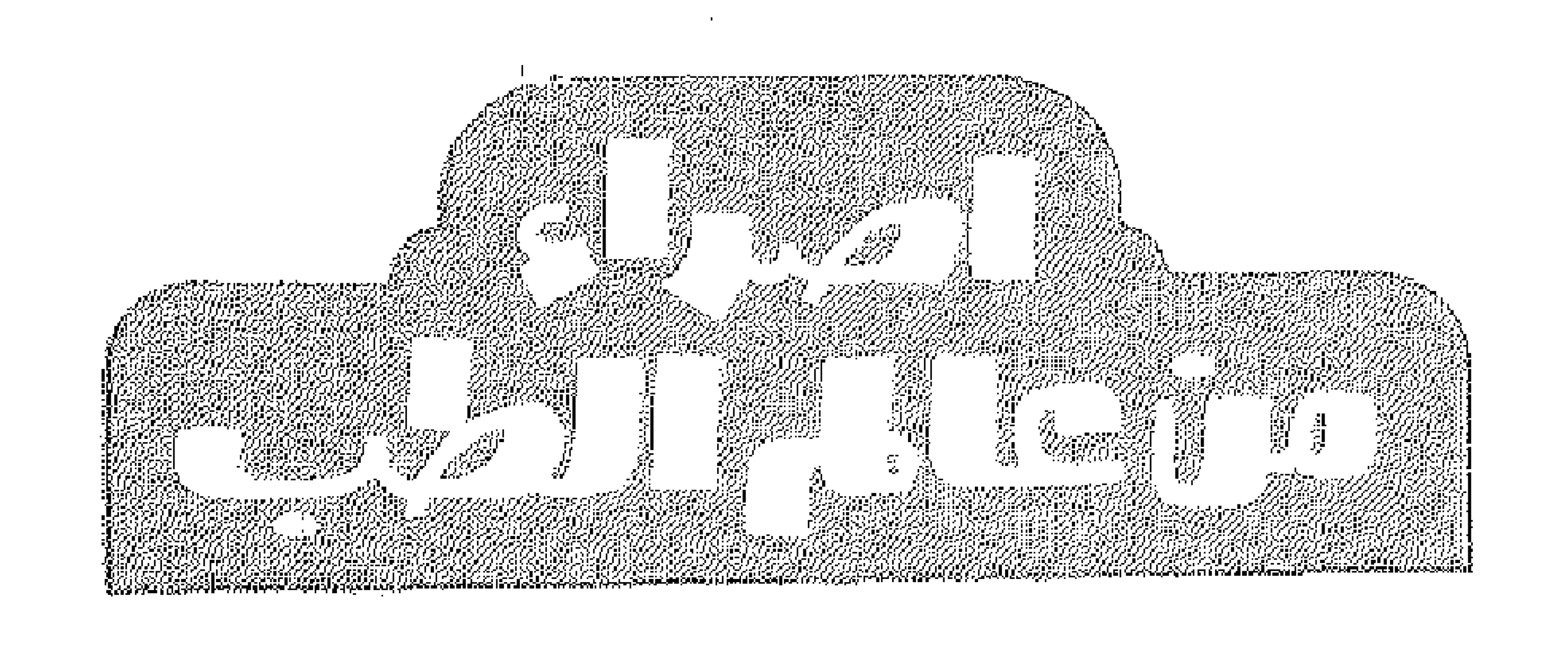


بستان مغمور بالوان الخريف في اقليم هابسالو في غرب إستونيا. الملكية خاصة، ومحصول التفاح ممتاز.

ARKADI BARANOV



ابنة مزارع من اقليم رابلا. الارض ملك الدولة، ولكن قد يتسنى لهذه الفتاة، عندما تكبر، ان ترعى المواشي في ارض تملكها.



علاج للنخاح الشوكي

■ افاد علماء أن العلاج بالعقاقير - مباشرة بعد الاصابة - يمكن أن يخفف الشلل أو اي عجز آخر لدى الاشخاص الذين منوا باصابات خطيرة في النخاع الشوكي.

ففي اختبار شمل ٤٨٧ مريضاً في عشرة مراكز طبية، وجد الباحثون أن جرعات كبيرة من الهورمـون الستيرويـدي "ميثيلبردنيسولون"* تخفف الشلل الى حد ملحوظ اذا أعطيت خلال الساعات الثماني التي تلي الاصابة.

ويُعتقد أن العقار قادر على الحد من التلف الاضافي الذي يمكن أن يصيب النخاع الشوكي، كما يبدو انه يمنع تلف الخلايا.

ويظهر أن هذا العقار غير مفيد اذا استعمل بعد مرور ثماني ساعات على الاصابة. وقد أتت النتائج ايجابية الى حدّ أن الباحثين أعلنوها، على غير عادة، قبل نشرها في مجلة طبية، لكي يشرع أطباء الطوارىء في استخدام العلاج بأسرع ما يمكن.

ويقول المشرف على الدراسة مايكل ب. براكن من كلية الطب في جامعة ييل إن هذا العلاج ليس شافياً لاصابات النخاع الشوكي، لكنّه يمنح املا بتخفيف آثار الاصابة على المدى الطويل. وقد يعني ذلك، مثلاً، أن يتمكن المصاب من المشي بمساعدة سناد داعم أو عكازين بدل أن يمضي حياته في كرسي للمقعدين، أو أن يستعيد بعض وظائف يديه بدل أن يكون مشلولاً كلياً.

"نيويورك تايمز"

(*) Methylprednisolone


المراهقون وأمراض القلب

■ يبدو أن المراهقين المدخنين، أو الذين ياكلون وجبات غنية بالدهون المشبعة والكولسترول، يواجهون خطر الاصابة بتصلب الشرايين الذي يواجهه البالغون المتصفون بهاتين العادتين.

وتظهر ابحاث جديدة علاقة قوية بين المستويات المرتفعة من الكولسترول في دم المراهقين والمراحل الاولى من تصلب الشـرايين، أي الانسـداد التدريجي للشرايين الذي يشكل السبب الرئيسي للنوبات القلبية والسكتات الدماغية (الفالج).

وتعمل ١٤ مؤسسة في أنحاء الولايات المتحدة على جمع معطيات علمية من تحاليل الدم والشرايين وسوى ذلك من المعلومات، من تشريح جثث نحو ١٨٠٠ شخص تراوح اعمارهم بين ١٥ و٣٤ عاماً توفوا نتيجة حوادث او اسباب عنيفة أخرى. وتشير النتائج الأولية الى انه كلما بكّر الشخص في التوقف عن التدخين والحفاظ على مستوى منخفض من الكولسترول في الدم، كان حظّه افضل في خفض خطر الاصابة بأمراض القلب في مرحلة لاحقة من حياته.

"وول ستريت جورنال"



دهم القطار الطفلين وهما يلعبان على قضبان السكة الحديد، وتعذر كبحه قبل وقوع الكارثة

صراخ أطفال تحت قطار مسرع

بزغ صباح الاثنين مشرقاً جميلا في رامسي بولاية نيوجرزي أول مايو (أيار) ١٩٨٩. وانهمكت كايت بريتشارد (٣٠ عاماً) في نقل أكياس البقالة من صندوق السيارة الى داخل البيت. ثم سمعت صفارة قطار مقبل. وتمر القطارات على بعد أقل من مئة متر من فناء منزل آل بريتشارد الذي لا يفصله عن خط السكة سوى أجمة أشجار كثيفة. وكان طفلا كايت، تود وعمره ثلاثة أعوام ونصف عام وسكوت وعمره ١٨ شهراً، يلعبان في الدرب المؤدية الى البيت.

نادتهما: "إبقيا هناك. لا تبرحا مكانكما. سأدخل أكياس البقالة ثم نحضر طعام الغداء."

راقب تود أمه وهي تدخل البيت حاملة أكياساً، فخاطب أخاه الاصغر بلهجة حازمة طالبا منه أن يكون ولدا صالحاً.

ILLUSTRATION: DAVID LOEW



فرد سكوت الذي لم يشأ الخضوع لأمر أخيه، بتصويب سيارة من لعبه الى تود قائلا: "كن أنت ولداً صالحاً."

أغلقت كايت باب الثلاجة وهرعت الى الخارج فاطمأنت الى أن الولدين يلعبان حيث كانا.

واذ همّت بنقل مزيد من الاكياس سمعت صوت قطار يمر بسرعة خلف ستار الأشجار، وقدرت أنه قطار ركاب سريع. فعادت الى البيت.

ولعلّ صوت القطار لفت انتباه الولدين الى خط السكة، فتغلغلا بين الاشجار وتسلقا حافة ترابية وركعا على الخط وراحا يلعبان.

شيء غريب! في ذلك الحين كان قطار شحن مقبلاً ببطء من الغرب في اتجاه الولدين. وأشار زر كهربائي الى أن قطار الركاب انعطف في سكة أخرى وأن في الامكان معاودة الانطلاق بالسرعة العادية أي ٦٥ كيلومتراً في الساعة. ففتح المهندس ريتش كامبانا صمام المِخنق وأطلق العنان للقطار، ثم التفت الى السائق أنطوني فالزو الجالس الى نافذة المراقبة اليسرى، وسأله: "أنطوني، ماذا ستعمل في عطلة نهاية الاسبوع؟"

كان أنطوني شاباً ربع القامة، قوي البنية، عمل على خط القطارات نحو نصف سنوات عمره الخمس والثلاثين. وهو رافق ريتش في رحلات عدة على خط سوفرن (نيويورك) وباترسن (نيوجرزي). وهو اعتاد رؤية الاولاد في أفنية المنازل يلوحون للقطار، فيرد لهم التحية دائماً.

وكان يعي خطورة مسؤوليته كسائق قطار، فبعدما ادار وجهه لحظة وابتسم لريتش كامبانا عاد ينظر الى الامام، وقال: "أوه، لا شيء يذكر. قد أذهب الى سهرة، ثم أشاهد التلفاز وآوي الى فراشي. فهل من شيء غير ذلك؟

قهقه كامبانا: "أنطوني! لا تجهد نفسك كثيراً!"

وضحكا معاً. كان أنطوني شاباً هادئاً دمثاً، وفي حداثته تملكته رغبة ملحة في العمل على قطر السكك الحديد. وشجعه اصدقاء والده الذين كانوا عمالاً على الخطوط. وفي سنوات العشرين شعر بدافع قوي الى مساعدة الآخرين، فعمل ست سنوات شرطياً متطوعاً.

ظل الرجلان يضحكان فيما ازدادت سرعة القطار الى ٣٤ كيلومتراً في الساعة والحافلات التسع عشرة وراءهما تقرقع وتصرّ. ثم لمحا شيئاً على الخط الممتد امامهما. فتساءل ريتش: "ماذا هناك؟"

لم يجب أنطوني، لكنه راح يحدق محاولاً تبين ذلك الشيء الغريب الشكل على الخط أمامهما. أهي علبة كرتون أم قطع ثياب بالية؟

فجأة عرف الرجلان ما هو. فلقم ريتش كابح الطوارئ وشد ذراع صفارة الهواء بكل قوته. وصاح أنطوني: "هناك أولاد على الخط!"

وكان أنطوني اختبر عدة حالات طارئة، خصوصاً خلال خدمته في سلك الشرطة. فوثب عبر باب القاطرة الى لوح ضيق على جانب القطار يعلو مترين عن العجلات،

وركض الى مقدم القاطرة المتمايلة، ونزل سلما فولاذية ووقف على الدرجة الدنيا التي تعلو ٦٠ سنتيمتراً عن الطريق.

رأى الولدين الصغيرين بوضوح. كانا جالسين على جانب خط السكة، فلوح لهما بيديه صائحا باهتياج مسعور: "ابتعدا! ابتعدا!"

حسب في ذهنه سرعة إبطاء القطار، وفكر مذعوراً: لن نستطيع التوقف في الوقت المناسب!

كان تود وسكوت منهمكين في اللعب غافلين عما حولهما، فلم ينتبها للقطار الداهم. والتفت سكوت أخيراً حين أصبح الصوت راعداً، فرفع نظره وجمد رعباً.

أخذ القطار في الابطاء، لكن أنطوني أدرك انه لن يستطيع أن يسبقه ركضاً الى الولدين. فضبط نفسه ريثما يقترب منهما مسافة كافية ليثب ويمسك بهما. وما ان أصبحت شفرة جرّافة الثلج المثبتة في مقدم الحافلة على بعد ثلاثة أمتار من الولدين حتى قفز انطوني عن السلم فسقط على الحصى الى جانب خط السكة، وخطا خطوتين جبارتين أوصلتاه الى الولدين اللذين حدّقا اليه مشدوهين وقد اعترتهما الصدمة. جمع أنطوني قوته متحفزاً وارتمى عليهما.

تحت الشفرة. أيقظ عويل صفارة القطار كايت بريتشارد من غفلتها، فصرخت: "الاولاد!" ثم ركضت الى الخارج فلم تجد طفليها حيث كانا في درب البيت. وتذكرت خط السكة فهرعت اليه.

سقط أنطوني على تود فغطاه بجسمه، ومدّ يده الى سكوت ليسحبه عن الخط لكن القاطرة دهمته. فرأى شفرة جرّافة الثلج تصدم الصبي تحت ذقنه دافعة رأسه الى الوراء، ثم تمر فوق وجهه ملامسة جبينه الذي تفجّر منه الدم.

مرت عجلات القطار فوق سترة أنطوني فمزقتها. لكنه تمكن أخيراً من سحب سكوت الى تحته مع تود حاميا اياهما بجسده.

تبادر الى ذهن أنطوني: إنه ميت. فارتعد دافناً وجهه في الحصى وضاغطا بكل ثقله على الولدين، فيما الحافلات تمر فوقهم على بضعة سنتيمترات.

كان تود أول من شاهدته كايت لدى وصولها الى القطار المتوقف. وكان يتواثب باكيا ولا سبيل الى ضبطه. لكن كايت تبينت أنه غير مصاب بأذى، فضمته اليها وهي تبكي. ثم رأت رجلا هامداً تحت المقطورة الثالثة وجسده يغطي سكوت الذي بان رأسه مغشيا بالدم الاسود المتجمد. ركضت اليهما صائحة: "سكوت!"

تلوّى أنطوني ونظر اليها قائلا بصوت هادىء: "ايتها السيدة، اذهبي فورا الى البيت واطلبي الشرطة وسيارة اسعاف." لكن كايت مدت يدها لسحب طفلها كأنها لم تسمعه. فأعاد عليها أنطوني بصرامة: "أصغي جيداً ايتها السيدة! اذهبي بسرعة الى بيتك واطلبي الشرطة. واطلبي سيارة اسعاف للحضور حالا. اذهبي!"

هرعت كايت الى البيت واتصلت بالشرطة والاسعاف ثم بزوجها غاري.

كان أنطوني ما زال ممسكاً سكوت الصغير لدى وصول سيارة الشرطة. وعرف من بكائه انه ما زال حياً. لكنه ربما أصيب بأضرار داخلية قد يزيدها تحريكه. لذلك أصرّ على رجال الاسعاف ان يفحصوا الصبي بدقة قبل أن يرخي قبضته عنه. ومن العجب أن اصابة سكوت لم تكن خطرة، وخيط جرحه بـ١٣ قطبة.

كانت شفرة جرافة الثلج القاطعة تعلو عن الارض ٣٥ سنتيمتراً فقط. وسأل الصحافيون أنطوني لاحقاً هل تردد قبل المخاطرة بحياته. فأجاب: "كلا. جال في خاطري أن حياة كاملة تنتظر هذين الولدين، وما لم أفعل شيئاً فسيقضى عليهما. لم يكن هناك ما يثنيني عن عزمي."

وزار أنطوني آل بريتشارد. وهو يتذكر كيف طوق تود وسكوت بيديه ورفعهما: "استعدت في ذاكرتي لحظة حميتهما بجسدي تحت القطار. كان ذلك شعوراً غريباً ورائعاً، أن أضمهما ثانية."

منذ تلك الزيارة أصبح أنطوني كأنه أحد أفراد العائلة. وأقيم سياج واقٍ بين الحي السكني وخط السكة الحديد.

جاك مورفي ■



رحلة الى الهند

وصل زميل لي الى مطار دلهي في رحلة عمل الى الهند. فركب سيارة أجرة الى الفندق حيث استقبله مضيف هندي بالترحاب. وطلب سائق السيارة ما يعادل ثمانية دولارات أجرة. وبدا السعر معقولا لزميلي الذي ناول السائق المبلغ. لكن المضيف خطف الأوراق النقدية من يده ونهر السائق ناعتاً اياه بالطفيلي الحقير الذي يجلب العار على بلده بفرض أسعار اضافية على الزائرين. ورمى اليه نصف المبلغ قائلا له انه لا يريد أن يراه ثانية. واذ اقلعت سيارة الأجرة مسرعة أعاد المضيف الاوراق النقدية المتبقية الى زميلي سائلا اياه كيف كانت سفرته. فأجابه: "كانت جيدة... الى أن طردت سائق سيارة الأجرة وحقائبي في صندوقها."

د.ب.

زبون غير مستعجل

كان صالون الحلاقة يغص بالزبائن عندما فتح رجل الباب ومد رأسه سائلا: "كم علي أن انتظر؟" فأجابه الحلاق: "ساعة على الأقل." فدخل الزبون مبتهجاً وجلس يقلب صفحات المجلات. وعندما حان دوره اعتذر اليه الحلاق لتأخيره، فرد الزبون بمرح: "لا داعي الى الاعتذار، فانا لست مستعجلا. زوجتي تريدني أن أجز عشب الحديقة اليوم."

م.ن.

كيبيك الأجمل والأروع

مباهج الحياة في هذه المدينة تأتيك في الحر وفي القر

باخرة شحن تمخر نهر سان لوران عكس التيار، فتبدو المعدِّية التي نقلتنا من ليفي قزمة أمام ضخامتها. وتنزاح الباخرة ببطء كاشفة الحجب عن المدينة التاريخية المنحوتة في الصخر. صفوف البيوت الحجرية ذوات السقوف المائلة تتلألأ على واجهة النهر وفي الأعالي، فوق قنة الجبل الداخل في الماء، تومض الاشعاعات الأخيرة للشمس على سقوف الصفيح والقباب الفضية. ويكلل هذه الدرة قصر فرونتناك وهو فندق مسور بالابراج يحمل اسم حاكم شهير لـ"فرنسا الجديدة." نخطو من الشط الى الازقة الضيقة المرصوفة، على منوال الرواد والمهاجرين. كلمات الكونت

PHOTOS: © JAMES HUTCHISON AND MARGO PFEIFF

دو فرونتناك مرنانة تفوح منها الحقيقة كما عندما كتبها عام ١٧٦٢: "في رأيي، ليس من بقعة أجمل ولا أروع من مدينة كيبيك."

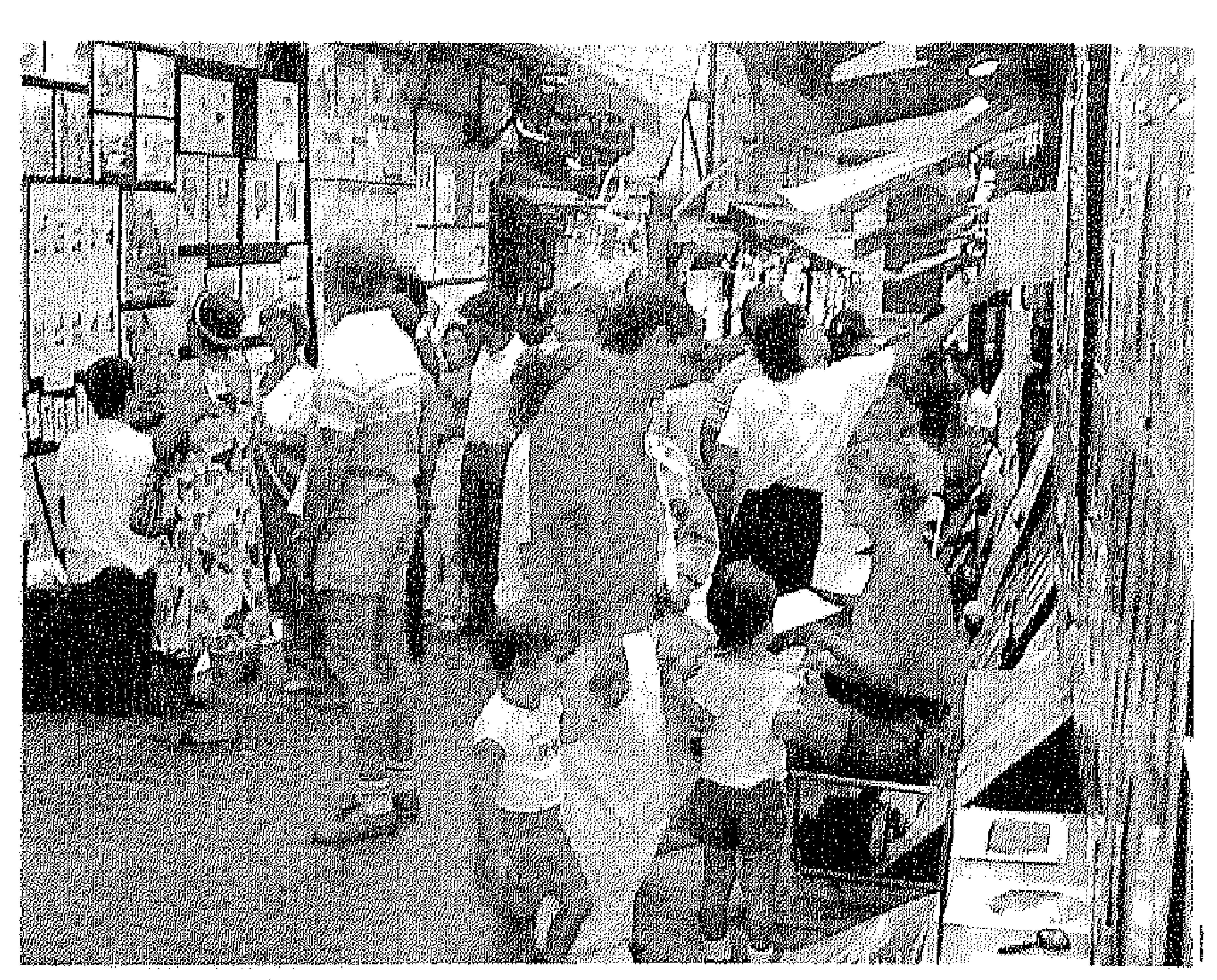
هاهنا أقام المستكشف صموئيل دو شانلان أول مستوطنة ثابتة لفرنسا في أمريكا الشمالية عام ١٦٠٨. لقد رأى في المرتفعات التي تقتحم نهر سان لوران حصنا طبيعيا. وكان الموقع بالغ الأهمية حتى ان المدينة التي بنيت في ما بعد، بل المقاطعة بأسرها، أخذتا اسمهما من كلمة "كيبيك" الألغونكية الهندية التي تعني "الموضع الذي يضيق عنده النهر." وازدهر الموقع فأصبح مركزا لتجارة الفراء وميناء، وتوسّع ليغطي الجرف الصخرية، فقامت المدن "العليا" و"السفلى" التي ظلت على حالها الى اليوم.

مدينة كيبيك وضواحيها موئل ٥٠٠ الف نسمة تعمل غالبيتهم في أبنية سامقة للمكاتب. في هذا المركز المديني يخفق قلبٌ عجوز قوي، كيبيك القديمة[1] أو الحي العتيق، وهي رقعة بمساحة كيلومتر مربع ينتشر فيها العبق الاوروبي المعتق عبر السنين، وتحف بها جدر ضخمة من الحجر الرملي. انها المدينة المسوَّرة الوحيدة شمال المكسيك. القيِّمون على كيبيك القديمة، وهم سكانها وعلماء الآثار ومهندسو العمارة والحرفيون فيها، ربحوا حربهم ضد الاهمال والدمار الذي أتى على الاحياء التاريخية في المدينة. وفي العام ١٩٨٥ أعلنت منظمة اليونسكو كيبيك القديمة موقعا تراثيا عالميا. وهي أول مدينة في أمريكا الشمالية تنال مثل هذا التكريم.

مهرجان الصيف. يقول عالم الآثار جورج ليهي الملقب "سيد الترميم" لما له من أياد في احياء عدد كبير من المباني التاريخية في المدينة التي تبلغ الفا وسبعمئة، "ليس في أي مدينة أخرى في امريكا الشمالية شوارع متغايرة من كل العصور." والفكرة التي يحملها المرء عن المتاحف التقليدية تذوي سريعاً، لدى أول نزهة في أزقة المدينة العليا. طاولات المقاهي وكراسيها مصفوفة على الأرصفة وملأى بالآكلين والشاربين الصابرين على حر الصيف الذي لا يدوم طويلا. ونصل في الوقت المناسب لحضور "مهرجان كيبيك الصيفي الدولي"، فيتناهى الينا ايقاع الطبالين السنغاليين تردد صداه حيطان البيوت الحجرية وهي في أبهى حللها، تزينها علب الأزاهير والسلال المعلقة. وينبعث عويل أجش من أبواق في شارع سان لوي ينفخ فيها ثلاثة عازفي جاز على الرصيف. ويحرك عزفهم الازواج الراقصين فينسابون على الدروب ويوقفون حركة المرور.

في وقت لاحق على أنوار مصابيح الشوارع من الطراز الفيكتوري نؤدي طقسا خاصا بمدينة كيبيك. فنجول على مهل مكحلين البصر بمعروضات الكعك ولوائح الطعام المعلقة خارج المطاعم، وكلها مما يسيل له اللعاب. وتمر بنا

(١) Vieux Québec



تحف فنية وتذكارات معروضة في شارع تريزور.

عربات تجرها جياد، فيعبق الجو بالرومنطيقية عبقه بشذا الأطايب. بعد العشاء نتزاحم لشق طريقنا الى شارع تريزور الكثير الحركة، وهو زقاق يحاكي "ساحة تيرتر"[٢] في باريس حيث يبيع الفنانون لوحاتهم ورسومهم. في عصر آخر كانت "ساحة العسكر"[٣] المجاورة ترتج على وقع أقدام الجند، أما الليلة فثمة كوكبة من الفنانين الايمائيين يمثلون مشواراً في السيارة لجمهور من الاطفال الفاغري الاحداق والافواه.

حوانيت التحف القديمة مصطفة على طول شارع سان بول، وعلى زاوية شارع سول - أو - ماتلو يعرض علينا حانوتي لوحة نحاسية منقوشة تمثل الموضع الذي صدّ فيه البريطانيون هجوم قوات الكولونيل بينيدكت آرنولد ليلة رأس السنة عام ١٧٧٥ في عاصفة ثلجية عاتية خلال حرب الاستقلال الامريكية.

وبغية زيادة معلوماتنا عن صراع آخر رسم أحد العهود وختم مصير "فرنسا الجديدة"، نزور صرح "أورسولين." نقرع الباب فتفتح لنا ماري - ايمانويل شابو. وتقودنا على أرض من صخر الاردواز أبلاها وطء أقدام لا تعد ولا تحصى مذ فتحت هذه المدرسة الاولى للفتيات في "فرنسا الجديدة" عام ١٦٤٢. في حجرة مقنطرة السقوف تفتح الأخت مصراعين خشبيين فتكشف مصطلى مسوّداً. وتظهر ست قنابل مدفعية راقدة في سكون. تقول ماري - ايمانويل: "هذه القذائف أمطرت الصرح أثناء الحصار الذي دام ثلاثة أشهر قبل معركة السهول." في صيف ١٧٥٩ قصفت القوات البريطانية كيبيك من ليفي. وتهمس شابو في آذاننا: "هنا دفن المركيز دو مونكالم بعد يوم من نشوب المعركة."

---

(٢) Place du tertre

(٣) Place d'Armes

هياكل عظمية. نقصد السهول صوب البقعة التي اجتاز فيها الجنرال جايمس ولف و٤٥٠٠ جندي بريطاني الخفراء الفرنسيين بخدعة بارعة في ليلة غير مقمرة من سبتمبر (أيلول) ١٧٥٩، ثم تسلقوا الهضاب. فوجيء مونكالم وجنوده، فهجموا من دون انتظار مدد، فحصدتهم البنادق البريطانية. واذ نظرنا الى الموضع حولنا حيث قضى مونكالم وولف وسقط ١٥٠٠ جندي بين قتيل وجريح في نحو ثلث ساعة، لم نرَ غير أجساد المستحمين بأشعة الشمس في

سباق القوارب وسط كتل الجليد في الكرنفال.

متنزه "ساحات الوغى" على المروج المنحدرة برفق.

نهبط درجات "سلّم دق الاعناق"[٤] وهي واحدة من ٢٨ سلماً تصل أعلى مدينة كيبيك بأسفلها. وأسفل المدينة منطقة مستودعات وبيوت وحوانيت مرممة، وهي تقع خارج الاسوار لكنها جزء من المنطقة التاريخية. وفي شارع "شانلان الصغير"، أحد أقدم الشوارع في أمريكا الشمالية، يدلل التجار على بضائعهم بلافتات خشبية منحوتة خارج دكاكينهم وحاناتهم الصغيرة.

وقرب "شانلان الصغير" ميدان "بلاس رويال" الذي يرقى الى القرن السابع عشر، تحف به بيوت حجرية رمادية. ونصل الى الجزء الواقع تحت "نوتردام دي فيكتوار" محدقين الى أساسات المساكن الاصلية في شانلان، تلك التي رفع عنها التراب. وتنبعث من أرجاء المدينة القديمة طرف من حكايا الايام الخوالي.

في شهر أغسطس (آب) ١٩٨٦ أماطت عالمة الآثار جيزيل بييدالو اللثام عن ٥٠ هيكلا ممدودة في صفوف ضمن جُدُر المدينة التي تبلغ سماكتها ٢٠ متراً، وبعض أذرع الهياكل ما زالت مشبوكة على صدورها. تقول بييدالو: "غالب الظن أنها هياكل المستعمِرين البريطانيين والامريكيين. الذين أُسروا في أواسط القرن الثامن عشر. وقد قضوا من أمراض فتكت بهم كالاسقربوط (الحَفر) والسل والزحار."

وبدل التسلق الى القسم العلوي من المدينة، نركب عربة معلَّقة (تلفريك) تأخذنا من داخل بيت لوي جولييه الذي استكشف نهر المسيسيبي ورسم خريطته عام ١٦٧٣، صعوداً الى "دوفران تيراس"[٥] وهو ممشى خشبي واسع مرزوز الى ذرى الجرف في ظل قصر فرونتناك. خارج أبواب القصر نلتقي الدليل دفيد مندل وننضم الى رهط من

(٤) L'Escalier Casse-Cou
(٥) Dufferin Terrace

التلاميذ في جولة على كيبيك القديمة. انه يوم صيفي منعش تمخر فيه المراكب الشراعية عباب النهر، فيصعب علينا ان نصدق رواية مندل: مرة على الاقل في كل شتاء تندفع معدِّية ليفي وسط الجليد في النهر صوب جزيرة أورليان، وتظل هناك بضع ساعات حتى تأتي كاسحة الجليد لنجدتها. ويثور في أذهاننا سؤال: ما الذي يحدث غير ذلك في هذه المدينة المرحة خلال فصل الشتاء الطويل؟

منحوتات في الجليد. بعد سبعة أشهر، في النقطة عينها، وقفنا نرقب المعدّية تراوغ أطواف الجليد. ونقفز على الارض علّنا ندفأ قليلا. كيبيك تشبه كعكة متلألئة تحف بها كتل جليد. اللافتات التي تحذر من "خطر! جليد!" بدت سخيفة أيام الصيف، لكنها اليوم انذار ذو شأن. ها هم العمال يتسلقون السلالم الزلقة الى السطح حاملين مطارقهم الخشبية لإزاحة كتل الجليد الضخمة.

"كرنفال كيبيك" هو الذي أعادنا في هذا اليوم المشمس من فبراير (شباط). ويدأب السكان مدة عشرة ايام على مراجعة ميازين الحرارة التي لا تتزحزح عن ٢٠ درجة مئوية تحت الصفر. قرب بوابة سان لوي تنصب قلعة وهاجة من الجمد على ارتفاع ٢٥ مترا، بارزة من بين الثلوج. وتنبثق من كتل الجليد أشكال حيتان وتنانين ودببة اذ ينغمس المتسابقون في المباراة الدولية للنحت في الثلج التي تقام سنويا.

ونلمح "رجل الثلج" الضخم رمز الكرنفال وسيد الاحتفال. وشاحه الأحمر وقلنسوته المحبوكة يهديان سلاما الى رجال الشمال القساة.

في شارع "سانت تيريز" الهادىء ندلف الى قبو ليونيل فوشيه الملقب "تي بير" وهو قزم ظل ٣٤ عاما يقدم شراب "كاريبو" المدفىء.

أيام الكرنفال العشرة حافلة باللهو الشتوي: جياد بحدوات مسننة تعدو عبر نهر متجمد، قافزون فوق البراميل ينتعلون زلاجات، لابسو جزمات الثلج يتسابقون في السهول.

في يومنا الاخير هناك نعانق آلات التصوير الصقعة منتظرين على رصيف الميناء في "باسان لويز" بدء سباق القوارب لمسافة ثلاثة كيلومترات عبر نهر سان لوران المكتظ بالجليد الى ليفي ومنها. تنطلق القوارب وفي كل منها خمسة ملاحين بعد أن تفتح كاسحة الجليد ممرا. بعض القوارب يعلق في التيار السريع المفاجىء فيخرج من السباق. وبعد نصف ساعة يعبر القارب الفائز خط الوصول، وتنتابنا قشعريرة اذ يحتفل الملاحون بالفوز فيثبون الى الماء الجليدي.

أزف موعد الرحيل. المدينة الآن صديقة قديمة تضج بالحيوية، ولسوف نزورها بعد حين. كيبيك الثلجية في الكرنفال، وكيبيك الصيفية اللاهية، مترعة بحب الحياة. انها، كما قال تشارلز ديكنز عام ١٨٤٢، "مكان لا ينسى."

جايمس هاتشيسون
ومارغو بفايف ■



الهر والفأر

أمِل أن أشاركه في الصيد، لكن خيبته فيَّ كانت عظيمة

انسل هري "بس" في محاذاتي متحركاً مثل أسد يتربّص بفريسة، فأيقنت أن الفأر محكوم عليه بالهلاك. ولولا "خربشة" براثنه المسلولة على الأرض المكسوة بالموكيت[1] ونخير الالم الناجم عن التهاب مفاصله، لكان صمته مطبقاً.

وفيما هو يحشر الفأر الصغير في الزاوية، رماني بنظرة خلفية. فالتقت أعيننا وفهمت أمره تمام الفهم. فإذا أردت الحفاظ على أهليتي كحضن صالح للجلوس، فعليّ أن أمده بدعم فوري. لذلك أسرعت الى الخزانة حيث المكنسة والملقط.

إحدى عشرة سنة مرّت وأنا أتلقى الأوامر من هذا الهر. وهو، عندما ظهر للمرة الاولى أمام باب منزلي، لم يكن نموه

ILLUSTRATIONS: CAROLINE HOLMES-SMITH

اكتمل بعد. كان جاثماً على سطح سيارتي يعقد صداقات مع الصبية اللاعبين في ذلك الشارع المشمس بلندن.

كان من النوع المدعو "نادل لندن"[٢]: رداء أسود، صدر ومئزر وقفازان وجوربان كلّها بيضاء، وشاربان أبيضان في وجه حالك السواد. بدا فاتناً الى حدّ أن تعذر على الجميع مقاومة اغرائه، ما عداي. فأنا كنت أمضي معظم النهار خارج البيت وأعيش حياة سرعة لا تسمح لي بسكب الحليب في صحفة هرّ بانتظام.

ولكن عندما يأتي الهرّ المناسب يقف الفئران والناس ازاءه عاجزين. وهذا الهرّ اختارني أنا من بين جميع الناس في هذه الدنيا الواسعة، وكان دهاؤه رهيباً، فقد طردته من البيت ثلاث مرات، وفي كل مرة كان يتدبّر أمره بحيث يجد حلقة من الصبية المهتمين بأمره في انتظاره على الرصيف، فيتلقفونه ويواسونه ويقولون لي بصوت واحد: "إنه جائع." فيهتز ضميري لعيونهم المتسعة الحزينة.

رضخت موقتاً للابتزاز وأدخلته البيت لاقدم اليه صحفة حليب واحدة ريثما يعود الأولاد من مهمتهم الاستكشافية، اذ أرسلتهم للسؤال عما إذا فقد أحد سكان الحي هراً. وبدا الهر معتاداً الحياة الرغيدة السهلة، استنتجت ذلك من الطريقة التي دسّ بها أنفه في باب البراد. لا بد إذاً أن هناك في مكان ما انساناً مفجوعاً مولعاً بالهررة ينتظر عودته.

وسميته "بس" خشية أن تنشأ بيني وبينه – إن أنا اخترت له اسماً حميماً –



علاقة يصعب علي انهاؤها لاحقاً. وبعد مضي أسبوعين رأيت بطاقة معلقة على واجهة دكان موزع الصحف كتب عليها: "مفقود هرّ أسود وأبيض. صاحبه طفل."

ذلك المساء حملت "بس" بين ذراعي وقرعت الجرس. ففتحت الباب فتاة صغيرة تضمّ هراً أسود وأبيض الى صدرها.

قالت لي: "وجدته محبوساً في خزانة التهوئة."

وفي طريق العودة الى البيت استرجعت في ذهني صورة الهرّ الذي حملته الفتاة. بدا هرّاً منزلياً لا يلفت النظر ولا يضاهي هرّي الجميل في شيء. هرّي؟

أخيراً نطقتها. وفي البيت جلست في كرسي مريح وتبادلنا نظرات فاحصة. وما لبث "بس" أن انقلب على ظهره طاوياً احدى أذنيه وغارزاً رأسه في السجّادة،

(١) الموكيت سجاد لاصق.

(٢) London Waiter

فانشدّت شفته الى أعلى كاشفة عن ناب حاد صغير، وانغلقت احدى عينيه الخضراوين فبدا كأنما على شفتيه ابتسامة ملتوية وفي عينيه غمزة شقية. ورمقني بنظرة هازئة من عينه المفتوحة، فأدركت أنه عفريت رائع متنكر في زي هر. فأسر لبي.

وبعدما حقق الصبية للهرّ مآربه انصرفوا الى ازعاج غيري من سكان الحي. وقد أصبح معظمهم الآن في سنّ الرشد، ولم يعد "بس" يخطر في بالهم.

أما أنا فكرّست له... ١١ سنة، نضربها في ٣٦٥ يوما... نضربها في ثلاث صحائف من الحليب يوميا كحد أدنى.. فيكون الحاصل ١٢٠٤٥ صحفة من الحليب. وذلك من دون حساب السنوات الكبيسة.

رياضي رابح. شاركني "بس" في سكنى ثلاثة منازل، إثنان منها في لندن والثالث في قرية ساحلية. وهو تقبّلها كلها بهدوء ورباطة جأش معتبراً اياها مقاطعات جديدة وهبت اليه. ولأنه هر رياضي، فلقد اخترع ألعاباً تحفظ اللياقة البدنية. إحدى هذه الالعاب سباق الحواجز، حيث الافضلية لي، فلا ينطلق هو في العدو إلا بعد أن أكون انا قطعت نصف المسافة، ثم لا يلبث أن يتجاوزني مسرعا.

ونمارس أيضا لعبة كرة المضرب على السلّم الخلفية. يقف هو على الدرجة العليا ويردّ كرة صغيرة خفيفة أقذفها في اتجاهه. وبعد كل خمس ردّات ناجحة يتوقف عن اللعب ليصقل ذنبه متجاهلا الكرة المقذوفة اليه. ولا بد من أن يشعر المرء بالبلاهة إن هو استمر في قذف الكرة الى الطبقة العليا ثم التسلق لاسترجاعها. لذلك كان "بس" يربح كل الجولات.

أما رياضته المفضلة فهي اليوغا. وفي بعض الاحيان أحاول أن أتذكر تمارين تعلمتها قبل سنوات من برنامج تلفزيوني،



فأرغم نفسي على الانحناء الى الامام من دون ثني الركبتين، لكي أمسك بكاحلي.

ويظهر "بس" فجأة، فيمرر رأسه على كاحلي ثم ينقلب ببطء رأساً على عقب ليستقرّ على ظهره، ويمطّ جسمه وقوائمه فيبدو كأن طوله متر. ولا يفصل بين أنفينا ونحن في ذلك الوضع سوى سنتيمترات، فيحدّق الواحد منا الى الآخر وقد اكتسى وجهانا تعبيراً غامضاً من تعابير اليوغا.

وحين أفرغ حوض الحمام يراقب "بس" المياه الآخذة في الانخفاض. وما ان ينحسر ارتفاعها الى خمسة سنتيمترات حتى يقفز الى الحوض ويحدّق منبهراً الى المصرف المقرقر.

وبعد أن يفرغ الحوض تماماً يجلس فيه وسط بخار الماء المتصاعد ويستحمّ طويلاً.

يوصل "بس" أفكاراً عدة بكلمته الوحيدة: "مياو." فأنا أسمع فيها "مرحبا!" اذ يستقبلني لدى عودتي الى المنزل، و"إنتبه، انني هنا!" عندما يعتقد أنني سأدوس ذنبه، و"آخ!" عندما أقف فعلاً على ذيله، و"حذار!" عندما تكون مداعبتي خشنة (ويقولها عادة بصوت أجش وبنبرة حادة)، و"آخر من يصل الى الطبقة العليا مغفّل بطيء الخطى واهن القدمين." وهذه عادة "مياو" حادّة يطلقها بصوت صارخ من فوق كتفه اذ يقترب بخطواته الايقاعية من الدرجة العليا.

لكن اصطياد الفئران مهمة تنفَّذ بصمت وجدية كما في الادغال، وليس فيها مجال للضحك. وهو لا ينتظر مني



تأدية دور سوى الشريك الذي يسدّ على الفريسة باب الهرب في الطرف الآخر. لكن شريك "بس" في الحقيقة رجل غريب الاطوار يعارض إراقة الدم في الرياضة البدنية، ويسعى جاهداً الى التقاط الفأر ثم يطلقه في حقل بعيد.

القط والفأر. ها هو "بس" يطارد الفأر المسكين ليحبسه في الزاوية، وأنا واقف أنتظر وقد تسلّحت بمكنسة وملقط. ولأن ما من شيء سويّ في هذا البيت القديم، فقد تمكن الفأر من الاندساس في فجوة صغيرة بين الجدار وبساط الموكيت.

وببراعة مبتكرة مد "بس" قائمته وغرز مخلبه في زاوية البساط ثم رفعه كاشفاً مثلثاً كبيراً من الأرض. وردّ الفأر بالابتعاد عن الزاوية قطرياً مثل بيدق الفيل في الشطرنج.

هنا هرّ يرفع أمام وجهه مثلثاً من الموكيت بضلعين متساويين، وقمّة المثلث

في مستوى عينيه تماما. وهو يحتاج الى رؤية ما في الجهة المقابلة. ولكي يتسنى له ذلك يتعيّن عليه أن يتقدم خطوة الى الامام. لكنه اذا فعل فسوف يضغط الموكيت بقوائمه فيسقط من مخلبه ويغطي الأرض ثانية. انها حلقة مغلقة فعلاً. فلم يبقَ أمام "بس" سوى حل واحد هو الجلوس والاغتسال وانتظار التطورات. وهكذا، أفلت مثلث الموكيت وجلس مباشرة فوق النقطة التي وصل اليها الفأر. هل ذكرتُ أن الـهر يزن أكثر من ستة كيلوغرامات؟

أنا لست طبيبا، لكن الفأر بدا لي في حال سيئة جداً عندما أمسكته بالملقط. وتحت نظرات "بس" الغاضبة حملته الى أجمة نائية حيث تركته مستلقيا على جنبه يحرّك قوائمه بوهن. وأملت أن يسترد عافيته مع الوقت.

عندما عدت الى البيت رأيت أن لا بد لي من الاعتذار، فقلت: "آسف يا بس..." لكنه رفض الاستماع واجتازني باستعلاء وتكبّر وأطلق "مياو!" لا يمكن أن تحمل سوى معنى واحد هو: "أغرب عن وجهي!" وكان يهز ذنبه بعنف.

لقد عاد الآن. لكنني أدرك أنني فقدت الحظوة لديه. أعرف ذلك من طريقة جلوسه وقد أولاني ظهره رافضاً أن تلتقي عيناي عينيه. وأعرف من خبرتي المرّة أن استعلاءه هذا سيطول – حتى لحظة المصالحة عندما يسمعني افتح باب البراد.

جون أنيس ■



اليوم الطويل

عمل ابني في عطلة فصل الصيف مع شركة حفر وتنقيب. ووافق يومه الأول في العمل الحادي والعشرين من يونيو (حزيران)، أول أيام الصيف. وبعد العمل مدة ١٤ ساعة في الشمس الحارقة عاد الى البيت، وادار جهاز الراديو ليستمع الى الأخبار وهو يتناول طعام العشاء.

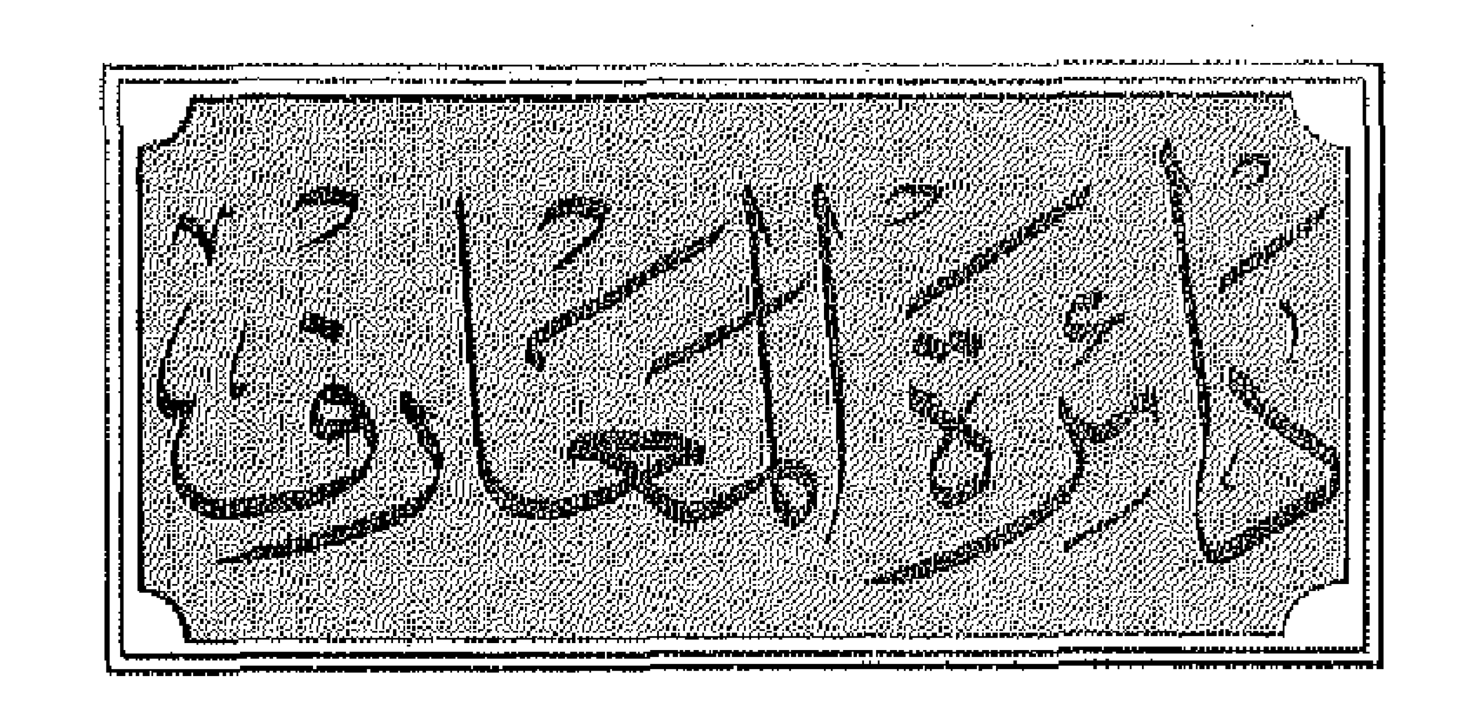
وعندما ذكر المذيع انقلاب الشمس الصيفي، توقف ابني عن الأكل وصاح: "لقد كان حقيقة" اليوم الاطول وأنا كنت أعتقد أنه تراءى لي كذلك!"

ك.و.

اعلان مفتوح

قرأت الاعلان الآتي على مدخل مطعم محلي: "نفتح كل يوم، حتى الأحد ظهراً ومساء... نقفل مساء الأربعاء وطوال يوم الخميس."

م.ل.



الاسم المؤنث علاماته ثلاث: التاء المربوطة نحو "عبلة"، والألف المقصورة نحو "نجوى" والالف الممدودة نحو "نجلاء".

هنا اسماء وصفات مؤنثة لا تنتهي باي من هذه العلامات. وقد وُضع أمام كل منها أربعة معانٍ، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارئ أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. **رؤوم**: راعية – عطوف – دائمة الرجاء – ناقمة.

٢. **خَوْد**: سمراء – زوجة – ابنة صغرى – شابة.

٣. **سافر**: سليطة اللسان – قرعاء – كاشفة عن وجهها – دميمة.

٤. **مِذْكار**: والدة ذُكور – جدة – ثرثارة – قوية الذاكرة.

٥. **هَدِيّ**: غريبة – عروس – هادئة الطباع – ذات صوت جميل.

٦. **حَصان**: متكبرة – رشيقة القوام – عفيفة – سَكُوت.

٧. **مُسْقِط**: ضعيفة – فاجرة – مطلَّقة – التي تضع ولدها بغير تمام.

٨. **داجِن**: سمينة – أليفة البيوت – سوداء – وحيدة.

٩. **رَشوف**: طيبة الفم – نهمة – ناحلة – جميلة العينين.

١٠. **عَرُوب**: متحببة الى زوجها – لعوب – جذابة – طويلة الشعر.

١١. **عاطِل**: أرملة – كسول – خفيفة العقل – لا تضع حلياً.

١٢. **شَكور**: دامعة – باسمة – كثيرة الشكر – كريمة.

١٣. **بِكْر**: عزيزة – عذراء – مسنَّة – طفلة.

١٤. **عانس**: كبيرة غير متزوجة – قاسية – معلمة – عنيدة.

١٥. **نَزُور**: بخيلة – متكتِّمة – هزيلة – قليلة الولد.

١٦. **غِرّ**: حسناء – غيور – شابة لم تجرب الامور – مغرورة.

١٧. **عاقِر**: مريضة – خرساء – لا تلد – ضامرة البطن.

١٨. **مَحْض**: طرية – فارغة – بيضاء – خالصة.

١٩. **وَقاح**: ذات وقاحة – نقية – خجول – مشرقة الوجه.

٢٠. **مِعْطار**: مؤنسة – كثيرة التعطر – لطيفة – كريهة الرائحة.

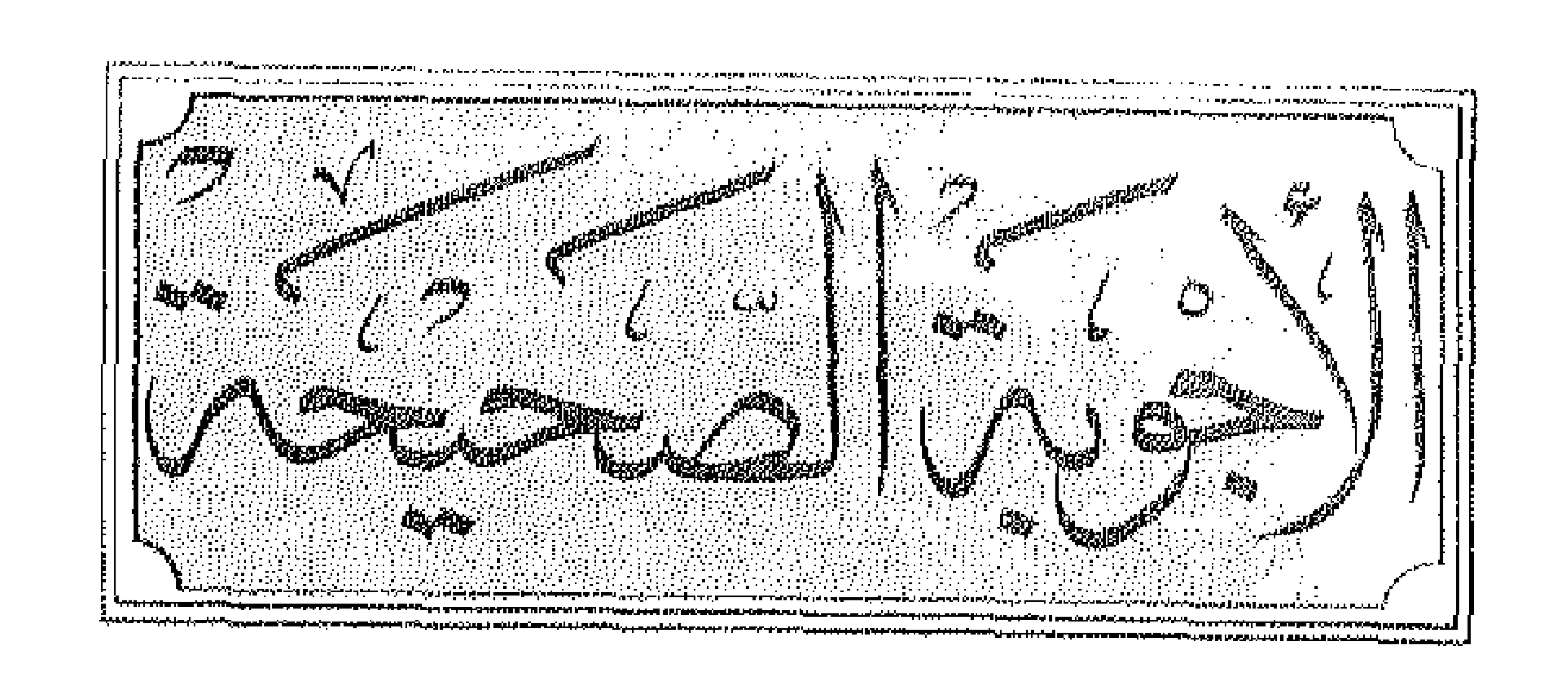
٢١. **أيِّم**: يتيمة الأم – وليَّة – مرضعة – التي فقدت زوجها.

٢٢. **صَناع**: خادمة – متكلِّفة – شبيهة – حاذقة في الصنعة.

٢٣. **مُتئِم**: التي تضع وليدين معا – عاشقة – متشكية – مملة.

٢٤. **مهراق**: مبذرة – باكية – كثيرة الضحك – وارثة.

٢٥. **لِطْلِط**: ثرثارة – عجوز كبيرة – سريعة – قصيرة.



١. **الرؤوم**: العطوف. وفي المثل "ظئر رؤوم خير من أم سؤوم" أي ان المرضعة الاجنبية التي تعطف على رضيعها خير من الام التي تمل ولدها ولا تعتني به.
٢. **الخَوْد**: المرأة الشابة. جمعها خَوْدات وخُوْد.
٣. **السافر**: التي كشفت عن وجهها. كذلك الحاسر. والواضِع التي وضعت خمارها.
٤. **المِذْكار**: التي عادتها ولادة الذكور. المئنات: التي تلد الاناث.
٥. **الهَدِيّ**: العروس. و"العَرُوس" تقال للمرأة وللرجل، ويقال للمرأة أيضا العروسة دفعا للالتباس.
٦. **الحَصان**: المرأة العفيفة. أيضا: الدُرّة.
٧. **المُسْقِط**: التي تضع ولدها بغير تمام، فهو سِقْط. المِقْلات: التي لا يعيش لها ولد.
٨. **حمامة داجِن**: التي ألفت البيوت واستأنست.
٩. **الرَشُوف**: الطيبة الفم. الأنوف: الطيبة ريح الانف.
١٠. **العَرُوب**: المتحببة الى زوجها. أيضا: الضحّاكة. وتقال أيضا للعاصية زوجها.
١١. **العاطِل والعُطُل**: المرأة التي لا تضع حليا. العَيْطَل: الطويلة العنق في حسن.
١٢. **الشَكُور**: الكثيرة الشكر.
١٣. **البِكْر**: العذراء. أيضا: أول مولود لأبويه، وهي للذكر والانثى.
١٤. **العانس**: التي كبرت في بيت أهلها ولم تتزوج. والرجل العانس هو الذي أسنّ ولم يتزوج.
١٥. **النَزُور**: القليلة الولد أو القليلة اللبن.
١٦. **الغِرّ**: الشابة التي لم تجرِّب الامور. وتستعمل للذكر ايضا، مثل: عبد قِنّ وأمة قِنّ.
١٧. **العاقر**: المرأة التي لا تلد. رجل عاقر: لا يولَد له ولد.
١٨. **المَحْض**: الخالص الذي لم يخالطه غيره، ويجوز فيه التذكير والتأنيث والتثنية والجمع. فيقال: عربي محض وعربية محض وعربيان محض وعرب محض.
١٩. **الوَقاح**: ذات الوقاحة.
٢٠. **المِعْطار**: الكثيرة التعطُّر. تعطَّرت البنت: أقامت عند أبويها ولم تتزوج.
٢١. **امراة أيِّم**: فقدت زوجها. رجل أيِّم: فقد امرأته.
٢٢. **الصَناع**: الحاذقة في الصنعة الماهرة في عمل اليدين.
٢٣. **المُتْئِم**: التي تضع ولبدين في بطن واحد. ويقال لها "مِتْآم" اذا كان ذلك من عادتها.
٢٤. **المهراق**: الكثيرة الضحك.
٢٥. **اللِطلِط**: العجوز الكبيرة. والعَيْضَموز والحَيْزَبون كذلك.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز
١٤ - ٢٠: جيد جداً
٩ - ١٣: مقبول



لا تكتمل الرجولة الا بتفتيت الصخور

فخر الرّجال

صاح بي والدي وسط ضجيج مثاقيب البنائين الذين كانوا يحفرون الشارع أمام منزلنا: "إن تشغيل المثقاب يتطلب رجلا قوياً حقاً." وكان العمال ضخام الاجسام مفتولي العضلات أشداء لوحتهم الشمس، وقد وشموا أجسادهم برسوم مختلفة.

وكنت في العاشرة من عمري طويل القامة نحيف البنية دقيق العنق. وقد وضعت نظارة سميكة جداً بحيث تصلح لعكس أشعة الشمس وإشعال ضمة من أوراق الشجر الجافة.

واستحوذت علي فجأة فكرة أن أصبح رجلا قادراً على تشغيل مثقاب أدق به صدر الأرض وأحطم الصخور. واحتلت هذه الفكرة المرتبة الاولى في سلم أولوياتي الرجولية، ومنها السباحة في النهر عكس التيار، وكسر عظمة بيدي، ووضع قطعة نقد معدنية على خط السكة الحديد، والنوم على ضريح في منتصف الليل، والفوز في عراك، وطبع قبلة على فم فتاة.

مرت الأيام فأديت قسطي للعلى وأتممت كل هذه المتطلبات الاولية لبلوغ الرجولة، إنما على مر السنين لم يغب عن ذاكرتي أني بعيد عن الرجولة الحقة اذ لم يتسنَّ لي مرة تشغيل مثقاب. الى أن كان العام ١٩٨٨ حين بلغت الثانية والاربعين من عمري.

كنا اشترينا منزلا قديما يعود الى خمسين سنة خلت، رأيت فيه ميزات فريدة أقنعتني بأن لا مثيل له في العالم

ILLUSTRATIONS: JOE CIARDIELLO

كله. من هذه الميزات سقف واطىء ودرب خاصة واسعة. انما الميزة المدهشة حقاً فكانت "حزاماً" من الاسمنت مطلياً بالأحمر يلتف نصف دائرة أمام المنزل، عرضه متران في بدايته أمام المدخل، ويستدق الى التلاشي على جانب المنزل. وكان الحزام في حاجة الى طلاء جديد.

سألت زوجتي: "لماذا نطلي شيئاً لا فائدة منه؟ انه سيبدو مزوّقاً بعيداً عن الأناقة."

ووافقتني زوجتي: "صحيح، انه سيبدو كقذى في العين."

فسألتها: "ماذا نعمل اذا؟"

ران للحظة سكون تام. توقفت الحشرات عن الازيز والطنين والصرصرة وصمتت الطيور. وخرست أجهزة الراديو والتلفاز والادوات المنزلية والدراجات ومحركات السيارات.

أجابت زوجتي: "تقول بات دويل ان في امكاننا ازالته."

وما ان نطقت بذلك حتى انحسر السكون الشامل وانطلقت الطيور والحشرات والأولاد والأدوات الكهربائية والمحركات في سيمفونية عالية.

قلت: "ان رأيها صائب. بات دويل هي أكثر الناس حكمة في جوارنا."

واقترحت زوجتي: "يمكننا استئجار احدى هذه الآلات التي تدعى مثقاباً، فنوفر المال باقتلاع الحزام بأنفسنا. ثم ان شعورنا بالرضى سيكون أكبر."

تسمّرت عيناي لدى ذكر كلمة "مثقاب" وأيقنت ان اللحظة الحاسمة أتت.

قلت: "ياه! مثقاب! يمكنني انجاز العمل في نهاية الاسبوع، فلدي عطلة ثلاثة أيام."

أخيراً سيتحقق حلمي فأصبح رجلا.

طلع فجر النهار الاول صافياً مشمساً حاراً. فقلت في نفسي: حسناً، أريده حاراً لانني أريد اختبار قوة احتمالي.

تناولت فطوراً شهيا وانتعلت حذاء العمل وسروال جينز تكسوه رقع ولطخات طلاء وقميصاً قطنياً وقبعة رياضية. وقدت شاحنتي الى محل استئجار المعدات حيث انتقيت أكبر المثاقب المتوافرة. وتبرع صاحب المحل بحمله معي الى الشاحنة. فقلت له شاكراً: "لا، لا أريد أن تبتل بالعرق."

كان المثقاب ثقيلا جداً. وتمكنت بعد جهد من رفعه عن الارض وحمله الى الشاحنة وقد التوى جسمي تحت ثقله.

ورحت ألعن نفسي بصمت وأنا أسند المثقاب الى الشاحنة. ثم أنزلت حافة الصندوق الخلفي وزحّفت المثقاب عليها ودفعته الى الصندوق وأقفلت عليه بعنف.

كان العرق ينصبّ مني كماء المطر عندما جلست الى المقود بعد كفاحي المضني. وكنت متيقناً أن الزبائن الآخرين في المحل كانوا يراقبونني ويهزون رؤوسهم رثاء لحالي. ودوّت نبضات قلبي في أذنيّ، وغلب علي شعور محبط بأنني اقترفت خطأ جسيماً بشراء هذه القطعة التي تقارب كلفتها أجرة رحلة سياحية لشخصين الى جزر الكاريبي. والى ذلك كله ساورني شك في قدرتي على تشغيل المثقاب.

سألتني زوجتي مبتهجة لدى وصولي الى البيت: "أهو ثقيل؟"

حملت المثقاب واسندته الى الجدار، وألقيت يدي على ركبتيّ وقد خانتني القوة للوقوف منتصباً.

فسألتها متهكماً بصوت راجف عال: "هل السماء زرقاء؟"

قالت وقد بان القلق على وجهها: "يا الهي! دعني أحضر لك شراباً مرطباً."

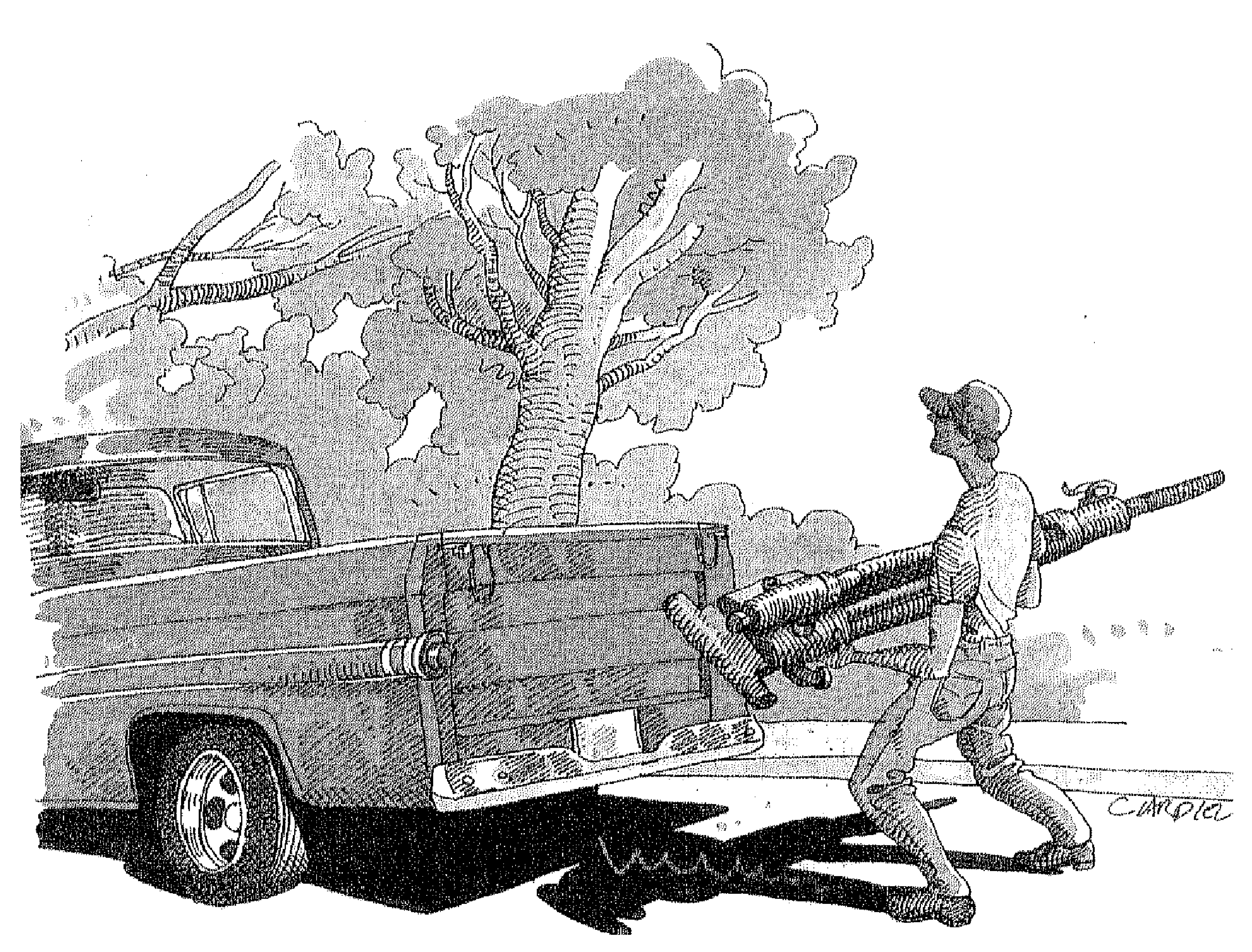
قلت بصوت صافر: "هل لديك قارورة أوكسيجين؟"

وما هي الا بضع لحظات حتى استعدت تنفسي الطبيعي وعادت الي قوتي. فربطت عصابة العرق على جبيني ولبست قفازي واندفعت الى العمل.

واذ راح المثقاب يتواثب ويشق صفحة الاسمنت، تنبعث منه قرقعة تملأ الجو وتصم الآذان، خف ثقله بين يدي وأدركت أني كفي له وأنني قادر على ذلك بالعمل. فيا لفرحتي! وتصورتني نموذجاً لثاقب صخور.

علت وجهي ابتسامة عريضة لثقتي بنفسي. وحفرت بسرعة سلسلة من الثقوب لاضعاف الاسمنت تمهيداً لتفتيته واقتلاع قطعه بمعول. وكان بنّاء صديق أخبرني أن سماكة الاسمنت تبلغ ثمانية سنتيمترات.

لم يكن هذا الخبر صحيحاً، ففي بعض الاماكن بلغت السماكة ٤٥ سنتيمتراً كافية لاستقبال طائرات "جمبو."



واصلت الثقب، وكان العمل بطيئاً مملا معرقا. وغطى الغبار حذائي وسروالي الجينز، وسلطت عليّ الشمس أشعتها المحرقة.

قرابة العاشرة صباحا خطر لي أني اذا دفعت المثقاب في خط مستقيم وحُلْت دون تمعجه واهتزازه فقد تزداد سرعته في الحفر. وحدث ذلك فعلا. لكن منعي لُقمة المثقاب من الاهتزاز أدى الى انغرازها في الاسمنت وامتناعها عن الافلات.

عاهدت نفسي على ألاّ أسمح لعينيّ بسكب الدموع. فشرعت في هز المثقاب من جانب الى آخر وركله ودفعه وضربه من دون جدوى. أخيراً عثرت على مطرقة ضخمة رحت أدق بها الاسمنت الى أن تمكنت من تحرير المثقاب.

بانقضاء النهار نجحت في حفر ٤٢١٦ ثقباً بعمق ٤٥ سنتيمتراً. وفي المقابل، نقص وزني أربعة كيلوغرامات وفقدت سمعي وإحساسي بيديّ وقدرتي على رفع أي شيء يزيد على وزن جريدة.

صباح اليوم الثاني ذهبت وزوجتي في نزهة قصيرة بالشاحنة. وكنت قررت ألا أعمل اليوم لأني تلاشيت فعلا. وفي طريق العودة قالت لي زوجتي: "أراك غارقا في التفكير على غير عادتك يا عزيزي."

نظرت اليها.

فتابعت: "لماذا لا ترتاح اليوم؟ فأمامك غداً نهار طويل لاكمال عملك."

قلت: "أرى أن أعمل قليلا اليوم فيكون العمل غداً أكثر متعة. انما أريد منك خدمة صغيرة."

قالت بلهفة: "أطلب يا عزيزي."

قلت: "هلاّ ساعدتني في فك يديّ عن المقود؟"

وعدت الى ثقب الاسمنت الصلب الذي يحتمل سقوط قنبلة ذرية.

ارتفعت الحرارة الى ٣٩ درجة مئوية. وأكملت حفر الثقوب الأساسية ورحت أعالج الفسحات بينها. وبدأ الاسمنت يتكسر، فأدنيت الشاحنة ورحت أرفع الشرائح اليها.

عند غياب الشمس امتلأت الشاحنة بقطع الاسمنت المحطمة. فأقفلت باب الصندوق وجررت نفسي داخل المنزل المكيّف الهواء ونعمت بحمام منعش ثم أويت الى فراشي منهاراً.

في التاسعة صباح اليوم التالي بدا الطقس حاراً. فاستويت في مقعد القيادة وتوجهت بالشاحنة الى مرمى الحجار والاتربة حيث استقبلتني سيدة لطيفة قالت لي عبر مكبر للصوت: "صباح الخير!"

أجبت: "صباح الخير، لدي حمولة أود تفريغها عندكم." قلت ذلك بلهجة مرحة مزهواً برجولتي.

قالت: "عليك أن تدفع رسما يا سيدي." سألت مندهشاً: "كم علي أن أدفع؟"

فردت: "ذلك يتوقف على ثقل الحمولة. أرجع الشاحنة الى الميزان."

بلغ وزن الركام طناً ونصف طن. ولم أتوقع الرسم المرتفع الذي فرض علي دفعه. فقلت لها: "أنا لا أحمل عادة هذا المبلغ الكبير نقداً. فهل أحرر لك شيكا؟"

أجابت: "بالتأكيد."

ناولتني قلماً. وحررت الشيك بيد مرتجفة بعد ثلاثة أيام من العمل الشاق. فتعرج خطي كأنه تخطيط لقلب مريض. لكن السيدة لم تعترض عليه.

قالت: "شكراً، أتمنى لك نهاراً سعيداً".

فهتفت بحماسة مصطنعة: "أوه، سأعود قريبا."

لقد اكتمل العمل. وستكون له ذكرى أطيب حين تستعيد يداي قوتهما.

وسألتني زوجتي ذات مساء ونحن جالسان في أريكة نستعيد ذكرى مشروعنا الصغير: "كم بلغت كلفة المشروع يا عزيزي؟"

تحاشيت الصراحة فأجبتها: "لن تعرفي ذلك أبداً. لا يجوز ان تعرفي ذلك أبداً."

فأصرَّت: "إنني جادة، هل كلف كثيراً؟"

أجبت: "لنقل إننا وفرنا مالا بالعمل بأنفسنا."

أضافت: "فضلا عن الـ..."

فأكملت: "... الشعور بالرضى."

ساد بيننا صمت لبضع لحظات، ثم انطلقت من فمي كلمات لم أصدق أنني أتفوه بها: "هل تعلمين؟ درب بيتنا واسعة جداً. وأؤكد لك أن في امكاني اقتلاع نصفها في ساعتين."

في تلك اللحظة عرفت أني لم أعد رجلا فحسب، بل أصبحت اخيراً رجل مثقاب.

جون كارنن ■



مرارة الأمانة

غمرني شعور بالارتياح والامتنان عندما ناداني سائق سيارة الأجرة التي كنت غادرتها قائلا لي ان محفظتي ما زالت على المقعد الخلفي. فعرضت عليه مكافأة مالية، لكنه رفضها شاكراً وقال: "هل لي أن أزعجك بطلب واحد؟ أريد أن أعرف كم في محفظتك من مال." وعندما اعلمته بالمبلغ سجله في دفتر ملاحظات وقال: "اني أحفظ سجلا بما تكلفني أمانتي."

ب.ا.

زوج وبيانو

قال رجل للطبيب النفساني: "لا أدري ما أفعل، فزوجتي تظن أنها بيانو."

فرد الطبيب: "اذاً، خذ لها موعداً وأحضرها لكي أعاينها."

فسأله الرجل متعجّباً: "هل فقدت صوابك يا دكتور؟ ألا تعلم كم يكلف نقل بيانو في هذه الأيام؟"

ا.س.

"نوادي الفتيان" تفتح أبواب المستقبل

مراكز ثقافية ورياضية تمنح الجانحين والمحرومين فرصاً لحياة أفضل

أقلقت موجة الجرائم المتعاظمة الاهالي في مشروع «بلاكهوك كورتس» السكني في روكفورد بولاية ايلينوي، مما حدا معظم الأمهات على منع أولادهن من اللعب خارجاً بعد حلول الظلام. وتوصل بعضهن الى منع أولادهن من الذهاب الى المدرسة. وحرصت إحداهن، كيم بيلر، على مرافقة ابنها الصغير تشارلز يومياً كي تتأكد من وصوله سالماً الى المدرسة.

في هذه الحال لم يجد الصبية مكاناً يذهبون اليه أو نشاطاً يمارسونه، لأن الأحداث المراهقين استحوذوا على المركز الاجتماعي هناك. إزاء ذلك طلب المستأجرون الغاضبون حلاً سريعاً.

PHOTOS: (TOP) © DICK DIETRICH; (BOTTOM) © MARIO MERCADO

وتساءلت مفوضة الإسكان كلارنس فوت: "لِم لا نطلب من نادي الفتيان[1] تأسيس فرع له داخل المشروع؟"

قبل رئيس "نادي الفتيان" في روكفورد التحدي، فأقفل المركز الاجتماعي لإجراء التعديلات اللازمة. ولمّا فُتح "نادي الفتيان" الجديد تولى موظفون فيه مراقبة موقف السيارات لإبعاد المشاغبين، وسيَّروا دوريات في أرجاء المشروع وظفوا لها متطوعين راشدين، كما زاروا العائلات ليتأكدوا من علمها بالنشاطات المتوافرة التي شملت الرياضة والفنون والحرف اليدوية والرقص.

وجاءت النتائج مثيرة، اذ انكفأ مروجو المخدرات وانخفضت نسبة الجريمة وازداد الحضور في المدرسة، ولمْ تعد كيم بيلر قلقة على سلامة ابنها. وهي تقول: "نادي الفتيان غيَّر الأمور."

متنفس للطاقات. منذ افتتاح النادي الاول في بلدة هارتفورد (كونيتيكت) عام ١٨٦٠، أدت "ن[illegible]" [illegible] في خدمة الأولاد في كل مكان. ووزير الاسكان والإنماء المديني جاك كمب واحد من نتاج هذه النوادي. كذلك قائد مكافحة المخدرات وليم بنيت وزعيم الاكثرية في مجلس الشيوخ الأمريكي جورج ميتشل، ولاعب كرة القدم أو. ج. سمبسون والمغني جون دنفر والنجم التلفزيوني بيل كوسبي.

ومن المقر العام في مدينة نيويورك تدير "رابطة نوادي الفتيان" نحو ١٢٠٠ فرع تضم ٨٩٢ ألف عضو تراوح أعمارهم بين ستة أعوام و١٩ عاماً (نسبة الفتيات ٢٣ في المئة). ورسم العضوية نحو ستة دولارات سنوياً.

امتداداً من غرينتش (كونيتيكت) الوافرة الغنى الى ايست سانت لويس (ايلينوي) المدقعة الفقر، تؤمِّن نوادي الفتيان والفتيات أمكنة يجد فيها الأولاد متنفساً لطاقاتهم، فيمارسون الألعاب الرياضية ويحضرون فروضهم المدرسية بمساعدة أساتذة ويتعلمون الرسم أو التصوير.



PHOTO: MARIO MERCADO

وفي مدينة تامبا من أعمال فلوريدا قُدِّمت نورما غويرا ابنة أحد العمال المهاجرين الى النادي على أنها "مسببة مشاكل." وهي رفضت الحضور في البداية لظنها أن النادي هو "للاطفال." ثم اكتشفت في نفسها قدرة على مساعدة الأطفال في تحضير فروضهم المدرسية. ومكافأة لها على ما قدمته من مساعدة أمَّن لها النادي منحة للدراسة الجامعية.

ما إن تَدخُل أحد النوادي حتى تسمع صياح الأولاد وهم يتراكضون في ملعب لكرة السلة. ولكن إن تنعم النظر ترَ حقيقة ما يجري:

معالجة جنوح الأحداث ومكافحة الجريمة. كانت العصابات تعيث فساداً في مدينة إل مونتي بكاليفورنيا، فاقترح المدير التنفيذي لنادي الفتيان كلاي هولوبيتر حلا يقضي بتأمين وظائف لفتيان العصابات. فوافقت الشرطة على إجراء التجربة، واستجابت الشركات وساهم هولوبيتر شخصياً في تدبير أعمال لعشرات المراهقين.

وأدى هذا الاجراء الى خفض معدل الجريمة في المدينة بحيث لم تسجل في العام الماضي (١٩٨٩) سوى جريمة واحدة مرتبطة بالعصابات. يقول رودولف دياز رئيس محكمة ريو هوندو: "لا تزال العصابات مهيمنة على البلدات والمدن المجاورة، خلافا للحال في إل مونتي."

تأهيل الأولاد لعالم الأعمال. منذ ١٩٨٥ ساهمت برامج النوادي في حفز المراهقين على تأسيس أعمال ناجحة. ففي بوفور (ساوث كارولينا) يقطف أعضاء النادي ثمار الجوز ويبيعونها. وفي نيوارك (نيوجرزي) يستثمر جاندون سابقون مطعما سموه "جرزي مايك" يقدم شطائر ضخمة أطلقوا عليها أسماء مثل "كورتسي" (كياسة) و"أونستي" (أمانة) و"دليجانس" (اجتهاد)[٢] وهي أسماء تعكس القيم التي يحاول هؤلاء ممارستها.

ومن أجل اثارة اهتمام الاولاد بمهن مستقبلية، تنظم لهم النوادي جولات ميدانية. ففي لانسنغ (ميشيغن) يتحدث أعضاء النادي الى ربابنة الطائرات في المطارات المحلية ويراقبون عمال الميكانيك ومراقبي الحركة الجوية أثناء عملهم. وفي بيلنغز (مونتانا) يتعلمون كيف يصبحون مذيعين مجازين بممارسة العمل كمنظمي أغانٍ ومحررين ومبرمجين في محطة اذاعية محلية. وقد تولى "نادي الفتيان" تغطية الاحتفالات التي جرت في بيلنغز صيف ١٩٨٩ لمناسبة العيد المئوي لولاية مونتانا. وعندما ابدى العضو تود غرين (١٢ عاما) رغبة في مهنة الطب، يسَّر له النادي العمل مع الجراح أتريك لوبز. يقول تود: "بعدما شاهدت عملية جراحية عن كثب عقدت العزم على أن أصبح جرَّاح قلب."

مكافحة المخدرات. ثمة برنامج خاص لارشاد اليافعين الى طرق مقاومة الضغوط التي تنتهي نزوعا الى الفساد

(٢) Courtesy, Honesty, Diligence

وتعاطي المخدرات والكحول، وذلك عملا بالنظرية القائلة إن سلوك الأولاد منحى الانغماس في الملذات وتعريض صحتهم للخطر يقلّ إن هم شعروا بأنهم موضع تقدير واهتمام.

رافق مرشدون من نادي هنتنغتن (وست فرجينيا) ٣٠ مراهقا الى أحد المنتجعات لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. وفي الطريق اعترفت احدى الفتيات بأنها كانت تتعاطى المخدرات، لكنها توقفت عنها بفضل ما تعلمته عن أضرارها. ثم تطوعت لمساعدة صديقة تتعاطى المخدرات وحضتها على طلب المساعدة. يقول المدير التنفيذي دالاس تكر: "يتطلب ذلك كثيراً من الشجاعة، وإني لراض تماما عن البرنامج."

تعزيز التحصيل العلمي. عندما "أضرب" الاساتذة عن التعليم عام ١٩٨٩ في مدينة ووترتاون (مساتشوستس) نظم النادي صفوفا دراسية وقدم الى التلاميذ وجبات ساخنة. وعلى أحد جدران نادي "ويلر" في انديانابوليس عُلِّقت لوحة نقش عليها: "لن يجدي أي من أسرار النجاح ما لم تجدّوا انتم." ويقدم النادي الى الاعضاء المستحقين منحاً دراسية تمكنهم من الالتحاق بالجامعات.

وأمّنت نوادي الفتيان والفتيات في مدينة تامبا أجهزة كمبيوتر في أربعة مواقع من المدينة، أُلقمت برامج تساعد في دراسة الرياضيات واللغة. ولا يسمح للأعضاء بالاشتراك في نشاطات النادي الرياضية ما لم يكملوا فروضهم المدرسية ويحضروا حصة الكمبيوتر. يقول مدرب كرة القدم بوبي ويلدن: "كان الأمر اختياريا في السابق، أما الآن فأسمع الاولاد يقولون: "حضرة المدرب، لدي درس كمبيوتر وسأتأخر ١٥ دقيقة."

تعزيز الروابط العائلية. يقول رئيس نادي تامبا غلن برموي: "عندما كنت عضواً في النادي قبل ثلاثين سنة كان معظم الاولاد ينتمون الى عائلات تقليدية من والدين اثنين، يعمل فيها الأب وتبقى الام في المنزل. أما اليوم فيعمل كلا الوالدين، وفي حالات كثيرة يعيش الطفل مع أحد والديه الذي يكون عاملا أو معتاشا من الانعاش الاجتماعي." والى ذلك، يضيف ريك ميلر مدير نوادي فينكس، "كثيرون من الوالدين لا يهتمون على نحو واع ومباشر بحياة أولادهم المدرسية والشخصية. وكل ما يعنيهم هو نموهم الجسدي."

ولكن بفضل إشراك الوالدين في برامج أولادهم، باتت نوادي الفتيان والفتيات باعثا على تقوية الروابط العائلية. ففي المنطقة الجنوبية الوسطى من لوس أنجلس، الموبوءة بالمخدرات والعنف، يتبرع الآباء والأمهات بأربع ساعات من وقتهم شهريا للمساعدة في أعمال نادي "تشالنجر" للفتيان والفتيات. يقول مدير العمليات كارل ريد: "يعيش معظم الأولاد مع أحد الوالدين في المنزل. فماذا يحصل عندما تشارك الأم في نشاطات ابنها أو ابنتها؟ يحصل

تقارب بين الأم وولدها ويتحسن بالتالي وضع البيت.

المساهمة في إحياء المجتمع. عندما تسير في بعض شوارع نيوارك تطالعك أكوام القمامة والجدران المكسوة بالشعارات وواجهات المتاجر المكتظة بالبضائع. في هذه المدينة يعيش ثلث الأهالي في فقر مدقع، ويُولد خُمس الأطفال لأمهات مراهقات وسط استشراء آفتي المخدرات والجريمة. ولكن خلف هذه الاحصاءات المروعة تنشط آمال لافتة.

ذات يوم جلس ١٥ صبياً وفتاة في الثامنة والتاسعة من العمر في احدى غرف الدراسة بنادي "سنترال ورد" يصغون الى شرح معلمتهم إليانور غاتلنغ للقيم والأخلاق: "أنتم جزء من نظام الشرف في المدرسة. فإن ضبتم تسرقون أو تغشون، فماذا يحصل؟"

أجاب الأولاد بصوت واحد: "نُطرد من المدرسة."

– وإن كنتم في امتحان وأراد أحد الاصدقاء الاطلاع على أجوبتكم، فماذا تفعلون؟

"نرفض."

– والآن اتلوا قَسَم التأهب.

فنهض التلاميذ ورددوا معاً: "أقسم أن أبذل قصارى جهدي لأكون الأفضل. وأن أفعل وسعي كي أستحق أن أقول إني متأهب وإني في طريقي الى الفلاح."

الى هؤلاء هناك ٤٠٠ ولد مسجلون في "برنامج التأهب" الذي يؤمن الارشاد المدرسي المكثف للتلاميذ المستحقين ويستهدف تأهيلهم الى المساهمة في إحياء مجتمعاتهم. يقتضي هذا البرنامج تمضية أربع ساعات أسبوعيا في النادي خلال فصول الدراسة (وخمسة نهارات كاملة في الاسبوع في الصيف) لممارسة مفاهيم معينة بينها دروس في الأخلاق والقيم وإدارة الأعمال والسلوك الاجتماعي وقواعد الانكليزية.

فإن نجحوا وأنهوا المرحلة الثانوية تُلحقهم "مؤسسة التأهب" بالجامعات وتقدم اليهم بعد أربع سنوات اسهماً في شركات تملكها.

ويدعم هذه المؤسسة راي تشامبرز وهو رجل أعمال وافر الثراء نشأ في نيوارك وأحب أن يعبر لأهلها عن عرفانه بالجميل. وذات يوم من ١٩٨٥ اتصل بالرئيس التنفيذي لنوادي الفتيان في نيوارك وقال له: "إن تيسر لك مبلغ كبير من المال، فهل تستطيع إرساء قواعد برنامج يرفع من شأن الأولاد ويضعهم في ركب الحياة؟"

تقول باتريشيا بريانت التي انضمت ابنتها لازا (١٠ أعوام) الى البرنامج قبل ثلاث سنوات وأصبحت اليوم من المتفوقين دراسياً: "من الصعب الكف عن الثناء على هذه المؤسسة لما فعلته من أجلنا."

"الفضل لجميلة." طفل يحتاج الى مساعدة، وراشد يكرس وقته لمساعدته على تنمية قدراته الكاملة. هذه علاقة شخصية بالغة الأثر.

في العام ١٩٨٣ كان أنطوني أريلانس (١٠ أعوام) يتعاطى المخدرات. وقبض عليه لتسببه في أضرار بقيمة ٥٠٠٠ دولار خلال زيارته نادي "غابل" للفتيان والفتيات في فينكس حيث أقدم على عمل تخريبي متعمد. وهو قال لاحقا: "ألقيت قنبلة دخانية في المرحاض ثم خربت المكان وهربت."

وواجهته مديرة الفرع جميلة بورصلي، فأنكر أنطوني علاقته بالحادث. لكنها أصرت على اتهامه قائلة: "نحن نعرف تماما أنك الفاعل. ولك أن تختار بين الانضمام الى النادي والحضور إليه يوميا، ودخول السجن."

في اليوم التالي حضر أنطوني الى النادي غير هياب. بيد أن جميلة شعرت بأن في حناياه "صوتا صارخا يطلب المساعدة." فقد توفي والده بعد إصابته بجروح وهو يحاول الهرب من السجن. أما والدته فكانت تعمل ١٤ ساعة في اليوم بحيث لم يتسنَّ لها وقت كاف للعناية بأولادها الثلاثة.

حددت جميلة الشروط، وأولها إلزام أنطوني العمل ساعات تعادل ما ضيَّعه أعضاء النادي من وقت بسبب "مزحته" الثقيلة.

يقول أنطوني: "لم احب النادي أبدا، وكرهت جميلة." ولكن حيَّره أنها لا تبادله الكراهية.

واستقام أنطوني تدريجا، وأبدى رغبة في العمل المسرحي فانضم الى فريق النادي الذي أتاح له التمثيل في عملين. وبعد فترة تلقت جميلة مكالمة من وكيل يطلب فتيانا لاعلان تجاري. فشارك أنطوني في الاعلان وكسب ٣٠٠ دولار.

وأخذ يشارك في نشاطات النادي ممارسا البيسبول (كرة القاعدة) وكرة السلة، الى أن انتخب قائداً للفريقين. ثم انضم الى فريق تنظيم الحفلات الخطابية ودعي الى إلقاء خطبة في الحفلة السنوية لاتحاد كرة القدم في غرين باي. وانتخب رئيسا لـ"نادي القادة" ثم نال منحة دراسية كاملة للالتحاق بكلية بروفي وهي واحدة من أكثر المؤسسات التربوية صرامة في الولاية.

وفي العام ١٩٨٩ منحته نوادي الفتيان والفتيات في فينكس لقب "فتى السنة." وبعد شهر نال اللقب ذاته من الولاية. وفي سبتمبر (ايلول) ١٩٨٩ قابل الرئيس الأمريكي جورج بوش بصفته "رجل السنة" في منطقة الباسيفيك.

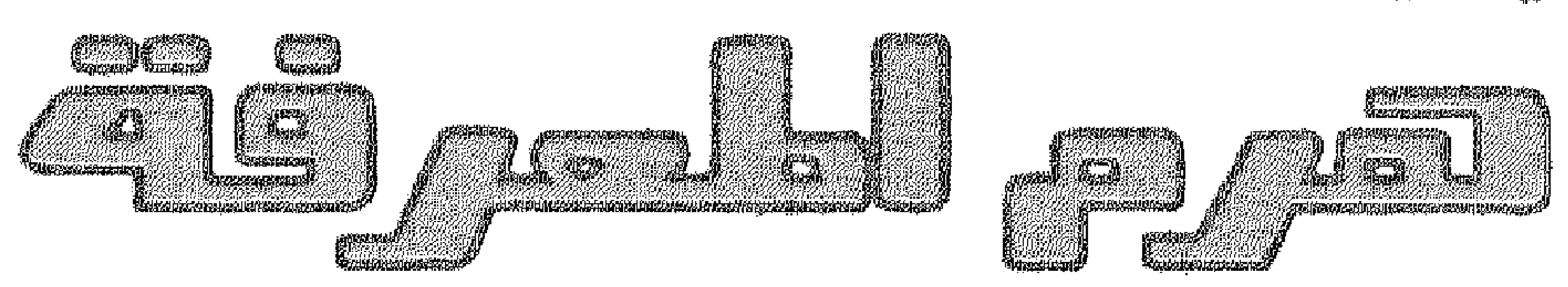
وقد عقد أنطوني العزم على الالتحاق بجامعة نوتردام لدراسة المحاماة. فهل الفضل في ذلك كله لجميلة التي سددت خطاه؟ يقول مبتسما: "بالتأكيد. لم أدرك سابقا أني الفتى الذي هو أنا. جميلة أدركت ما لم أدركه، كذلك أعضاء النادي. ولولاهم جميعا لما حققت ما حققته من نجاح."

تريفور أرمبرستر ■

لماذا يعتبر أولادنا نصيحتنا غبيّة الى ان تاتيهم من احد اصدقائهم؟

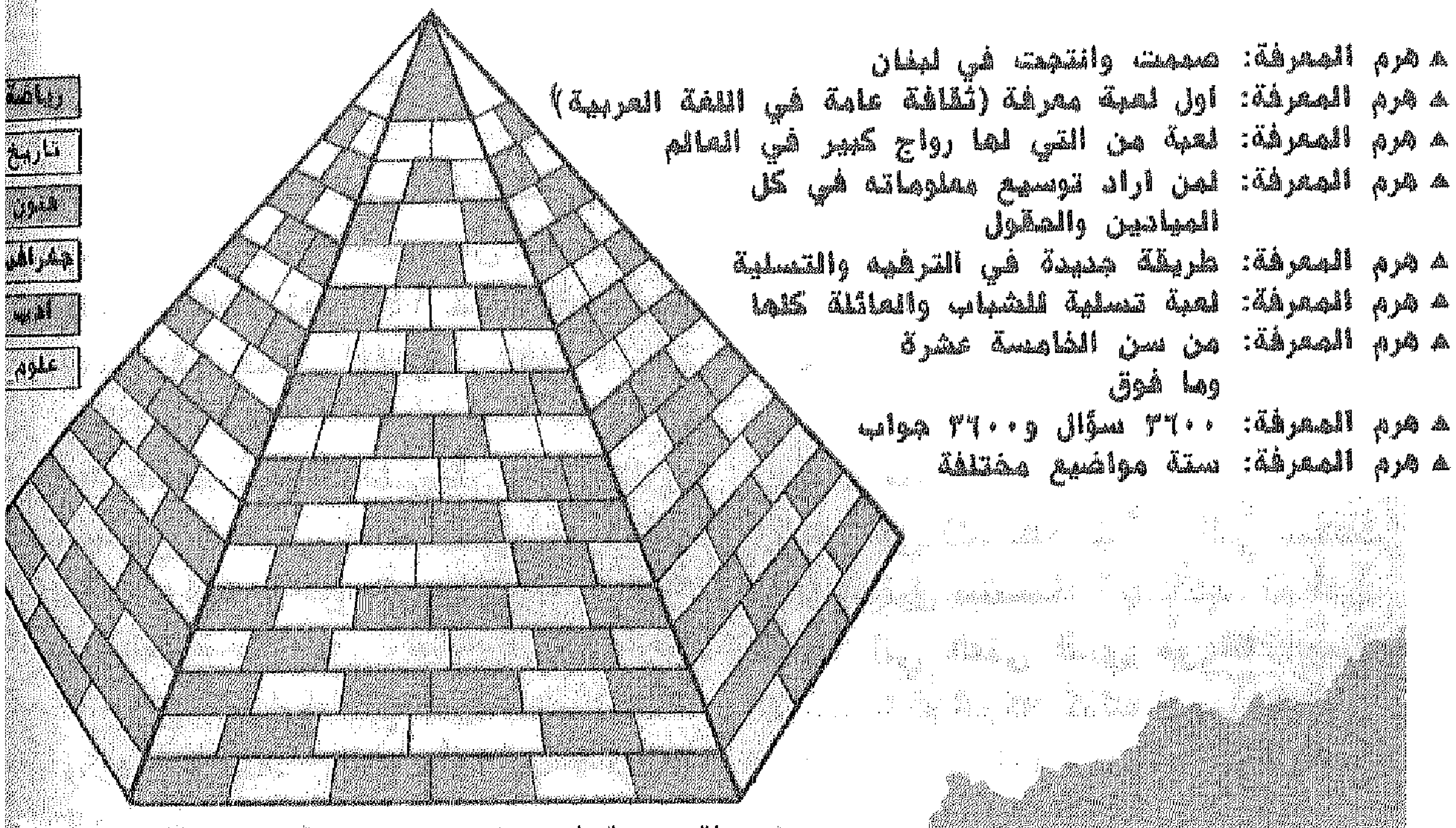
د.ل.

لعبة التحدي في الثقافة والمعلومات



لعبة عربية تثقيفية مشو

- هرم المعرفة: صممت وانتجت في لبنان
- هرم المعرفة: اول لعبة معرفة (ثقافة عامة في اللغة العربية)
- هرم المعرفة: لعبة من التي لها رواج كبير في العالم
- هرم المعرفة: لمن اراد توسيع معلوماته في كل الميادين والحقول
- هرم المعرفة: طريقة جديدة في الترفيه والتسلية
- هرم المعرفة: لعبة تسلية للشباب والعائلة كلها
- هرم المعرفة: من سن الخامسة عشرة وما فوق
- هرم المعرفة: ٣٦٠٠ سؤال و٣٦٠٠ جواب
- هرم المعرفة: ستة مواضيع مختلفة



كتاب الشهر

المهرب الكبير

بقلم
لورنس إليوت

المهرّب الكبير

تميز ستانلي إسر بحضور لافت. فهو طويل القامة، بهيّ الطلعة، أنيق، وأب لولدين، يتكلّم تسع لغات ويقطن في حي راقٍ في بلدة هولندية صغيرة.

لكن إسر عاش خارج حدود القانون، اذ كان أكبر تجار الحشيشة في أوروبا، يدير شبكة من الشركاء والممونين تمتد من أمريكا الجنوبية الى باكستان. وهو نعم بحياة مترفة لعجز الشرطة عن اثبات خرقه القانون، الى أن أتى يوم تعرّف الى عميل سرّي شجاع وعنيد يدعى جاك شورت. وعندما حانت الفرصة المناسبة، نجحت جهود شورت ورفقائه في الايقاع باسر.



الجمعة ٢١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٦. لقد شارفت المحاكمة نهايتها بعدما دامت يومين، وهو وقت طويل في الاعراف الهولندية. لم تشهد بلدة ألكمار في شمال هولندا عرضاً يضاهي تلك المحاكمة، اذ عجت القاعة بالحاضرين وتنوّع الشهود من عملاء في المديرية الامريكية لمكافحة المخدرات الى أفراد كبار وصغار في منظمات الاجرام الدولية. وضجت الشهادات بأسماء مطاعم ذائعة الشهرة ومخبرين سريين وتقارير تنصّت على المكالمات الهاتفية وصفقات مخدرات بملايين الدولارات.

المدعى عليه ستانلي إسر مهرّب حشيشة عاش حياة مترفة معتمداً على دخله من تجارة المخدر. وهو لا ينكر ذلك، اذ قال لي يوماً: "أنا ألبي حاجة ماسة، وسوف يدرك متهميَّ يوماً أن جل ما فعلته هو توفير المتعة للناس."

الجميع يحبّ إسر الذي يدعوه أصدقاؤه كارلوس، فهو حسن الطباع صريح ومعروف في معظم مقاهي أمستردام وحاناتها. ويبدو كأنه بعيد عن متناول العدالة. وحتى الآن، وهو ماثل للمحاكمة لابساً سترته الزرقاء الفاخرة، يعلم الجميع أنه لن يلبث أن يغادر السجن بعد سنة في سيارته المرسيدس الفخمة اذا لم تثبت عليه تهمة غير تجارة الحشيشة. فهكذا هي الحال في هولندا. ويصل مبيع إسر من الحشيشة فقط الى أربعين طناً في السنة، تدر عليه ما بين ٦٠ و٧٠ مليون غيلدر هولندي (بين ٣١ و٣٧ مليون دولار).

لكن التهم الموجهة الى الرجل أخطر من تلك بكثير. وهو محتجز منذ اعتقاله قبل ١١ شهراً، ولم يطلق بكفالة. وأخطر التهم الموجهة اليه محاولة تصدير ١٠٠ كيلوغرام من الهيروبين الى الولايات المتحدة، وهي ربما بحجم أكبر كمية من الهيروبين صودرت في تلك البلاد. ويدعو النائب العام إسر "مدير شبكة دولية للمخدرات" ويذكّر المحكمة بالارباح الطائلة لتلك التجارة.

النائب العام إدوارد ف. بوينو شاب يضفي عليه الرداء الاسود التقليدي ملامح الجدّ. وتلفتك في صوته نبرة ملحة إذ يسرد استنتاجاته عاكساً ادراكاً مفاجئاً بأن ساعة الحقيقة دقت.

فهذه القضية حدث فاصل. فللايقاع بالمتهم تعاونت السلطات الهولندية في مقاطعة ألكمار مع الامريكيين للمرة الاولى وعلى نطاق واسع. فهل يسمح القضاة بذلك، أم سيعتبرون الاجراءات الامريكية في مكافحة المخدرات - كاعتماد العملاء السريين مثلاً - انتهاكاً للمفاهيم القانونية الهولندية؟ هذا ما سيرضي كثيرين في هولندا يؤكدون أن هناك ما هو أسوأ من الحشيشة ويعتبرون أن اختيار الناس تعاطي ذلك المخدر أمر لا يعني السلطات.

ووقفت محامية الدفاع، وهي شابة هيفاء اسمها أديل فان در بلاس، وقارعت حجة النائب العام منطلقة من أن استخدام عميل أمريكي سرّي للتسلل الى منظمة إسر يتعارض والعرف القانوني الهولندي، وطالبت باسقاط تهمة الاتجار بالهيروبين كلياً لأن "السيد جاك شورت احتال على موكلي وجرّه وأوقع به."

نظرتُ عبر القاعة الى جاك شورت، وكان جالساً يتصفح بعض الاوراق. إنه رجل ناحل هادىء في عقده الخامس، شعره بني مائل الى الاحمرار وعيناه زرقاوان. ولا يوحي شكله أنه عميل لمديرية مكافحة المخدرات ولا أنه مروّج مخدّرات خطير كما ادّعى.

وقد قال لي إسر: "لم أفاجأ يوماً كما فوجئت لدى اكتشافي أن جاك شرطي."

وأضاف أنه يتفهم قيام شورت بواجبه ولا يضمر له شراً. لكن شورت يشك في هذا الكلام. فبينما كان يدلي بشهادته في جلسة سابقة لمح رجلا ضخم الجثة جالساً في

الصف الخلفي. وكلما نظر اليه كان الرجل يجمع قبضته تحت أذنه اليسرى ويمد ابهامه ويمررها على رقبته. وهذه اشارة لا تقتضي تفسيراً.

وسرعان ما أعلن رئيس القضاة أن الحكم سيقرر بروية ثم يعلن بعد أسبوعين. لكنه سأل المدّعى عليه هل يريد أن يقول شيئاً قبل رفع الجلسة.

وقف ستانلي إسر بثقة، وهو طويل القامة قوي البنية ذو لحية قصيرة أنيقة وبشرة سمراء. لم ينكر تهمة تجارة الحشيشة الموجهة اليه، وهو غير آسف فهذه طريقته في العيش. وأضاف: "أنا نادم فقط لأني لم أمضِ في طريقي عندما بدأ جاك شورت الكلام على الكوكايين والهيروويين."

واعتبر إسر المحاكمة عادلة، وأعلن استعداده لقبول قرار المحكمة. لكنه ألمح الى ان النائب العام ربما بالغ في اتهاماته، وأضاف: "حاولت تصدير الحشيشة، وهو الآن يحاول تصديري."

حتى بوينو ابتسم لسماع ذلك.

إسر: "قبل سنوات كانت أمي تجبرني على غسل فمي بماء مالح عندما أكذب. وما زلت أكذب من حين الى آخر. ومن يعلم؟ ربما نجحت هذه الطريقة مع النائب العام. ولو أنّ أمي في قاعة المحكمة اليوم، لنصحته بتجربتها."

وتلفّت إسر حوله مزهواً لكسبه عطف مزيد من الحضور. ثم غادر قاعة المحكمة ملوحاً بيده لاصدقائه وهو يتبع شرطياً الى زنزانته.

مخبر سري

تعيِّن المديرية الامريكية لمكافحة المخدرات عملاء لها في السفارات الامريكية لدى الدول التي تعاني مشاكل تتعلق بالمخدرات وبتصدير هذه المواد الى الولايات المتحدة. ويعمل هؤلاء بالتنسيق مع الدول المضيفة عبر تبادل المعلومات والتعاون بين رجال المباحث متى دعت الحاجة. وقد مضى على وجودهم في هولندا أكثر من عشر سنين. وعندما عُيِّن باتريك مولر هناك في ربيع ١٩٨٤ بات واحداً من أربعة أمريكيين يعملون انطلاقاً من مدينة لاهاي.

مولر: "خلال ستة أشهر من اقامتي هنا سمعت بكل الأسماء ذات العلاقة بتجارة المخدرات. لكن الاسم الذي تردد باستمرار هو ستانلي إسر. وبدا على علاقة بكل المتاجرين بالمخدرات هنا، وليس بتجار الحشيشة فقط. وتكلمت الى الشرطيين المتمرسين بقضايا المخدرات الذين ابدوا ارتيابهم الشديد في تورطه في تجارة الكوكايين والهيروويين. فسألتهم: لماذا لا نلاحق هذا الرجل؟"

لكن مولر لم يلقَ أي تشجيع، بل توالت عليه أخبار المحاولات الفاشلة لسوق إسر الى المحكمة والتي تعود الى عشر سنين. فهو ليس بمحتال عادي، بل تقني ماهر يتكلم

تسع لغات وما يكفي من العربية لمساومة مزوديه اللبنانيين. وفي حين كان المهرّبون الآخرون ما زالوا يعتمدون الوسائل القديمة في التهريب بواسطة المسافرين والتي تنطوي على كثير من المحاذير، كان إسر يملك أسطولا بحرياً وقوافل من الشاحنات تنقل رزم الحشيشة المموّهة تحت ستار بضائع مشروعة من سجاد وفاكهة مجففة.

ومع أن السلطات كانت على علم بكل هذه التجاوزات فلم يستطع أي عميل سري الاقتراب من إسر، وكأن لدى الرجل حاسّة شم تكشف كل رقابة. وكان يقود سيارته بسرعة فائقة يتعذّر معها ادراكه، كما أنه لم يتفوّه على الهاتف بأي عبارة قد تلصق به تهمة التهريب.

مولر: "تكلمت الى نحو خمسين محققاً حاولوا ضبط إسر في وقت ما. وبدا لي أنه طبع صورة أسطورية في عيونهم هي صورة الرجل الذي يستحيل القبض عليه."

ومولر ابن شرطي. وهو تخصص بتعليم الموسيقى قبل أن يكتشف دعوته الحقيقية. أما اليوم فهو يلقب "شرطي الشرطة" ويرفض فكرة المجرم الذي يتعذر القبض عليه. وأخذ قضية إسر على عاتقه كأنها مهمّة شخصية، وكان دائما يقول للسلطات الهولندية: "هذا الرجل مطلوب في ثلاثة بلدان، وهو مجرم خطير. فكيف السبيل الى الايقاع به؟"

لكن الهولنديين، وقد أخفقت كل محاولاتهم للقبض عليه، لم يتجاوبوا وطرحه. وذات يوم من خريف ١٩٨٤ تلقى مولر معلومات من مخبر سري أمريكي. وكان المخبر تعرّف لتوّه الى تاجر حشيشة يدعى أنطونيوس كونينغز زعم أنه يمثل منظمة عملاقة ترغب في التعامل مع زبائن أمريكيين، وسأله هل يعرف أحداً منهم. فوعده المخبر بأن يستوضح ذلك، وعاد بالأنباء الى مولر سائلا اياه عن الخطوة التالية. فأتاه الرد على الفور: "أخبر كونينغز أن لديك زبائن، وأنهم يريدون الاجتماع برئيسه الأعلى لأنهم يطلبون كميات ضخمة ويودّون التأكد من قدرة جماعته على تنفيذ العملية."

لم يبدُ على مولر أنه تأثر بالنبأ على رغم أهميته. فقد كان أنطونيوس كونينغز أحد مساعدي ستانلي إسر. والمخبر جيري فيرغسون عميل سري تابع لمديرية مكافحة المخدرات. يبدو أن الطريق المسدود الى إسر بات سالكاً.

نبع المال

ولد ستانلي كاريل إسر في ١٥ مارس (آذار) ١٩٤٣ في كوراساو كبرى جزر الأنتيل الهولندية المنتشرة في جنوب البحر الكاريبي. وهو الابن البكر لعائلة مترابطة، وله أربعة أخوة. وقد بنى أبوه الآمال على أولاده الخمسة، أما طموحاته الكبيرة فبناها على ابنه البكر السريع البديهة والمليء بالحيوية والفضول.

إسر: "عندما كنت ولداً أمشي الى جانب أمي كنت أتوقف لدى رؤيتي صحيفة في الشارع وأقرأها. وما زالت هذه العادة ترافقني، فأنا أقرأ كل ما يقع بين يدي، بما في ذلك دليل الهاتف."

عندما بلغ إسر الثانية عشرة هاجر الى هولندا حيث يتمتع مواطنوه بالحقوق الكاملة للمواطن الهولندي. وهناك التحق بمدرسة ولمع كتلميذ خارق الذكاء. لكنه ما لبث أن انقطع عن الدراسة في السن السابعة عشرة. وبعد سنة دخل السجن للمرة الاولى، لا لسرقة ارتكبها مع انه فعل ذلك، بل لرفضه الخدمة العسكرية.

إسر: "يمكنني الادعاء أنها كانت قضية مبدأ وأنني ضد الحرب والجيوش وما الى ذلك. لكن الحقيقة هي أنني لم أشأ أن يملي علي أحد أوامره."

ومكث في السجن أربعة أشهر ثمَّ خرج الى الدنيا بعينين جديدتين. رأى مالا وفيراً حوله وهو لا يملك منه شيئاً. وعمل في لاهاي في متجر للخرق البالية. ثم انخرط في عصابة للسرقة سرّها التحاقه بها لأنه جريء ولا يحتاج الى من يلقنه الأمر مرتين. وسرعان ما مشى مختالا وفي جيبه كدسة من الاوراق النقدية وهو لم يتجاوز الثامنة عشرة. وفي السنة ذاتها (١٩٦١) وقع في حب شقراء فاتنة اسمها هيلينا بوت. وهي أنجبت له ابناً وابنة. لكنه لم يلبث أن عاد الى السجن لنهبه مصرفاً. وفي سجن هارلم بدأت "دراسته العليا." فهناك شحذ ذكاؤه الفطري وتعرف الى طرق أصحاب السوابق والمحتالين. وكان السجن بالنسبة اليه فترة فاصلة أراد اجتيازها بأكبر مقدار من المعرفة وبأقل ضرر ممكن. واختارته سلطات السجن نموذجا لما تحاول انجازه خلف القضبان. فتابع مقرراً تعليمياً مهنياً مدة ثلاث سنوات وحصل بموجبه على شهادة في الالكترونيات. وخفض الحكم عليه عشرين شهراً، لحسن سلوكه، وأفرج عنه.

وكان العام ١٩٦٩ نقطة التحول الحقيقية الأخيرة في حياة ستانلي إسر. فهو في فترة ارتباك وضياع. لديه طفلان لا يعرفانه، وهيلينا لا تريد الرجوع الى عيشتهما القديمة وتطلب منه البحث عن عمل ثابت.

إسر: "حاولت البحث عن عمل ثابت. وربما أجريت ٣٥ مقابلة في الأشهر الستة التالية. والاشخاص الذين قابلتهم كانوا دائماً لطفاء، وأنا أكيد من أن بعضهم أراد توظيفي. لكن نهب مصرف ليس جرماً بسيطاً، كما تعلمون. والعروض التي تلقيتها لم تستحق عناء التفكير في قبولها."

وانساق إسر مجدداً الى أصدقائه القدامى وسبلهم المنحرفة. وأعال أسرته بغنائم من جرائم مختلفة، كنهب الشاحنات والتزوير وتهريب السجائر الامريكية. وعلمه الامريكيون الانكليزية. وكان قضى خمسة أشهر في سجن الماني غربي حيث المّ بالألمانية. ثم أمضى سنة في سجن فرنسي فتعلم الفرنسية. وهو قال مبتسماً: "السجن مقرَّر تعليمي مكثّف." وسرعان ما تعلَّم الإيطالية على ذاته.

وحيثما ذهب كان يطرح أسئلة. وقد أحب الناس التحدث اليه فكانوا يخبرونه بكلّ ما يود معرفته. وما ود معرفته في نهاية الأمر كان سبب اهداره الوقت في نهب الشاحنات وتهريب السجائر بينما المصدر الحقيقي للمال هو المخدرات.

مهمة صعبة

صباح الجمعة ٢٦ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٤ عقد اجتماع في بناء يقع في الوسط التجاري لبلدة ألكمار حيث مكاتب شرطة المقاطعة. وفي كبرى غرف البناء اجتمع باتريك مولر، ممثلا المديرية الامريكية لمكافحة المخدرات، بعناصر من مكتب التحقيق الجنائي الهولندي وبعدد من ضباط الشرطة في مدينة أمستردام ومقاطعة ألكمار. وكان بين الحاضرين أيضاً النائب العام في المقاطعة إدوارد ف. بوينو.

هذه المرة أخذ حديث مولر منحى مختلفاً. فهناك فرصة سانحة، كما قال، لادخال أحد العملاء السريين الى منظمة إسر بصفة شار يفاوض في شحنة ضخمة من الحشيشة ينوي تهريبها الى الولايات المتحدة. وهذه الخطة، في حال نجاحها، تؤمن كل الأدلة الضرورية لمقاضاة إسر، اضافة الى معلومات قيّمة حول نشاطات عصابات تجارة المخدرات في هولندا.

مولر: "لقد وُفق إسر في تموين السوق الاوروبية بالحشيشة الى حد الاغراق. ولديه الآن، كما نعتقد، نحو ٢٠ طناً من الحشيشة مخبأة في منطقة روتردام. وعلينا نحن أن نكون زبائنه الامريكيين، وإلا بحث عن زبائن حقيقيين."

مرة جديدة عُدِّدت لمولر كل العقبات التي تعرقل التحقيق في أمر إسر. لكنّه حذر المجتمعين من أنهم إن لم يحاولوا فلن يصلوا الى أي نتيجة. وهل من خسارة في المحاولة؟ ذكرهم بمئات ملايين الغيلدرات التي يخسرها الاقتصاد الهولندي سنوياً ثمناً للمخدرات، والتي تتحول أرباحها الى حسابات سرية في المصارف السويسرية.

ثم انتقل النقاش الى تحديد السلطة القضائية التي ستتولى التحقيق. فبموجب القانون الهولندي لا يمكن تسليم إسر الى حكومة أخرى. وهو يحرص منذ مدة على عدم مغادرة البلاد طوعاً. وقد لمَّح مولر الى أنه إن أقدم على ذلك فلن تتردد الولايات المتحدة في السعي الى اعتقاله وتسليمه الى حكومته. أما في الوقت الحاضر، فان المديرية الامريكية لمكافحة المخدرات مستعدة للتعاون مع أي سلطة أمنية هولندية من أجل مقاضاة إسر في هولندا.

ولكن أي السلطات ستتولى المهمة؟

هنا تحولت الأعين نحو قسم التحقيق الجنائي في مقاطعة ألكمار والنائب العام بوينو الذي سيتولى فعلا ادارة هذه المهمة. وبلدة ألكمار الواقعة على بعد ٣٢ كيلومتراً من شمال أمستردام اشتهرت كسوق للأجبان، وهي الآن موضع اهتمام شخصي من

ستانلي إسر، فهو يملك منزلا بقيمة مليون غيلدر (٥٢٠ ألف دولار) في بلدة ليمن المجاورة وتروج اشاعة أنه ينوي شراء مطعم فخم هناك.

كان بوينو على أتم الاستعداد لتولي القضية، لكنه علم أن المهمة غير ممكنة من دون عون الامريكيين، كذلك خشي من أن يؤثر الوجود الامريكي سلباً في نتائج التحقيق. فاستخدام مخبرين وعملاء سريين لممارسة غير مضمونة النتائج قانونيا في هولندا، والقوانين المتعلقة بالإيقاع في الاشراك واضحة وصريحة.

مولر: **"أخبرته أننا مستعدون لاتباع الطرق الهولندية، لأن الوسائل الاخرى غير مجدية. فإذا تعذر إرسال إسر الى الولايات المتحدة، توجب علينا أن نجمع الأدلة بالوسائل المقبولة في المحاكم الهولندية وإلا ضاع تعبنا."**

تصافح المجتمعون وغادروا المكان وفي وجوههم سيماء من ألزموا أنفسهم مهمة صعبة. وبعد أسبوع تلقى مولر من السلطات الهولندية اذنا بمباشرة مهماته.

أربع عيون فقط!

التقى العميل السري الامريكي جيري فيرغسون إسر في روتردام يوم الجمعة ٢١ ديسمبر (كانون الاول) في مكاتب شركة "آركا بروموشنز" وهي واجهة تجرى خلفها عمليات تمويه الاموال المستخدمة في تجارة المخدرات. وقد أعدَّ أنطونيوس كونينغز لهذا الاجتماع بناء على رغبة فيرغسون.

بعيد الثانية عشرة ظهراً دخل إسر حاملا كيساً بلاستيكياً أخرج منه رزمتين مغلفتين من الحشيشة ووضعهما على إحدى الطاولات وفضهما. الرزمة الاولى كيلوغرام من الحشيشة الأفغانية (داكنة، باب أول، ثمنها ٣٢٠٠ دولار). والرزمة الثانية كيلوغرام من الحشيشة اللبنانية (سمراء، متوسطة الجودة، ١٤٠٠ دولار). فسأله فيرغسون مذهولا: "ألا تخشى السير في شوارع المدينة وأنت تحمل هذه الكمية من الحشيشة؟"

فأجابه إسر ضاحكا: "في هولندا؟ إذا أوقفني شرطي، يكفي أن أقول له إنها لاستعمالي الشخصي."

ثم انتقلا الى مناقشة الصفقة فأعلن إسر قدرته على تسليم خمسة أطنان شهرياً من أي خليط، موضبة على نحو يمنع الكلاب من اكتشافها. أما الشحنة فتوجه الى شركة أمريكية معروفة، ويتم الدفع نقداً أو بواسطة كتاب اعتماد أو تحويل مصرفي. ويدفع نصف المبلغ عربوناً والنصف الباقي لدى التسليم. ثم سأل فيرغسون عن الكمية التي يطلبها، فأجابه وقد توقع هذا السؤال: "إسمع، لقد أعلمت صديقك أنطونيوس بأن مهمّتي تقتصر على مقابلة المزوِّد وتخمين البضاعة. أما القرارات فيأخذها شريكي جاك في شأن الكمية المطلوبة والسعر المنوي دفعه. وهو مستعد

للقدوم الى هولندا ساعة تشاء للاجتماع بك واتمام الصفقة."

أنعم إسر النظر الى فيرغسون ثمَّ قال إن الاجتماع التالي يعقد "تحت نظر أربع عين فقط" فإما فيرغسون واما شريكه، وليس الاثنان معاً. وأضاف أن استمراره في تجارته هذه المدة الطويلة يعود الى حذره والى "علاقات" بشرطة أمستردام وروتردام. وهو الآن يتكلَّم الى فيرغسون لأن كونينغز ضمنه، ولكن قبل تسليم أي كمية من الحشيشة فسيتحقق من سجلّي فيرغسون وشريكه. واتفقا على الاجتماع في أواسط يناير (كانون الثاني)، ثمَّ ذهب كل منهما في طريقه.

بحلول يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥ أصبح النقيب فيبي بورسما مسؤولا عن مقاطعة ألكمار. وبطلب من المحكمة وُصلت أسلاك للتنصت على الهاتف في بيت قديم قبالة مركز قيادة الشرطة. وتناوبت فرق من ثلاثة رجال مراقبة اتصالات إسر الهاتفية في حجرة ضيقة في أعلى السلالم لا تكفي مساحة أرضها لجلوس الثلاثة معاً، ولا علّو سقفها لوقوفهم مستقيمين. وكان على هؤلاء أن يقرّروا غير مرة في اليوم الواحد هل سيصغون الى مكالمات مرموزة حول المخدرات أم الى هيلينا تتكلم مع أختها فعلا عن أزهار التوليب.

كانت تلك أطول عملية تنصت متواصلة على الهاتف أجريت في هولندا. واذ كان إسر يستخدم فتنته وماله للحصول على معلومات، مما أحبط التقصيات السابقة، فإن "فريق ألكمار إ" (مختصر إسر) قطع عهداً بالتزام الصمت التام حول القضية.

في هذه الاثناء كان جاك شورت يدرس ملف إسر في نيوارك بولاية نيوجرزي. وهو كان الرجل الثاني في مديرية مكافحة المخدرات هناك، لكنه اعتبر الأوَّل في قسم العمل السري للمنظمة. وقد طلب منه التطوع لهذه المهمة لسببين، اوّلهما أنه خدم في الخارج من قبل وكان يملك جواز سفر وملفاً كاملا باسم جاك شميت، رجل الأعمال الامريكي الذي يملك مصالح في تكساس ونيوجرزي، والثاني أنه يستطيع أن يطلب من إسر شحن الحشيشة الى مرفأ نيوارك حيث يؤمن له مكتب مكافحة المخدرات الذي ينتمي اليه، الدعم اللازم.

وفي يوم اثنين من شهر ديسمبر (كانون الاول) طار جاك شورت سرّاً الى أمستردام حيث قضى يومين في فندق "غولدن توليب" قرب مطار شيبول لاستشارة بات مولر وأحد أعضاء "الفريق إ" حول القوانين والاعراف الهولندية المتعلقة بالإيقاع في الاشراك.

مولر: "نحن نعلم أن الإيقاع بشخص مشتبه به غير مسموح في الولايات المتحدة. فلا يمكنني أن أقول لأحدهم: "إذا وجدت من يؤمّن لي سيارة مرسيدس حديثة الطراز، فأنا مستعد لأن أدفع له مبلغاً كبيراً." هذا يشبه زراعة البزور. إنه إيقاع في شرك. ولكن إذا كنا نعرف أن أحدهم تاجر مخدرات، فنحن لا نتخطى

القانون إن طلبنا منه شراء كمية منها. أما في هولندا، فإن عملا مماثلا يجعلك "عميلا محرِّضاً" يدفع مواطناً الى ارتكاب ما يجرِّمه. كلنا يعلم أن ستانلي إسر هو أكبر تاجر حشيشة في أوروبا، ولكن إن بدأنا عمليتنا بمبادرته قائلين: "نريد شراء بعض الحشيشة" لأجهضنا هذه العملية قبل بدئها."

وسادت لحظة صمت قال بعدها شورت: "حسناً، إننا على أرض ملعبهم، وعلينا التقيد بأنظمتهم في اللعبة."

مهنة خطرة

ثمة نوعان من العملاء السريين. النوع الأوّل ينزل الى الشارع وينجز صفقة شراء بسيطة ثمّ يقبض على التاجر، فلا تستغرق مهمته وقتاً طويلا. أما النوع الثاني فيحدّد هدفاً بعيد المنال وتستغرق مهمته أشهراً على أمل كشف حلقة كبرى لتهريب المخدرات أو مصادرة شحنة كبيرة. ويتعرّض النوع الأول للخطر فترة وجيزة يستريح بعدها الى أن تحين المهمة التالية، بينما يواجه النوع الثاني خطراً دائماً كممثل في مسرح الحياة، اذ ان كلمة قالها أو أمراً فعله قبل أسابيع قد يرتدّان عليه ويكشفانه.

نفذ شورت مهمات من النوعين. فعمل متخفياً في الشوارع وأدار عمليات سرية من مكتبه. وقد أسفرت عملية أشرف عليها في نيوجرزي عن القبض على اثنين من أهم رجال المافيا، كما أدّت عملية أخرى له في المكسيك الى مقاضاة تاجر مخدرات مسؤول عن خطف عميلين لمديرية مكافحة المخدرات وقتلهما. وفي سنة واحدة عمل متخفياً في عشرة بلدان أجنبية.

شورت: "لا أحاول الادعاء أنني عضو في عصابة نيويوركية، لأن أحداً لن يصدّق ذلك. بل أتظاهر بأنني رجل أعمال أمريكي مغامر يدير تجارة كوكايين جانبية تدر عليه مالا وفيراً. وهذا الدور يتطلب ثقة كبيرة بالنفس."

إنه في مكتبه منذ السابعة صباحاً ولمّا يتناول فطوره بعد. إنّها العاشرة إلا ربعاً. يسحب شورت من حزامه مسدسا من عيار ٠،٤٥ ويقفل عليه درج مكتبه. وينزل السلالم الى مقهى حيث يأكل قطعة حلوى وقد بدا الهمّ على وجهه النحيل.

جاك ادوارد شورت أمريكي من الجنوب ولد في ٦ أغسطس (آب) ١٩٤٠، متزوج وله ابنة عمرها خمس سنوات. وهو يقول: "أنا مؤمن بأن كلا منا وُجد على هذه الأرض لهدف معين. ليست لدي أجوبة عن كل الأسئلة، لكنني مقتنع بأن نجاحي في وظيفتي نعمة من الله وتحقيق لمشيئته."

تخصص شورت بعلم الفيزياء وحصل على ماجستير في الرياضيات. ولم يكن أكيداً من العمل الذي يودّ امتهانه، فعيِّن في "المكتب الاتحادي للمخدرات" الذي أصبح في ما بعد "مديرية مكافحة المخدرات." حصل ذلك قبل ١٩ عاماً. أما اليوم، فزملاء

دراسته فيزيائيون ودكاترة يعيشون حياة آمنة مطمئنة تحسدهم عليها زوجته. ومع علمه بذلك فهو لا يستطيع أن يتخيّل نفسه يؤدي أي عمل آخر.

في العام ١٩٧٧ أرسل الى زوجته بطاقة بريدية من مكان ما، يقسم لها فيها أن تلك ستكون مهمته السرية الأخيرة. وهو الآن لا يذكر عدد المهمات السرية التي نفذها منذ ذلك الحين. وكان لكل مهمة عذابها، فمرّة رأت زوجته قتيلا ينتشل من قناة خلف منزلهما في فلوريدا، فاعتبرا ذلك بمثابة تحذير. وفي مرة أخرى أقسم تاجر مخدرات كولومبي على قتل عميل في مديرية مكافحة المخدرات لان هذه زجّت ابنه في السجن. وكانت زوجة شورت تعلم أن العميل المعني هو زوجها.

شورت: "عليّ التعامل جدياً مع هذه التهديدات، لأننا نعلم أن هناك اناساً يُقتلون في عالم تجارة المخدرات. قد لا يكون إسر تعاقد مع أحد لقتلي، لكن أحدهم فعل ذلك، وقد أكدت مصادر أخرى هذا الأمر."

يأخذ شورت فنجان قهوة معه الى مكتبه، لكن جرس الهاتف يرن، وتمر ثلاثون دقيقة قبل أن يتذكر قهوته التي بردت.

ممثلون انيقون

التقى شورت إسر للمرة الاولى يوم السبت ١٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥ في غرفة جيري فيرغسون في فندق "غولدن توليب." وهو قال في ما بعد: "في الثانية الا ثلثا بعد الظهر عرفني فيرغسون الى "كارلوس" إسر على أنني جاك شميت. وللحال عرض علي كارلوس أن يبيعني ٥٠٠ كيلوغرام من الحشيشة. لم أطلب منه ذلك أبداً، بل هو عرض علي البضاعة بملء إرادته. وفي حال شرائي ٥٠٠ كيلوغرام من الحشيشة اللبنانية بسعر ١٤٠٠ دولار الكيلوغرام الواحد، اشترط إسر دفع ٥٠ في المئة من الثمن مقدّما و٥٠ في المئة لدى التسليم. لكنني رفضت عرضه. وبعد مزيد من المفاوضات عرض أن يسلّمني ٥٠٠ كيلوغرام من الحشيشة في الولايات المتحدة من دون دفع مقدّم، وتابعنا التفاوض الى أن قبل بتسليمي، في الولايات المتحدة، الكمية التي أستطيع بيعها."

أعجب إسر برجل الأعمال التكساسي اللطيف الذي ينتعل حذاء بنيّا ملمّعا ويملك شركة إنشاءات في سان انطونيو ورخصة لتأجير السيارات في كامدن بنيوجرزي. لقد كان بعيداً كل البعد عن تجارة المخدرات، ومع ذلك بدا المامه بها واضحاً.

وأظهر شورت إعجابه بكارلوس إسر، إذ كان هذا شهماً في تصرفه ولطيفاً في حديثه، ويهرّب كمية من الحشيشة الى هولندا تصل الى ٤٠ طناً في السنة. ومضى بعد الظهر وهما مسترسلان في الحديث، يتبادلان "النصائح" المستمدة من خبراتهما السابقة في تجارة المخدرات. ومن ثمّ مرّا بجيري فيرغسون واصطحباه لتناول العشاء.

بعد العشاء اصطحب إسر الأمريكيين لمقابلة غيز فان دام، وهو رجل حاد الطبع بادرهما على الفور قائلا إنه شك في أنهما عميلان سريان. فرد شورت بهدوء أنه اذا كان يعرف أياً من تجار الكوكايين الكبار في الولايات المتحدة، فما عليه سوى سؤالهم عن جاك شميت. ثمَّ أضاف أنه مستعد لالغاء الصفقة.

لكنّ إسر لم يتأثر بمخاوف فان دام، بل انه أعار شورت سيارته المرسيدس التي يبلغ ثمنها ٦٠ ألف دولار، ليقودها خلال عطلة نهاية الاسبوع. وعندما التقيا يوم الاثنين عرض عليه أن يبيعه كيلوغرام الحشيشة بـ١٢٠٠ دولار. فوافق شورت على عرضه. لكن إسر ما لبث أن اتصل به بعد بضعة أيام ليقول له إنه، اكراماً له، قرر أن يخفض السعر الى ٩٠٠ دولار الكيلوغرام.

الذراع لاحقا

الحشيشة مادة صمغيّة تستخرج من نبات القنّب ويمكن أن تبلغ قدرتها التخديرية عشرة أضعاف قدرة الماريوانا. تجفّف الحشيشة وتضغط بشكل أرغفة صلبة بسماكة سنتيمتر واحد. وتصل عادة الى شوارع أمستردام ومقاهيها في أكياس سعة الواحد منها خمسة غرامات أو ستة ويباع بـ٢٥ غيلدراً.

وكما في حال السكر، يحدث تدخين الحشيشة هذياناً وتضعف لدى المحشش القوى العقلية وقدرات الحركة الارادية.

ولكن خلافاً للسكران، فإن مدخِّن الحشيشة المنتشي قد يبدو في حال طبيعية. ولا يمنعه أحد من قيادة السيارة أو الذهاب الى العمل، مما أدى الى ازدياد حوادث السير والعمل في البلدان التي يسود فيها تدخين الحشيشة. ومع أن هذا المخدر لا يؤدي الى الادمان، وهي الحجة التي يتمسك بها المدافعون عن تدخين الحشيشة، فإنه سرعان ما يفرض ذاته على مدخنه كرغبة نفسية ملحّة، وتغدو الطريق الى الكوكايين والهيرويين معبّدة، باطمئنان مدخّني الحشيشة الى أنهم محصّنون ضد الادمان!

لكن عدد الذين يتعاطون الحشيشة لا يقل. وهذا هو المؤشر الذي انطلق منه إسر في أواسط السبعينات.

وساعدته علاقاته وخبرته التي اكتسبها من تهريب السجائر. ولم يمض وقت طويل حتى ازدهرت تجارته وبات يدخل كميات متنامية من الحشيشة الى هولندا في الشاحنات والبواخر، من باكستان (حيث يدعى مزوده "عبد الولي") وبعلبك في لبنان حيث ازدهرت زراعة القنّب منذ قرون.

في البداية جال في العالم محاولا الاتصال بالتجار والشارين والمستثمرين. وقبض عليه مرة في سورية. ولكن بحلول الثمانينات أصبحت هذه مسائل من الماضي وبات إسر في قمة تجارته.

يستورد إسر ٤٠ ألف كيلوغرام من الحشيشة سنوياً لتوزيعها في أوروبا وكندا والولايات المتحدة، ويبلغ معدّل الكلفة لديه ٦٠٠ دولار، بما فيه كلفة النقل والنفقات العامة، بينما معدّل سعر المبيع هو ١٢٠٠ دولار، مما يؤمّن لإسر دخلا سنويا يبلغ ٢٥ مليون دولار.

والنفقات العامة لدى إسر قليلة. فمع أنه يقف على قمة مثلّث تجاري فيه من المال ما يعيل ألوف الرجال، فإن إسر لا يدفع أجوراً إلا لحفنة من المساعدين القريبين منه، أمّا الآخرون فيدفع أجورهم بضعة عشر موزعاً رئيسيا قادرون على شراء كميات ضخمة من بضاعته. ويأخذ الهولنديون ربع وارداته، أما البقية فتصدَّر الى الخارج.

وأكبر استثمارات إسر ادخال الحشيشة الى هولندا. فهو يملك ثلاث سفن عابرة للمحيطات وأسطولا من الزوارق السريعة لتفريغ البضائع على شاطىء اسبانيا، حيث تؤمن له ارتباطاته بشرطة الشاطىء تفريغ البضائع بأمان. بعد ذلك تحمَّل الحشيشة في شاحنات ضخمة وتموَّه ببضائع مشروعة وتبدأ رحلتها الى هولندا، حيث تخزن في مستودعات تحت الأرض، أو هكذا يقال، فلا أحد سوى القريبين جداً من إسر رأى هذه المستودعات، فالشارون يتركون شاحناتهم في نقاط التقاء يُتفق عليها، فيقودها رجال إسر الذين يثق بهم الى مستودع ويحمّلونها بالبضائع ثم يعيدونها الى نقطة الالتقاء.

الشرطة لا تستطيع النيل منه. فالتنصت الى هاتفه لا يفيدها بسوى بعض العبارات المرموزة المتعلّقة بالمخدرات أو بتعليمات غير مفهومة للاتصال بهاتف عمومي معيَّن. وفي بعض الأحيان، ترد اشارة الى محطة وقود أو فندق يمكن تحديدهما، ولكن حين تصل الشرطة الى هناك يكون إسر أتى ومضى.

لا أحد يقود سيارة مثله. فلا شيء يردعه، لا شوارع ذات اتجاه واحد ولا ضوء أحمر. وفي الطرق الخالية تقصر سيارات الشرطة عن اللحاق به.

وإن أوقفت شاحناته واكتشفت البضاعة غير المشروعة، فإن السائقين لا يذكرون إسر ولا يفضحون العملية. فكلّهم يدركون أن للوفاء أجراً. فإن هم أدخلوا السجن فلن تعاني عائلاتهم مشاكل مادية. وعندما يخرجون تكون وظائفهم في انتظارهم.

وثمة ارتباط خاص بين إسر ورجل اعمال لبناني يدعى لو شولا*. وهما اشتركا في أربع عمليات، أخفقت ثلاث منها اذ تدخلت الشرطة واشتبكت مع المهربين، فألقيت أطنان من الحشيشة في البحر الابيض المتوسط لتفادي مصادرته، لكن العملية الرابعة درّت عليهما أرباحاً وافرة عوضت جميع الخسائر السابقة. الا أن تجارة المخدرات محفوفة بالمخاطر. وقد خسر شولا شحنتين كبيرتين من الحشيشة في عمليتين نفذهما بمفرده، فغرق في الديون. وعندما عجز عن الدفع لمزوِّديه اللبنانيين، خطفوا والده

(*) بطلب من مديرية مكافحة المخدرات، لو شولا اسم مستعار لحماية المخبر.

وأخته وأخاه، وقطعوا اصبعاً من يد أخيه وأرسلوها اليه في البريد مع رسالة جاء فيها: "ستأتيكم الذراع لاحقاً."

إسر: "أتى شولا لمقابلتي، فرأيت أمامي رجلا يائساً. ولم أفكر في الأمر مرّتين، بل جمعت له مليوناً وثلاثمئة ألف دولار. هكذا تُعامل شخصاً تعرفه. وهو دفع المال لمزوديه فأفرجوا عن عائلته. ثم تصافحنا وذهب لو في سبيله."

في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥، بعد مرور ثلاثة أشهر على بدء استقصاء أمر إسر، اتصل به لو شولا هاتفياً من باريس وأخبره أنه أمضى السنوات القليلة الماضية في الولايات المتحدة وأنه يعمل حالياً مع شريك جديد هو مايك فولز، وعرض عليه التعاون مجدداً. فوافق إسر على الفور إذ كان سعيداً لسماع أخبار صديق قديم، مع أنه لم يسمع باسم فولز من قبل. فلا شكّ في أن شولا يحسن اختيار شركائه. لكن ذلك لم يثنِه عن أخذ احتياطات أولية، فعندما وصل فولز برفقة شولا الى أمستردام بعد أسبوع، كان بانتظارهما في المطار مصور وقف بعيداً وأخذ عدداً من الصور الأمامية والجانبية لوجه فولز مستخدماً عدسة مقرِّبة. وسرعان ما وُزعت نسخ عن الصور على المتعاملين بتجارة المخدرات الذين يستطيعون التعرف الى وجه مخبر سري. وفي اليوم التالي عرض إسر على زائريه عينات من الحشيشة في غرفتهما في الفندق.

وسأله فولز هل يستطيع تأمين ٢٠ طناً. وأخبرني إسر في ما بعد: "بالطبع أستطيع تأمين ٢٠ طناً حتى لو لم أكن أملكها. أسلّمه ما لدي وآتي بالبقية من تجار آخرين. فكلمتي مسموعة في هذا المكان."

كانت بنية مايك فولز شبيهة ببنية لاعب كرة قدم محترف، وشخصيته تتلاءم وبنيته. ورأى إسر أنه يبثّ "ذبذبات" صامتة تشير جميعها الى أنه شرطي. ولكن كيف يرتكب صديقه شولا مثل هذا الخطأ؟

- وبعد تمرير الصور وورود التقارير التي تنفي عن فولز تهمة "الشرطي" ارتاح إسر قليلاً وأخبر فولز أنه يستطيع تأمين ٢٠ طناً. وخرجوا جميعاً لتناول العشاء. وهم تكلّموا أولاً عن الحشيشة ثم عن الكوكايين.

قال إسر إن صديقاً له في أمريكا الجنوبية يدير تجارة واسعة للكوكايين ويستطيع مساعدتهم. وأبدى فولز اهتمامه، لكن صفارات الخطر انطلقت مجدداً في دماغ إسر. وعندما خرج فولز ليغسل يديه أمسك شولا من ذراعه وجذبه اليه.

إسر: "قلت له: "إسمع يا لو، علمت انك واجهت مشاكل مع الشرطة. أريد أن أعلم ما اذا كان هذا الرجل شرطياً. فاذا كان كذلك وأنت ترافقه لأن لا خيار لديك، اخبرني الآن وأنا كفيل بمساعدتك كما فعلت من قبل. ولكن أقسم لي بأن هذا الرجل ليس شرطياً." وقد أقسم لي قائلا: "لا يا كارلوس، انه ليس بشرطي. أقسم لك بأمي."

لكنه كان شرطياً. واسمه الحقيقي مايك بافليك. وقد بات لو شولا مخبراً لديه.

لو شولا ابن عائلة لبنانية موسرة. كان يتلقى العلوم في معهد خاص، ثم هاجر الى كندا حيث فتح مطعماً للوجبات السريعة في مونتريال بأموال حصل عليها من والده. وكان النجاح حليفه. فهو انتسب الى جامعة مونتريال، وتزوج، وحصل على اجازة للمطعم الأول ثمَّ افتتح مطعماً ثانياً. وقبل أن يبلغ الخامسة والعشرين من عمره كان لديه مال كثير في المصرف وبات قريباً من رجال أعمال مهمين. وأتاه أحدهم يوماً يطلب ٥٠ ألف دولار قائلا: "لا تطرح علي أسئلة. فأنا أضمن لك ربحاً أكيداً." فأعطاه شولا المال، وبعد ستة أشهر يسلّمه الرجل مليون دولار. فسأله شولا: "أخبرني شيئاً واحداً. هل هذا المال من المخدرات؟" وأتاه الجواب: "نعم."

انبهر شولا. ومنذ تلك اللحظة أصبحت تجارة المخدرات شاغله الوحيد، وتحولت حياته في اتجاه مختلف كلياً. وكان له في هذه التجارة سعوده ونحوسه، لكن اتجاهه العام استمر في انحدار حتى وصل الى الحضيض بعد وقت قصير من مساعدة إسر له في تخليص أخيه. وذات يوم، بعدما تراكمت عليه تهم تهريب الحشيشة، دخل مكتب مديرية مكافحة المخدرات في قبرص قائلا إن لديه معلومات يودّ البوح بها. وانتهى به الأمر الى التحدث مع مايك بافليك، ثم وصل الى دائرة الهيروييين في مديرية مكافحة المخدرات في واشنطن. وبدأ الرجلان العمل معاً في الولايات المتحدة.

بافليك: "إنه الأفضل. ومع إنه انتهى كمخبر، فهو يستمر في العمل معتمداً على حنكته. في ميامي يعمل على قضيّة، فيأتي بالمعلومات المطلوبة ويقدّم عميلا سرّياً الى جماعة مهربين ثم يختفي قبل أن تكشف هويته ويحترق. ثمَّ يظهر في دالاس وينخرط في مجتمع المخدرات ويعمل لدينا هناك. وأنا أتكلم على قضايا صعبة. لقد اعتقلنا أشخاصاً مهمّين."

خبر مشؤوم

عندما نُقل بافليك الى باريس في العام ١٩٨٤ تبعه شولا الى هناك. لقد تحدثا مراراً عن ستانلي إسر. فاتصل بافليك هاتفياً بيات مولر وسأله هل يهمه الأمر. وأخبر مولر بافليك عن التحقيق الجاري في هولندا، وأعلمه أن الأمر يهمه لكن عليه أولا استشارة بوينو. وحصل على إذن من بوينو ولكن بشرط أن تبقى العمليتان منفصلتين، كضمان في حال اخفاق واحدة منهما.

بعد اتصال مولر أعلم بافليك لو شولا: "حصلنا على الضوء الأخضر بالنسبة الى صديقك إسر."

في ٢٢ فبراير (شباط) ١٩٨٥ رست "سيلاند إندبندنس" في نيوارك آتية من روتردام، وعلى متنها حمولة تضم صندوقاً سجل عليه: "خرق قطن أبيض، باب أول."

وحجز الصندوق لحظة ملامسته الرصيف، وكشف النقاب عن ألف كيلوغرام من الحشيشة مخبأة تحت الخرق. وكانت نوعية الحشيشة رديئة، فاتصل جاك شورت هاتفياً بإسر قائلا له إن الحشيشة جافة جداً وإنه سيواجه صعوبة في بيعها. ولم يجادله إسر، بل خفض السعر الى ٦٠٠ دولار الكيلوغرام.

هذا لم يحلّ مشكلة شورت الاساسية، إذ ان تسليم مبلغ ٦٠٠ الف دولار الى تاجر مخدرات إجراء لا تقبل به مديرية مكافحة المخدرات وإن في سبيل ايقاف التاجر لاحقاً. ولكن اذا تعذر دفع المبلغ لإسر أو ارضاؤه على نحو ما، فمن الأفضل احتجازه ووقف التحقيق عند ذلك الحد. وتحايل شورت لكسب الوقت مستغلا صعوبة تحويل مبلغ كبير من المال. ثم حملت اليه الفَرَج ضربة حظ مذهلة.

كان بافليك أدخل رجلا ثالثاً في المؤامرة على إسر يدعى ريك باريت، وهو عميل سري آخر لمديرية مكافحة المخدرات. وكان باريت الممثل المباشر المزعوم للشاري الامريكي، وقد أُرسل للاشراف على شحن أربعة أطنان من الحشيشة من مرفأ روتردام (هولندا) الى فيلادلفيا (ولاية بنسلفانيا الامريكية). أما وظيفته الحقيقية فكانت تغطية شولا بانتحال دور العميل عندما يحين القبض على إسر.

وفي مارس (آذار) سأل إسر بافليك عما اذا كان صديقه باريت يستطيع أن يأتيه من الولايات المتحدة بمبلغ ٦٠٠ ألف دولار يدين له به أحدهم. فأجابه بافليك: "ولم لا؟" متظاهراً بعدم الاكتراث للأمر. وعندما أنبأ مكتب مديرية مكافحة المخدرات في نيوارك، دُبرت خطة لايقاف باريت عند نقطة الجمارك ومصادرة المبلغ منه.

في هذه الاثناء كان إسر أنجز الترتيبات الضرورية للقاء بافليك وشولا مع مصدره في أمريكا الجنوبية للتفاوض حول شحنة من الكوكايين. واسم المصدر جيوفاني كارلو غاندولا ويعمل انطلاقاً من أسونسيون عاصمة باراغواي حيث تحميه السلطات.

بافليك: "كان غاندولا صاحب نفوذ يأتي كبار رجال العصابات في كولومبيا لمقابلته. وكان اثنان منهم هناك عندما حضرنا للاجتماع به. وعلمت أنهما يتحريان عنا، فقد أخذا جوازي سفرنا. لكن كل شيء مضى على ما يرام، وتفاوضنا لشراء مئة كيلوغرام من الكوكاين."

لكنّ الامور لم تكن على ما يرام كلياً. فيبدو أن أحد المساعدين الثاقبي النظر في باراغواي لمح عبارة "موظف سفارة" على تأشيرة الدخول المختومة على جواز سفر "فولز"، أو أن أحد مصادر المعلومات تعرّف الى الصور التي التقطت لـ"فولز" في مطار شيبول بأمستردام، ففضح هويته الحقيقية: موظف في الحكومة الامريكية اسمه مايكل بافليك.

في هذا الوقت من أواخر مارس (آذار) كان بافليك وشولا على متن طائرة متجهة الى باريس، على أن ينتقلا في ابريل (نيسان) الى روتردام تلبية لدعوة وجهها اليهما إسر

لحضور مباراة يشترك فيها الملاكم أليكس بلانشار. فاشتريا بذلتين رسميتين لهذه المناسبة.

وإذ لم يتمكن غاندولا من الاتصال بإسر اتصل هاتفياً بجاك كانافاجيو، وهو عميل المنظمة في سويسرا، وأخبره أن عليه ايصال الخبر الى كارلوس بأي وسيلة. وفي تلك الليلة، ٢٧ مارس (آذار)، تلقت هيلينا بوت اتصالا هاتفياً من كانافاجيو الذي قال لها: "أصغي يا لين، عليك أن تجدي كارلوس فوراً وتخبريه أن صديقه مايك غير صالح."

تلقى إسر الخبر المشؤوم في وقت متقدم من تلك الليلة، لكنّه ادرك تماماً ما ينبغي ان يفعل. فهناك أربعة أطنان من الحشيشة مرسلة الى الصديق المزعوم لبافليك في فيلادلفيا، أي أربعة أطنان من الأدلة لموظفي مكافحة المخدرات في الولايات المتحدة بقيمة ثلاثة ملايين دولار. وهذه الشحنة إما غادرت مرفأ روتردام وإما ستغادره خلال ساعات قليلة... إلّا اذا حالفه الحظ.

اتصل إسر بأنطوني كونينغز في منزله قرب الحدود البلجيكية وطلب منه أن ينطلق الى روتردام بأسرع ما يمكن. فإذا كانت الباخرة لم تبحر بعد، فلينزل البضاعة عن متنها وبعيداً عن الأرصفة "مهما بلغت الكلفة." ثمّ راح يزرع المكان قلقاً لا يدري كيف ينقل الخبر الى صديقه جاك شميت. فإذا كان المدعو "فولز" موظفاً حكومياً، فلا شكّ في أن ريك باريت هو أيضاً كذلك، فهو الذي أكد لشميت أن باريت غير مشكوك في أمره عندما أرسله لقبض الـ٦٠٠ ألف دولار.

وفي السادسة صباحاً اتصل كونينغز بإسر وأعلمه أن الباخرة لن تبحر قبل العاشرة وأنه "فعل اللازم."

أما بافليك وشولا فأنقذتهما أجهزة التنصت الهولندية التي كانت تسجل كل هذه المكالمات. وكانا ركبا الطائرة الى باريس غير متنبهين الى الخطر المحدق بهما. فاعتُرضا عند نقطة الجمارك وأُطلعا على آخر التطورات. وهكذا لم يلبيا دعوة إسر لحضور مباراة الملاكمة تلك الليلة مع أنه كان ينتظرهما. وهو سُمِع يقول لكانافاجيو بنبرة حاقدة ملؤها الوعيد: "دعهما يأتيان."

مولر: "ثبط هذا همّة الهولنديين. فقال بعضهم: "لا أمل بعد الآن، ومن الأفضل وقف التحقيق عند هذا الحد." فعارضتُهم قائلا: "مهلا، دعونا نفكر في الأمر، فقد نستطيع تحويل هذه النتائج الى مصلحتنا. لقد فضح أمر عميل ومخبر لدينا، وكادا أن يقتلا، لكنهما ما زالا قيد الحياة وفي مأمن من الخطر. ليس علينا أن نعيدهما الى هنا، كما انه لا داعي الى القلق على الـ٦٠٠ الف دولار." لكنهم لم يقتنعوا بأننا ما زلنا ضمن اللعبة حتى اليوم التالي عندما سمعوا إسر يتكلم الى شورت."

ففي المكالمة الهاتفية التي سجلها شورت، لم يحاول إسر اخفاء تكدره وغضبه على

نفسه عندما أخبر شورت أن صديقه مايك "غير صالح." وكان شورت لا يزال يحاول تحديد مدى الضرر الذي لحق بالتحقيق، فقال لإسر ما كان ليقول له جاك شميت: "كارلوس، هذا الذي أرسله، ما اسمه، ريك؟ انه يعلم كل شيء عني: إسمي، أعمالي، مكتبي. لقد استقبلته في المطار واصطحبته الى مكتبي. إنه يعلم كل شيء. أعني انه يستطيع القضاء علي."

فرد إسر: "لقد اتصلت بك لأنني أشعر بالذنب. لم أرتكب خطأ مماثلاً من قبل." ثمّ أكد له إسر أنه لم يخبر مايك وريك عن مصدر الـ٦٠٠ الف دولار. فأعرب له شورت عن امتنانه، لكنه عاد فأكد له أنه لن يغمض له جفن تلك الليلة.

كان ذلك موسم المشاكل لستانلي إسر. فقد أقام علاقة مع شابة تدعى ماري كوينبرغ، وعلمت الشرطة بالأمر لأنها وصلت أجهزة تنصت الى الهاتف في الشقة حيث كان يزورها. وهكذا عرف المتنصتون أنها حامل وأن هيلينا علمت بالأمر.

الخبز قبل الأخلاق!

استمرت الاتصالات الهاتفية بين إسر وشورت مرة في الاسبوع على الاقل، لكن علاقتهما أخذت منحى دقيقاً. وبات إسر يلتمس رضا شورت معتذراً باستمرار لأنه عرّفه الى موظف لدى الحكومة الامريكية. وعندما دعاه الى حضور مباراة الملاكمة في أمستردام، اعتذر شورت بلطف واضعاً اصبعه على الجرح، ثم قال: "أشعر بأن علينا الا نلتقي قبل أن أتأكد من مدى الضرر الذي لحق بي. لا تسيء فهمي يا كارلوس، فمن الافضل أن نوقف أعمالنا حتى تبرد المسائل." وأعرب إسر عن تفهمه، ثم طرح امكان الالتقاء في كوراساو، فلديه ثلاثة قوارب راسية هناك قد تفيد جاك في تجارة الكوكايين.

وكان هذا العرض مغرياً. فصحيح أن إسر يبقى في مأمن من خطر تسليمه الى السلطات الامريكية وهو على أراضي الانتيل الهولندي، ولكن لنفترض أن صديقه جاك شميت توجه بطائرته الخاصة الى هذه الجزر، وهي في الحقيقة طائرة تابعة لمديرية مكافحة المخدرات، ولنفترض أيضاً أن إسر اقترح أن يركبا طائرة صديقه جاك الى جمهورية الدومينيكان حيث ينشيء شميت مختبراً مزعوماً للكوكايين، عندئذ يمكن اعتقال إسر وتسليمه الى حكومة الولايات المتحدة حيث يواجه عقوبة أقسى كثيراً.

وحُدّد موعد للزيارة في أواخر أغسطس (آب) يسبقها اجتماع في فلوريدا بين شورت ومارتن رويفن محامي إسر، للبحث في امكان استرجاع الـ٦٠٠ ألف دولار التي يفترض أنها صودرت لدى الجمارك الامريكية، ولدرس امكان انشاء مشروع تجاري لا غبار عليه يكون واجهة لاعمال شورت في هولندا. وكان رويفن خبيراً في نقل الأموال وابتكار الشركات الوهمية التي تموّه أعمال منظّمة إسر، وهو منذ أمد بعيد لا يكتفي بدور المستشار القانوني، بل وقع في شرك التآمر الاجرامي مثل إسر. وكانت مظاهر

الترف تبهر هذا الغندور المتأنّق ذا الجثة الضخمة والأنف الدقيق، فانتشى بمظاهر الابهة التي استقبله بها شورت. فقد دعاه هذا الى تناول العشاء في أحد أفخم مطاعم ميامي، ثم انتقلا في سيارته الـ"مرسيدس ٤٥٠" الى فورت لودردايل حيث نزلا في فندق فخم وذهبا في رحلة بحرية على متن "أحد زوارقي" كما دعا شورت يختاً مصقولا بلغ طوله ٣٣ متراً هو زينة مجموعة اليخوت المصادرة لدى المديرية الامريكية لمكافحة المخدرات. وعندما اتصل رويفن بإسر هاتفياً في ١٦ أغسطس (آب) التقطت أجهزة التنصت الحديث الآتي:

إسر: "هل جاك شميت هذا هو حقاً ما يدّعيه؟"

رويفن: "نعم، وأكثر من ذلك."

بعد أيام من وصول رويفن بدأ شورت يتحدث عن عمليات المخدرات التي يديرها. قال إن لديه خطة لتوزيع الهيروين مباشرة من المنشأ الى الشارع في اشرافه الشخصي. وهو يحتاج لتنفيذ هذه الخطة الى ٣٠ كيلوغراماً من الهيروين في الشهر، لكنه لم يجد بعد مصدراً يعتمد عليه لتأمين هذه الكمية.

وأعرب رويفن عن اعتقاده أن أحد أعضاء المنظمة يستطيع تأمين تلك الكمية. لعله كانافاجيو أو المزوّد الباكستاني عبد الولي. وأضاف: "علينا مناقشة الامر مع كارلوس."

للمرة الاولى يُطرح امكان الصاق تهم خطيرة بإسر وعصابته. ففي الولايات المتحدة يحاكم مذنب كإسر بتهمة العمل الاجرامي المتواصل بصرف النظر عن نوع المخدر المتاجر به، بينما تختلف العقوبة في هولندا باختلاف نوع المخدّر. فقد كانت عقوبة استيراد الحشيشة أو تصديرها أربع سنوات وعقوبة الهيروين ١٢ سنة.

يوم الاربعاء ٢٨ أغسطس (آب) انتقل شورت الى كوراساو على متن طائرة مصادرة لدى المديرية الامريكية لمكافحة المخدرات وبرفقته ثلاثة أعضاء من عصابته المزعومة هم في الحقيقة عملاء لدى المديرية.

وفي محاولة لاعادة الهدوء الى حياته البيتية، اصطحب إسر هيلينا، وتناولا العشاء تلك الليلة مع الامريكيين في فندق "برنسس بيتش" حيث كانوا ينزلون جميعاً. وبعد العشاء أخبر إسر شورت أنه علم من رويفن تفاصيل طلبه للهيروين. فقال شورت: "لا أتوقع منك أن تورط نفسك في هذه القضية. اصرف النظر عن هذا الموضوع."

ولكن بعد يومين عاد إسر الى البحث في الموضوع. ثم في صباح نهار السبت ٣١ أغسطس (آب) طلب من شورت ان يرافقه للركض على الشاطىء. وبينما هما يمشيان عائدين الى الفندق قال إسر إنه أمضى الليل كله يفكر في حديثهما. وأضاف: "أنا متأكد من أن عبد الولي يستطيع تلبية طلبك. وهو خولني الكلام باسمه في هذه المواضيع."

كان الغموض يلف شخص عبد الولي. فالمديرية الامريكية ما زالت الى اليوم غير متأكدة من اسمه الحقيقي، هي التي تحتفظ بملفات مفصّلة عن تجار المخدرات في أنحاء العالم. وكان إسر تعرف الى عبد الولي من طريق أحد معارفه في تجارة السجائر قبل سنوات، وأخبره هذا أن عبد الولي يرئس قبيلة أفغانية يبلغ عديدها ٥٠ ألفا يأتمرون به جميعاً. وقد انشأ في الولايات المتحدة روابط غامضة بمشاريع تجارية متنوعة، وأقام في منزل بلغت قيمته ثلاثة ملايين دولار في احدى ضواحي ماليبو التي تجتذب نجوماً سينمائيين كثيرين. وفي هولندا التي تتساهل حيال تجارة المخدرات وحيث القوانين الصارمة ضد تسليم المتهمين الى حكومات أخرى، اشترى منزلا ووضع مليونا و٥٠٠ ألف دولار في تصرّف إسر لكي يستعملها في ترميم المنزل وتجديده.

ولطالما ردد النائب العام الهولندي إد بوينو أنه في حال طلب إسر شخصيا أن يركب طائرة الامريكيين فلا مانع من ذلك، ولكن إن هم ذهبوا الى حد التلميح الى الفكرة فقدت الدعوى كل مبرر في المحاكم الهولندية. والحقيقة أن إسر لم يطلب السفر في الطائرة، كما التزم الامريكيون الانظمة الهولندية بحذافيرها ولم ينفذوا خطتهم. وبعد مرور وقت قصير على عودة إسر من كوراساو الى هولندا، التقطت أجهزة التنصت هذه المكالمة بينه وبين عبد الولي:

عبد الولي: "هل قابلت الرجل؟"

إسر: "نعم، وأعتقد أنه واسع الثراء."

عبد الولي: "هل أنت واثق به؟"

إسر: "كلا، فأنا أريد أولا أن أرى المال بعيني، وعندئذ فقط آمن جانبه."

مسلسل بوليسي!

قال جاك شورت: "ستكون هذه مهمتي السرية الاخيرة." ثم أضاف: "في الحقيقة، ينبغي أن تكون الأخيرة."

كنا نتحدث في إحدى غرف الفندق. فأفصح شورت عن عواطفه المتجذرة في قضية إسر. فالتهديد بالقتل يرهق فكره، كذلك الواجبات المتأخرة المترتبة عليه تجاه عائلته.

فما رأيكم في هؤلاء الرجال الذين يخاطرون بحياتهم في كل مرة يذهبون الى العمل؟ وعندما يسافرون في مهمات سرية تنتظرهم واجباتهم الادارية على مكاتبهم لكي ينجزوها عندما يعودون، فيضطرون الى العمل ليلا وخلال عطل نهاية الاسبوع كي يتمّوا ما نقص من أعمالهم. وفي مهماتهم السرّية يخوضون معارك ضد رجال يجنون من صفقة واحدة عشرات أضعاف ما يكسبونه هم في سنة. وقد يذهبون الى أفخم المطاعم حيث يصل حساب الشخص الواحد الى ١٠٠ دولار، لكنهم يعلمون جيداً أنهم

يعيشون فصول تمثيلية لن تستمر، وأنهم عندما يعودون الى بلادهم ستكون سندات رهن في انتظارهم.

شورت: "أتمنى لو يصوِّر مسلسل تلفزيوني أو فيلم سينمائي شرطي مكافحة المخدرات على أنه انسان عادي لديه مشاعر ومشاكل كالناس الآخرين، طفل مريض مثلا أو سيارة لا تدور أيام الشتاء. ما نعيشه لا يشبه دائماً المسلسلات البوليسية التلفزيونية."

ويصمت شورت محاولا السيطرة على موجة عارمة من المشاعر العميقة، ثم يتابع:

"المسألة هي أننا نواجه معضلة رهيبة، ولا يريد أحد أن يعترف بأننا في حال حرب مع تجار المخدّرات وأنهم ليسوا في وضع المنهزم. وما نشاهده في وسائل الاعلام هو صورة لخطّنا الدفاعي الأمامي، أي خط شرطي مكافحة المخدرات، وهي ليست أفضل بكثير من صورة المجرم، اذ تظهره وهو يخلع الابواب ويضرب المشتبه بهم ويعاشر نساء كثيرات. صدّقوني، إن هذه الصورة لا تمثلني ولا تمثل أحداً من الذين أعمل معهم."

انفصل إسر عن هيلينا بعيد عودتهما من كوراساو، واتفقا على أن تحصل هيلينا على البيت في ليمن وعشرة آلاف غيلدر في الشهر. ولم يكن المال مشكلة بالنسبة الى إسر، فهو أسكن ماري في شقة رائعة في أمستردام بعدما اشترى المبنى الذي تقع فيه والمبنى المجاور. وفي زيارة شورت التالية لأمستردام قدم اليه إسر سيارته الـ"مرسيدس ٥٠٠" ومنزلا بقيمة مليون دولار ليسكن فيه. ويقول شورت: "لم أحتج الى سوى ثيابي وفرشاة أسناني."

خلال ذلك العام، ١٩٨٥، زار شورت هولندا أربع مرات فتعمقت صداقته مع إسر. ومرة اصطحبه هذا الى شقة ماري ولم يخفِ عنه تشوّقه الى ولادة طفله الجديد. وقال لشورت ضاحكاً: "احذر الهاتف هنا، فقد نبهني أحد معارفي في الشرطة الى أنه ساخن الى حد ينبغي معه أن أرتدي قفازاً لدى استعماله."

وفي الثاني عشر من أكتوبر (تشرين الاول) بينما كان إسر وشورت يتناولان طعام العشاء في فندق "أوكورا" في أمستردام، قال إسر إن لديه زبائن للكوكايين الذي في حوزة شورت. وفي اليوم التالي ذهبا لتناول العشاء في مطعم "غلاسترونوم" الذي اشتراه إسر بمبلغ ٥٠٠ ألف دولار. ورافقتهما ماري وريفن والكسندر غورلي أحد مساعدي شورت المزعومين، وهو أيضاً يعمل لدى مديرية مكافحة المخدرات. وهناك طلبوا بضع زجاجات من الشراب الذي يتناسب والعشاء الفاخر. وكصاحب للمطعم، كلّفت الزجاجة الواحدة إسر ٣٣٥ دولاراً.

كلما انفرد إسر بشورت كانا يتكلمان على الأعمال. وكان إسر بارعاً في الحساب

الذهني، يجمع كلفة المنشأ وكلفة النقل والخزن والتسليم ويستنتج بسرعة هائلة سعر المبيع. لكنه شعر برهبة اذ لاحظ أن شورت يضاهيه في هذا المضمار وأنه، الى ذلك، يستطيع أن يحوّل السعر سريعاً من الغيلدر للكيلوغرام الواحد الى الدولار للرطل الواحد. وقال له مرة متحسراً: "كان يمكننا ان نجني مليار دولار معاً."

في سبتمبر (أيلول) نقلت شرطة ألكمار مقرها الرئيسي الى بناء أنيق في طرف المدينة، فبات لمراقبي أجهزة التنصت مكان أوسع، لكن مهمتهم الأساسية لم تتغير وهي التدقيق المضني في المكالمات الهاتفية المتواصلة ومعظمها بلا مغزى. وفُصل ثلاثة رجال أوكلت الى كل منهم مهمة تحقيق في موجودات إسر، وهو عمل استمر مضجراً الى أن أدّى التعقب الدقيق للوضع المالي لشركات إسر الوهمية في سويسرا وبناما وهولندا الى كشف شبكة مصالحه الموزعة بين سفن وشاحنات ومطاعم ونوادٍ ليلية.

ولم ينته التحقيق الا وقد استمع عناصر فرق المراقبة الى نحو ٥٠٠ ساعة من الكلام الذي لا علاقة لمعظمه بما أرادوا معرفته. لكن صبرهم العجيب ألقى في النهاية بعض الضوء على ما بدا لغواً تافهاً، وساهم في تعزيز اثباتات الدعوى.

وقد بُهر الهولنديون بالنهج الاحترافي الصرف الذي اعتمده الامريكيون في التحقيق. فقد كان جاك شورت يذهب الى المدينة مع إسر، فيتكلمان لساعات ويتفاوضان في صفقات معقّدة، ثم يعود شورت الى الولايات المتحدة ويكتب تقريراً شاملاً يشرح فيه تفاصيل لقائهما. وغدت هذه التقارير العمود الفقري لشهادته.

مولر: "انها ناحية من عمل التحري لا تخطر في بال أحد ولا تراها في المسلسلات البوليسية. ولكن عندما يحين موعد المحاكمة ويُطلب التحري السري للشهادة، فانه يكون سعيداً بلا شك لأنه صرف وقتاً في كتابة تلك التقارير المفصلة."

وخلال فترات اقامة شورت في أمستردام، كان مولر يحجز غرفة آمنة في طبقة أخرى من الفندق ذاته حيث يتسنى لشورت أن يخلع قناعه ويكون نفسه لفترة وجيزة.

ولكن خارج غرفة مولر في الفندق كان احتمال حصول مشكلة وارداً باستمرار. فقد بدا إسر كأنه يتذكر كل ما ينطق به شورت فلا يدع له مخرجا ان هو ناقض نفسه وإن مرة واحدة. اضافة الى واقع آخر هو أن إسر لم يتسلم بعد دولاراً واحداً من جاك شميت، فكم من الوقت يمكن ان يمر قبل أن يتنبه الى عدم الانسجام الواضح بين تصرفات شورت التي تحددها قوانين المخدرات الأمريكية والهولندية، وأسلوب تاجر مخدرات حقيقي في العمل؟

وتساءل الهولنديون هل حان الوقت لاعتقال إسر. لكن مولر اقترح عليهم الانتظار. فحتى ذلك الوقت لم يتجمّع لديهم سوى بضع مكالمات ليوجهوا اليه تهمة الاتجار

بالمخدرات الخطيرة. وكان لدى شورت احساس بأن إسر في صدد ابرام صفقة. فإذا تمت هذه الصفقة وسُلِّم الهيروويين، كان ضلوع رويفن وعبد الولي شبه مؤكد.

وفي السادس من ديسمبر (كانون الاول) طار شورت وآل غورلي الى أمستردام، ووافاهما إسر الى فندق "ماريوت" حيث كانا ينزلان في الاولى الا ربعاً بعيد الظهر، بعد اجتماعه بعبد الولي في وقت مبكر من ذلك الصباح. واصطحبهما لرؤية طفله المولود حديثاً. لكنهم انشغلوا تلك الليلة وطوال اليوم التالي في التخطيط لصفقة مثلثة الاتجاهات يسلِّم عبد الولي بموجبها ١٠٠ كيلوغرام من الهيروويين الى جاك شورت في مطار ملقة باسبانيا بثلاثة ملايين دولار. وكان على شورت أن يزوِّد إسر مئة كيلوغرام من الكوكايين، يسلم إسر نصفها الى زميله جاك كانافاجيو والنصف الآخر الى شخص لا يعرفه شورت.

وطلب عبدالولي من شورت أن يدفع له مليونا ونصف مليون دولار مقدماً، لكن إسر الذي كان على علم بتخوّف شورت الواضح من خسارة أمواله، عرض عليه يخته "باراكودا ٢" ككفالة. وكان هذا اليخت في تصرف شورت منذ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٥، اذ ان إسر أرسله اليه لكي يستخدمه في تجارة المخدرات. وقبل شورت بدفع المبلغ مقدماً حالما يأتيه التقرير الكيميائي بصلاح عينة الهيروويين. ووافق إسر على ذلك واتُفِق على أن يتم التسليم في اليوم التالي، أي السبت.

شعر إسر بنشوة عارمة وأكد لشورت ان عملية التسليم في ملقة خالية من أي مجازفة اذ ان المخدرات والاموال ستكون في حماية موظفين رسميين اسبان تربطهم علاقة بطبيب أحد النافذين، وأن سلطات الجمارك لم تفتش طائرة الطبيب يوماً.

في الثانية بعد ظهر السبت جلس بات مولر في ردهة فندق "ماريوت" وراقب رجلا قصيراً أصلع ذا ملامح شرقية يذرع المكان بعصبية ظاهرة. ففكر: "إذاً هذا هو عبد الولي." وفي احدى الطبقات العليا كان آل غورلي ينظر من نافذة الغرفة ١١٤٩ الى متنزه فوندلبارك حيث رأى جاك شورت يقود إسر الى مقعد باد للعيان انتقياه سابقاً. وسلّم إسر شورت رزمة صغيرة ملفوفة بورق ألومنيوم. وتمشيا في الحديقة قرابة ساعة ثم عادا الى الفندق حيث جلسا في المقهى وتكلما لفترة وجيزة. في هذه الاثناء التقطت أجهزة التنصت اتصالا اجراه عبد الولي بمنزل إسر في فترة غيابه. وأخيراً تمكن عبد الولي من مكالمته في المنزل في وقت متقدم بعد ظهر ذلك اليوم.

عبد الولي: "هل أعجبتهم السترة الجلدية؟"

إسر: "لا أعلم بعد ما اذا كانت تناسبهم. لكنني سأعرف ذلك خلال يومين أو ثلاثة."

التقى شورت وإسر مجدداً في فندق "ماريوت" على الفطور صباح الاثنين. واتفقا على أن يسافر رويفن والطبيب الى الولايات المتحدة الاسبوع التالي لتسلم الدفعة

العربونية من ثمن الهيروبين في نيوجرزي، ثم يعود الطبيب الى ملقة على متن طائرة شورت الخاصة لكي يبرهن قدرته على اجتياز الجمارك الاسبانية من دون أن تفتش أمتعته. وبعد القطور أوصل إسر الأمريكيين بسيارته اليه المطار بعدما انطلت عليه الحيلة ولم يبق الا أن يطبق عليه الفخ.

خلف القضبان

في الصباح الباكر من الجمعة ٢٠ ديسمبر (كانون الاول) طوق فريق خاص من الشرطة من ثمانية رجال شقة ستانلي إسر في أمستردام. وتمام السادسة حطّم قائدهم الباب الزجاجي الجرّار لشرفة غرفة نوم إسر وقبض عليه وهو في سريره قبل أن يتسنى له وضع قدميه الحافيتين على أرض الغرفة. ولم يبدِ إسر مقاومة، بل سأل عن الجهة القضائية التي أصدرت أمر القبض عليه. وعندما أعلم بأنها شرطة مقاطعة ألكمار صفر متعجباً وقال: "لم أكن أعلم أن هؤلاء الشباب يتحرون عني." ولا بد أن "الفريق إ" وخصوصا المنسق تونس فان فولبن الذي عمل جاهداً طوال ١٤ شهراً مصر على سرية اسمه، يعتبر اعتراف إسر هذا وسام شرف من الدرجة الاولى.

وفي مكان آخر من أمستردام، بعد ساعة تقريباً، اقتاد فريق آخر من الشرطة عبد الولي من شقته الفخمة، وصودر من الشقة مبلغ ٢٢ ألف دولار امريكي و٢١ ألفا و٥٠٠ غيلدر هولندي.

منتصف الليل، في نيوارك بنيوجرزي، كان مارتن رويفن والطبيب وشميت وبعض "جماعته" في حانة قبالة المبنى البلدي يحتفلون باتمام صفقتهم، بعدما عاين رويفن والطبيب في غرفة بفندق مجاور حقيبة ملأى بأوراق نقدية من فئة ١٠٠ دولار هي عربون المئة كيلوغرام من الهيروبين. وكانت مهمة رويفن ايصال الاموال الى مصرف سويسري. اما الطبيب فأخبر شميت أنه يستطيع تأمين "فرقة ضاربة" من اللبنانيين في حال التعرض للمضاربة. ولم ينتبه أي من الرجلين الى أن حديثهما مع شميت في غرفة الفندق كان يسجل بكاميرا فيديو. وهكذا، عندما دخل رجال مكافحة المخدرات وضباط شرطة نيوارك الحانة وأعلما رويفن والطبيب أنهما موقوفان، ظن رويفن أن الأمر مجرد دعابة سمجة ولم ينقطع عن الضحك حتى أقفل عليه باب الزنزانة.

وعاد إسر الى سجن هارلم في هولندا. انه يوم الثلثاء ٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٦، أي قبل يومين من موعد اعلان الحكم عليه. ونحن جالسان في احدى غرف الزوار الصغيرة قرب صالة الرياضة التي تتردد منها أصداء مباراة في الكرة الطائرة. قال لي إسر ان ليس لديه شيء ضد جاك شورت، "فهو قام بواجبه وقال الحقيقة معظم الوقت." ثم قست نظرته وضاقت عيناه، واضاف: "أما شولا فوضعه مختلف، وسنلتقي يوماً ما لكي أصفّي حسابي معه." وهو أمل أن يحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات لأنه

حسب أنهم سيسقطون عنه تهمة الهيروويين. وقد مضت عليه سنة في السجن منذ ايقافه، ولا بد أن يخفف الحكم لاحقاً نظراً الى حسن سلوكه.

واسترسل متذكراً طفولته في جزيرته الأم. لقد أمضى هناك طفولة سعيدة، ولكن عندما يعود اليها الآن يشعر بالقنوط لرؤية الفقر والفرص الضائعة.

إسر: **"الناس لا يريدون أن يعملوا، ويعتقدون أن العمل في خدمة شخص آخر أمر مشين. لماذا هذا الاعتقاد؟ أي امرىء أكثر فخراً من نادل فرنسي؟ كنت أراقب هؤلاء الندل وهم يخدمون على الموائد بعدم اكتراث ظاهر. وهذا ما أسأم حتى الامريكيين وثبط همتهم فسلّموا فندق "هيلتون" الى الحكومة وغادروا نهائياً."**

ولكن ماذا عن المستقبل وما الذي سيعمله بعد خروجه من السجن؟

إسر: **"سوف أعود الى تجارة الحشيشة، فكل ما عداها تافه." (ويجيل نظره في الغرفة باحثاً عن كلمات.) "كانت هيلينا تقول لي إنني أطلب الكثير من كل شيء وتسألني باستمرار: "لماذا لا نعيش حياة طبيعية؟" فهي لم تكن تدرك أن تلك هي حياتي الطبيعية، وهي الحياة الوحيدة التي اود أن أعيشها: السرعة القصوى. هيلينا لم تفهم ذلك أبداً، اتفهمه أنت؟"**

- كلا.

"لا بأس، سوف نبقى أصدقاء."

وقدت سيارتي جنوباً من هارلم، بحر الشتاء الى يميني والارض الساكنة المنبسطة أمامي تمتد الى ما وراء السديم. لقد أدركتُ أن ستانلي إسر هو الثمن الذي فرض على الهولنديين لتسامحهم مع "حضارة" المخدرات التي بلغت في انحلالها حدَّ الانغماس. وقد تضاعف عدد الجرائم خلال السنين العشر الماضية، ويشكل غير الهولنديين نسبة ٢٠ في المئة من نزلاء السجون، وكثير منهم جذبه الى هولندا انخفاض أسعار الهيروويين ووفرة الكوكايين وشرعية تعاطي الحشيشة التي تؤمنها "خدمة منزلية" ليلا ونهاراً.

وهناك ثمن يدفعه ستانلي إسر أيضاً. فتصميمه الرائع على النجاح ومواهبه الفطرية كانت كفيلة بايصاله الى أعلى المراتب في أي مهنة أخرى يختارها. وأخاله مديراً لذلك الفندق التعس في كوراساو، يكرس له نشاطه حاضاً الموظفين على الثقة به وبأنفسهم. لكن هذا ليس سبيل إسر "المهرب الكبير"، فهو يفضل دخول السجن على امتهان أي عمل آخر.

يوم الدهم اشترى بات مولر صندوق شراب وذهب الى ألكمار للاحتفال بالحدث مع إد بوينو و"الفريق إ." وشدّد القبض على إسر عزيمة قوّات الشرطة في أنحاء هولندا، فباشرت ملاحقة غيره من تجار المخدرات وأغلقت المتاجر التي تبيع مستلزمات الكوكايين. ورُفض التماس عبد الولي الحماية الهولندية، فسُلّم الى الحكومة الامريكية.

لكن مفاجأة مدمرة للجهود التي بذلت حصلت نهار ٢٩ مايو (أيار) ١٩٨٦. فقد التمس رويفن عفو المحكمة معترفاً بجزء من التهمة الموجهة اليه وهي التآمر لاستيراد الحشيشة وتوزيعها. فقبلت النيابة العامة التماسه وأسقطت عنه تهمتي الكوكايين والهيروين. وعقدت جلسة مغلقة برئاسة رئيس قضاة المقاطعة كلاركسون فيشر وحضور رويفن ومحاميه ومساعدة النيابة العامة كلوديا فلين، فأفرج عنه بعدما حكم عليه بالسجن عشر سنين مع وقف التنفيذ، وأُطلق لمدة سنة واحدة من دون مراقبة. وبعد ٤٨ ساعة من الافراج عنه عاد الى هولندا وصرّح للصحافة بان الامريكيين اضطروا الى الافراج عنه لأن الدعوى كانت ساقطة حكماً.

ولكن في الحقيقة، كما يتبين من سجل المحكمة، خلي رويفن بشرط تعاونه مع السلطات الامريكية والهولندية والكشف بصدق عن كل المعلومات المتعلّقة بمواضيع الاتهام، وهي استيراد الحشيشة والكوكايين والهيروين وتوزيعها وحيازتها، وتورّط مارتن رويفن وستانلي إسر والطبيب وعبد الولي وغيرهم في هذه العمليات. ولكن عندما استدعى محامي الدفاع مارتن رويفن للشهادة في نوفمبر (تشرين الثاني) خلال محاكمة إسر في ألكمار، أقسم على أنه وإسر كانا ضحيتي احتيال المديرية الامريكية لمكافحة المخدّرات.

لفّت غمامة يأس السلطتين الامريكية والهولندية اللتين توقعتا اصدار حكم متشدد على رويفن كخطوة أولى في سبيل تغيير سمعة هولندا كملاذ لتجار المخدرات. أما الآن فيكاد يُفقد الامل في أن يحكم على إسر بالسجن مدة طويلة. ونصحت احدى الصحف الامريكيين ألا يتوهموا أن بوينو سيدعو المحكمة الى انزال أقصى العقوبات بإسر، أي السجن عشر سنين وثمانية أشهر، استناداً الى شهادة "الزبون الامريكي الزائف." وحتى المواقف الاعلامية الاكثر اعتدالا عكست استياء من التدخل الامريكي في التحقيق. ولم تأمل المديرية الامريكية لمكافحة المخدرات أن يحكم على إسر بالسجن أكثر من أربع سنوات. ثم أجمع الرأي على أن العقوبة لن تتعدى ثلاث سنوات.

زمن المشاكل

الثانية بعد ظهر الخميس ٤ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٦. دخل القضاة قاعة المحكمة الملأى بالحضور. وخلال عشر دقائق سيلفظ الحكم وتعلن العقوبة وتفض الجلسة.

سوّى رئيس القضاة ج.أ. يانسن اوب دي هار نظارتيه على وجهه المحبّب المستدير وبدأ القراءة: "لقد وجدت المحكمة ممارسات العميل السرّي الامريكي شورت سليمة تماماً وملتزمة نطاق القانون الهولندي. وتسليم المدعى عليه كمية ستة غرامات ونصف غرام من الهيروين كعينة في السابع من ديسمبر (كانون الاول) الماضي، أقنع

المحكمة بما لا يحتمل الشك بأنه حاول بيع الهيروييين. لذلك حكمت عليه المحكمة بالسجن مدة سبع سنوات وشهر واحد، وبدفع غرامة مقدارها ٨٠٠ ألف غيلدر (٤٢٠ ألف دولار) وبمصادرة أسلحة وذخيرة وثلاثة جوازات سفر بنامية وكمية ضخمة من الحشيشة.

ونظر القاضي من فوق نظارتيه الى إسر وسأله هل فهم العقوبة.

فأجاب إسر أنه فهمها. ثم تداعى في كرسيه الى أن ربت أحدهم كتفه فوقف ومشى الى زنزانته.

وفي نيوارك قرّر عبد الولي في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٩ أن يقدم التماس عفو معترفاً بتهمة التآمر لاستيراد الحشيشة. فحكم عليه بالسجن عشر سنين مع وقف التنفيذ، وبغرامة مقدارها ٢٠٠ ألف دولار.

أما إسر فأفرج عنه بكفالة، وتنقلت قضيته من محكمة استئناف الى أخرى في محاولات لتعديل الحكم. ولكن حتى كتابة هذه السطور، وفي انتظار مراجعة الدعوى لدى المحكمة العليا في هولندا، لم ينجح إسر الا بتمديد عقوبته الى عشر سنين.

لورنس اليوت ■

ترجمة نهلا رزق

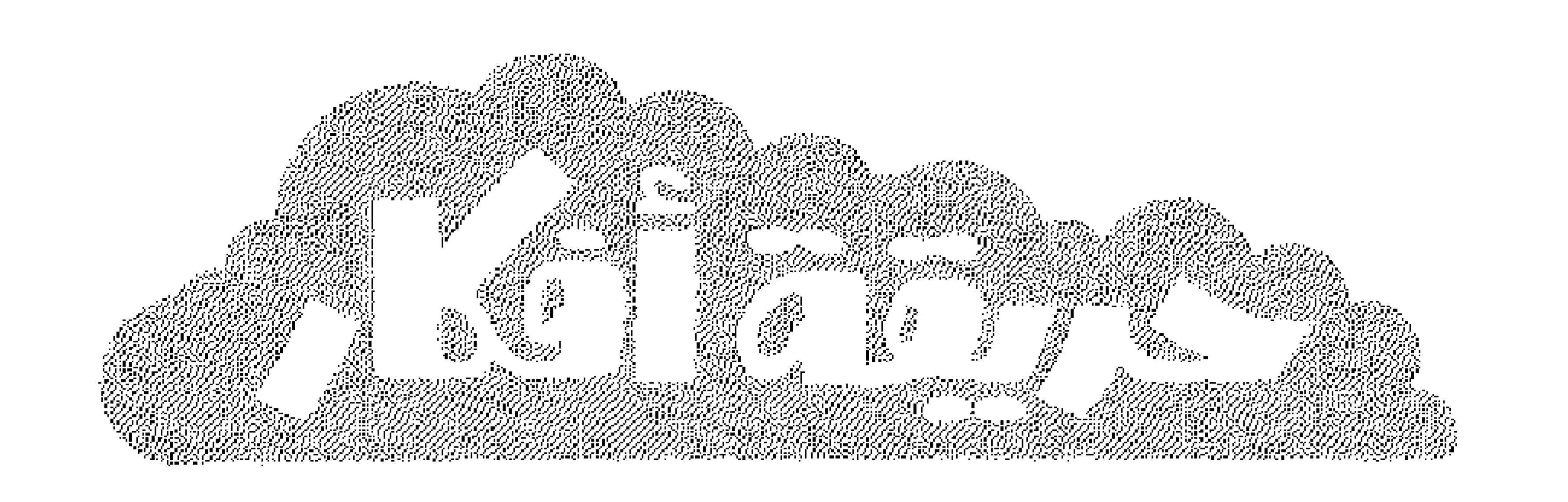


رسالة الكاتب

تمنح "جائزة إرنست همنغواي" سنوياً لأفضل رواية منشورة. وعندما تسلّمت الكاتبة بوبي آن مايسون جائزة همنغواي عن كتابها "شيلو وقصص أخرى"، قالت في كلمتها: "والداي مزارعان لم يحظيا بفرصة الذهاب الى المدرسة. لكنهما فعلا المستحيل لكي تكون لدي كتب وأذهب الى الجامعة، مع جهلهما الى اين يمكن أن يؤدي قليل من العلم. لكنهما كانا يخشيان إن أنا نجحت أن اتغيَّر وأخجل بهما. وهما ليسا من قراء الروايات. وكان علي أن أشرح لهما من هو همنغواي عندما أخبرتهما عن الجائزة. لكنهما مع ذلك قرأا قصصي واهتما لها وتعاطفا معها ووجدا فيها شيئاً من واقع حياتهما. وهذه أكثر الجوائز ارضاء لي، فما حاولت أن أفعله هو اسماع صوت اناس كوالديّ في العالم الذي أتيت منه.

أردت أن اقول هذا لكم، أيها الحاضرون الرفيعو الثقافة أدبياً، لأنكم باختيار روايتي لمنحها هذا الشرف أنما تقولون لي انكم سمعتم صوتهما. وأريدكم أن تعلموا أنهما يسمعانكم أيضاً. أشعر كأنني أنقل رسائل بين عالمين مختلفين، وهذا دور جيد يضطلع به كاتب.

صحيفة "بابلشرز ويكلي"



- هناك ثلاثة أمور مهمة في حياة الانسان. الأول أن يكون لطيفاً. والثاني أن يكون لطيفاً. والثالث أن يكون لطيفاً.

هنري جايمس

- لا تدخل المعرفةُ العقلَ من فمٍ مفتوح.

إ.د.

- ليس الخلود في ما نخلِّفه من أشياء، بل في الأشخاص الذين تترك عليهم حياتنا بصمات.

الجمعية الامريكية للسرطان

- التدريس هو التعلُّم مرتين.

ج.ج

- عندما كنت شاباً أُعجبت بالأذكياء، والآن وقد أصبحت شيخاً أقدِّر اللطفاء.

أ.هـ.

- ليس الفقر سبب الجهل، بل العكس هو الصحيح.

س.ر.

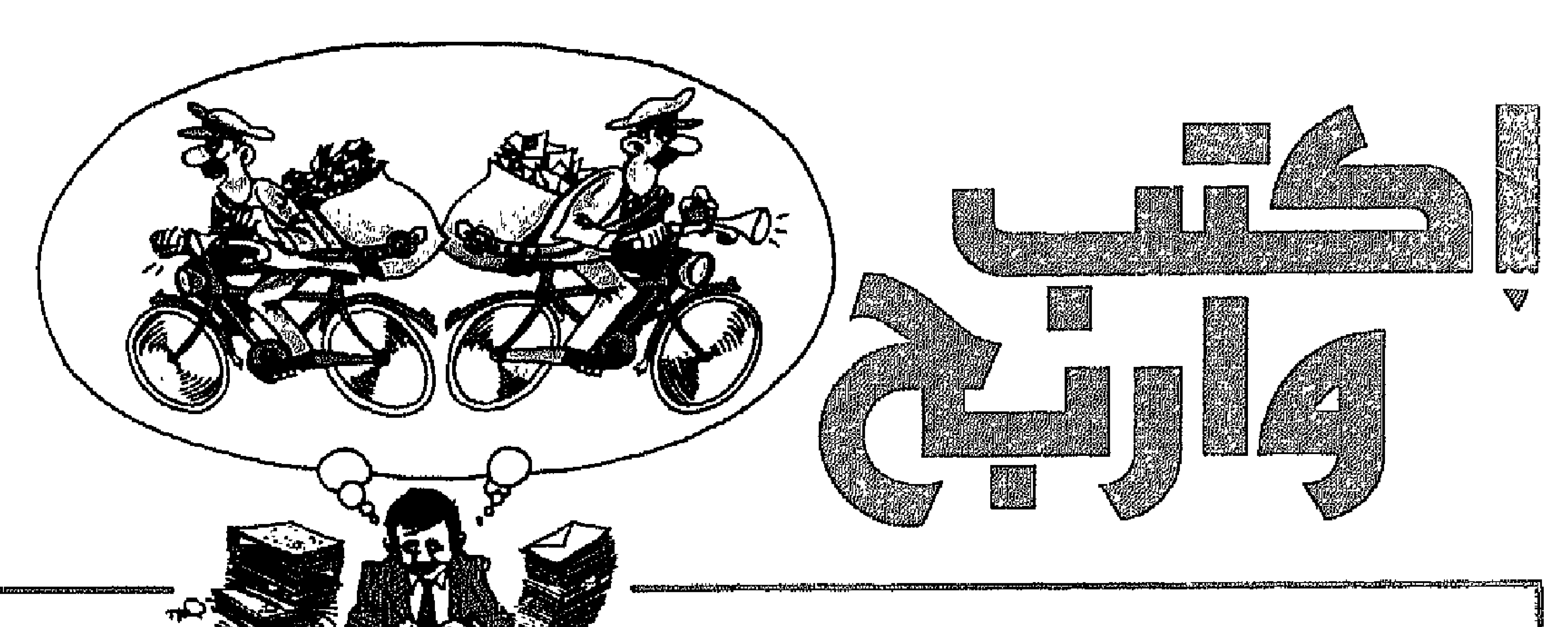
- لولا الصفح لما حظي أحد بحياة اجتماعية.

أ.ك.

- كان سيدنا نوح أول بيروقراطي في التاريخ. فهو احتفظ بنسختين عن كل شيء.

"وول ستريت جورنال"

اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٣٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

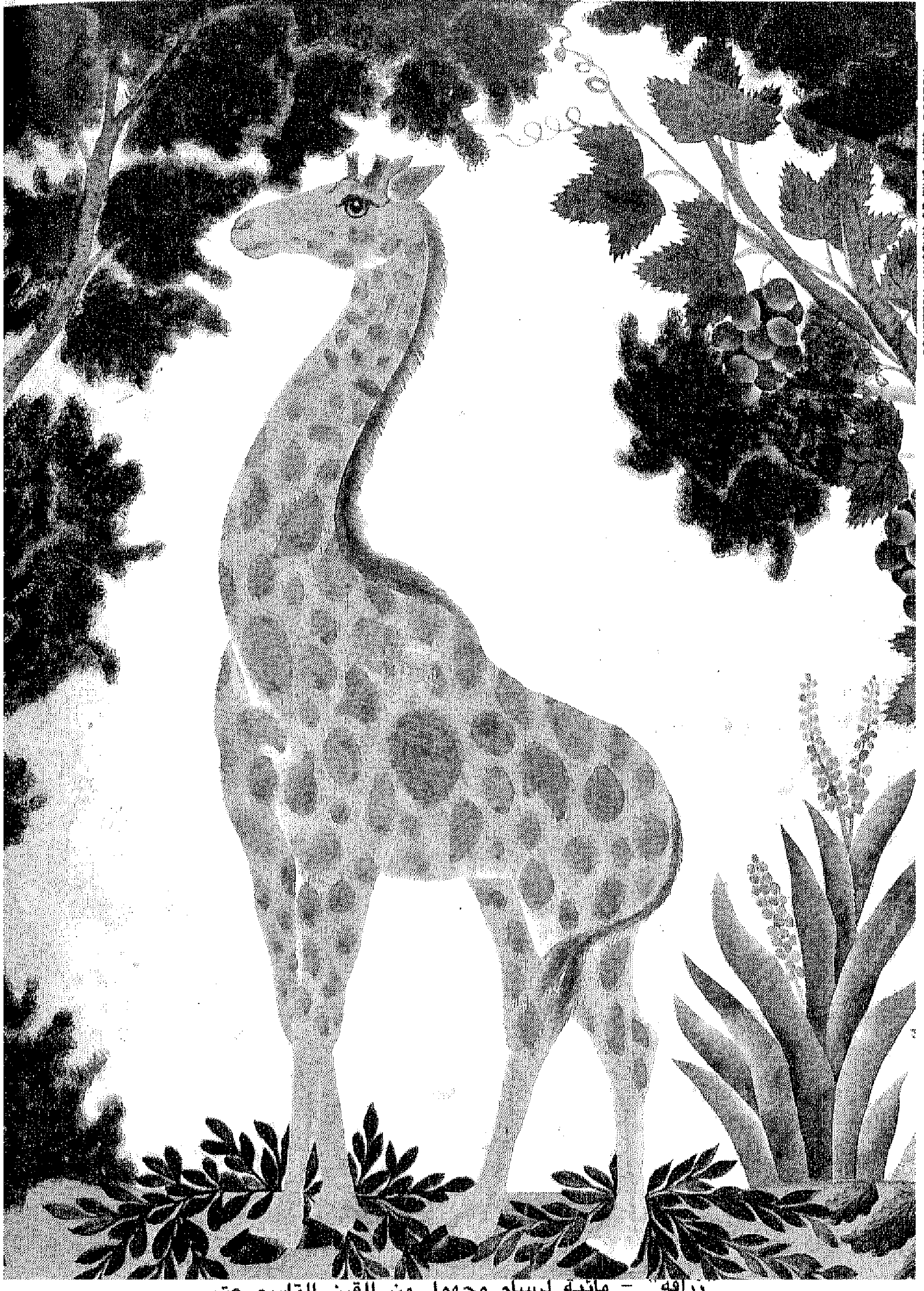
الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٣٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
- لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت.
شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ لبنان.



زرافه - مائية لرسام مجهول من القرن التاسع عشر.